خريف يتهادى

خريف يتهادى

صبري أمين

مشروع النشر الحر - الإصدار رقم: 578

إصدار: يونيو ٢٠٢١

رقم الإيداع: 2021/14716

الترقيم الدولي ISBN

978-977-6883-32-1

منشورات دار لوتس للنشر الحر

القاهرة الكبرى: ٣٧ شارع جمال عبد الناصر - فيصل - الجيزة

هاتف / واتساب: ٠١٠٩١٩٨٥٨٠٩ ٢+ - ٠٢٣٧٢٩٠٨٩٣

المغرب: الدار البيضاء ٢٧٠ زنقة ١٦ - حي البركة - مولاي رشيد

هاتف / واتساب: ٢١٢٦٦٢٤٨٨٣٧٧+ - ٠٦٦٤٣٩١٢٦١

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول؛ وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر، وجميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر.

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

www.lotusfreepub.com

إهداء

إلى النفوس الطيبة في حياتي

إلى الحب الصادق وسط صراعات الحياة

إلى عائلتي الصغيرة

أهديكم هذا الكتاب

مع محبتي

مقدمة

تستقبل الطبيعة في شهر أيلول / سبتمبر بوابكير فصل الخريف؛ حيث مشهد الخريف الباهت والأشجار العارية التي نزعت عنها ثوبها البالي وارتدت ثوب متدرج الألوان بين الأحمر والأصفر الشاحب وكأنها تتوحد مع ألوان الغروب، ذلك المشهد الذي يبعث في النفوس مشاعر مختلطة؛ حيث عزفت الطيور الهاربة لحن الهجرة إلى دفء بعيد؛ حيث ثوب الخريف المهلهل ورقع الغيوم الرمادية؛ حيث السماء الغائمة الحزينة؛ حيث تلملم الطبيعة ما تبقى من ثمار الصيف وتنحسر شمسه الخجولة لتطل من بين الغيوم على استحياء؛ حيث تستريح الأرض من جميع أعبائها بعد أن تخرج من تزاحم زهور الربيع، ولسعة حرارة الصيف ورياح وبرودة الشتاء القاسية، كأن الكون يودع حياة ويستقبل حياة أخرى جديدة. بين هذه الأشجار وما تبقى من أوراق الشجر المتماسكة، تتهادى في المساء أنفاس باردة.

في أحضان تلك الطبيعة المختلطة وذلك الجو المتقلب يسعى شاب جاء من بعيد ليحقق حلما راوده في هذا الخريف؛ تقابله صعاب ومخاطر؛ يعاونه إخوة وأصدقاء؛ تحرسه دعوات صادقة من قلوب مؤمنة؛ تراقبه عيون مترقبة حاقدة. ثمة من بعيد حلم آخر يراود عقول ماجنة وقلوب خربه، ونفوس عطنة تحاول أن تنشر عطنها في أرض الله وبين عباده. هل يتحقق الحلم الصالح؟ هل ينتشر العطن؟

بين الأشواك تنبت الحياة، ولا تنبت الحياة إلا بالحب؛ نتحمل ما نتحمل لأجل من نحب لكي نبلغ ما نحب ومن نحب. هل يجدنا الحب أم نحن من يجده، هل يطرق بابنا أم نطرق بابه؟ هل يستمر الحب وسط صراعات الحياة؟. بعد أن تبلغ النهاية ستجد الإجابة.

١
إنه الخريف، تذبل فيه النفوس كما تذبل أوراق الشجر

داخل شقة أنيقة، حديثة الأثاث وجذابة الألوان، تتناغم المناظر الطبيعية على ورق الحائط، تظهر هناك صورة لبرج إيفل الشهير معلقة على حائط آخر. ثمة شاب يبدو عليه القلق، مجعد الشعر بعض الشيء، متوسط الطول، عريض المنكبين نسبيا، بشرته بيضاء. تحرك تاركا مكانه وهو يجول بعينيه بين أروقة الشقة ثم استقرت عيناه على جهاز كمبيوتر محمول على منضدة السفرة وبجواره هاتف محمول، وصل إلى المنضدة ثم عاد إلى الأريكة مرة أخرى. جاء رجل كبير السن في أوائل العقد السادس، ممتلئ الجسم قليلا، متوسط الطول، يرتدي عباءة رجالي فاخرة، كان قادماً من الداخل يحمل حقيبة متوسطة الحجم، وضعها على المنضدة ثم اقترب من الشاب وقال:

- هذه حقيبة النقود، بها ربع مليون جنيه كما اتفقنا، اسبقني لمكان الصفقة و أنا سأغير ملابسي والحق بك.

- حسنا، ولكن استأذنك في كوب ماء بارد لأتناول دوائي فأنا أشعر بالصداع.

- ارحم نفسك، لا تفكر فيها، فسوف تجد أفضل منها ألف مرة وطالما هي لا تريدك فلن نجبرها على شيء، كثرة التفكير يسبب لك هذا الصداع، أنسى وركز في العمل وهو سينسيك كل همومك، هذه أول صفقة بيننا بعيدا عن الدكتور وسنقوم بعمليات كثيرة فلا داعي للتفكير في الماضي.

ثم انتبه إلى أنه يرتدي قفاز في يده فأضاف

- لماذا ترتدي قفازا، هل عدت تعاني من الحساسية مرة أخرى؟

- نعم لقد عادت إلى الحساسية، كلامك صحيح و أنا بالفعل أفكر في مستقبلي.

- عظيم، اذهب للمطبخ وأحضر الماء وكما يقول الإنجليز هيلب يور سيلف أخدم نفسك بنفسك.

هز الشاب رأسه علامة على الموافقة و اتجه إلى الداخل وخرج بعد ثوان ومعه سكين كبير. يظهر إصراره على اقتراف جريمته من قبضة يديه على السّكِينة، ساعداه قويان، لم يره العجوز الذي شغله ضبط ساعة الحائط، إلا عندما استدار فوجده يمسك بالسّكِينة ويبتسم، قال العجوز لماذا يا بُني، لماذا تريد قتلي. ولكن الشاب لم تأخذه شفقة ولا رحمة بالعجوز. اقترب منه وعيني العجوز تزداد ذعرا وقد أخرسته المفاجأة أو ربما الخوف والهلع، استدار وهو يحاول الهرب فاقترب الشاب منه من الخلف ووضع عنقه بين ساعديه وقرب السّكِينة منه ثم عاجله بها على رقبته وذبحه، ثم تركه يهوي على الأرض. نظر الشاب إلى العجوز وقال مثلك قد اكتفى من الحياة و اكتفت الحياة منه، فلتمت ليعيش غيرك أيها العجوز، أما هي فلن أتركها.

أسرع القاتل إلى الداخل فوجد إحدى الغرف مفتوحة ومضاءة فعلم أن العجوز قد أحضر النقود من هذه الغرفة فدخلها مسرعا ووجد حقيبة أخرى فعالج قفلها بسهولة فوجد فيها نقودا كثيرة. أخذ الحقيبة وخرج إلى الصالة فجمع النقود بحقيبة واحدة من الجينز كان يحملها على ظهره، ووضع الحقائب الأخرى تحت الأريكة. نظر إلى اللاب توب والهاتف المحمول فأخذهما ثم وضعهما داخل الحقيبة الجينز. خرج من باب الشقة و اتجه إلى الأعلى، إلى سطح العمارة.

***

داخل شقة أنيقة، صالة كبيرة متسعة، مستطيلة الشكل، يوجد هناك ثلاثة مكاتب كبيرة أنيقة وكل مكتب امامه كُرسيين وبينهما منضدة صغيرة وفوق المنضدة منفضة سجائر أنيقة. المكاتب متراصة على شكل مربع ينقصه

ضلع. يوجد، في ناحية أخرى، ثلاثة آرائك حديثة جلدية وكراسي استقبال. يوجد على أحد الحوائط لوحة إعلانية كبيرة مدون عليها شركة العامري للكمبيوتر، استيراد وتوريد ويظهر شعار الشركة أعلى اللوحة على شكل كمبيوتر بين كفين. الذوق العام ممتاز، يشد عين القادم من الخارج.

حاولت فتاة، تقف خلف أحد المكاتب، الاتصال برقم ولكنها زفرت بشدة وتمتمت «أريدك في شيء مهم، ليس هذا وقت إغلاق الهاتف». اتجهت إلى الشرفة وكانت الشقة في الدور الثاني، ثم نادت بصوت مرتفع أكثر من مرة «عبد الجواد»، حتى سمعت صوت يُلبي نداءها «حاضر يا أستاذة مشيرة» ثم ظهر لها رجل في العقد الرابع، من مظهرة تفهم أنه حارس العمارة أو البواب، أضاف وهو ينظر إلى أعلى

- خير يا أستاذة مشيرة

- الحاج إبراهيم لا يرد على المحمول، اصعد إلى شقته واطمئن عليه، هذه ليست عادته

- حاضر

نظر البواب إلى السماء فوجدها ملبدة بالغيوم، السحب تحجب شمس الخريف الباهتة، هذا الطقس الذي يفضله بعض الناس لسبب ما، يلفظه آخرون لنفس السبب فلا هو صيف ولا شتاء، يجمع طقسه بين صيف باهت وشتاء قادم، مرحلة انتقالية بين هذا وذاك. مشهد السحب الرمادية الكثيفة التي تخنق الشمس وتحجبها خلفها يبعث الخوف والترقب في قلب عبد الجواد. لاحظت مشيرة نظرته إلى السماء فنظرت إليها ووجدت هذا المشهد فشعرت بنفس الشعور، عقدت حاجبيها وتمتمت الكتاب واضح من عنوانه ثم اتجهت إلى الداخل.

اتجه البواب إلى داخل العمارة ثم إلى المصعد واستقله، لا توجد لوحة

المصعد التي تشير إلى الطابق الذي يقصده المصعد، خرج البواب منه ثم طرق باب إحدى الشقق ونادي بصوت مرتفع حاج إبراهيم، حاج إبراهيم ولم يرد أحد. خرج أحد الجيران من شقته ثم تحدث مع البواب فأخبره بالأمر وقررا ضرورة كسر باب الشقة، تعاون البواب والجار و انضم إليهما ثالث ورابع والبواب يقول دون إن يسأله أحد الحاج إبراهيم لا يرد. تعاونوا وكسروا الباب فإذا بالحاج إبراهيم راقدا على الأرض بمنتصف الشقة غارقا في دمائه وبجواره سكينة كبيرة. صرخ البواب قُتل الحاج إبراهيم ويكررها وهو يهبط سلالم العمارة وباقي الجيران و اقفون أمام شقة القتيل. هرول البواب حتى مقر الشركة وهو مازال يصرخ قُتل الحاج إبراهيم يا أستاذة مشيرة. سمعته مشيرة فانتفضت وصرخت. واصل البواب طلقاته وجدته مقتولا داخل الشقة، غارقا في دمائه، سأبلغ النجدة.

***

داخل شقة القتيل، تواجد العديد من رجال الشرطة وقام بعض رجال الطب الشرعي بوضع علامات على الأرض حول جثة القتيل لرسم موضع الجثة، وقام آخرون بمعاينة الشقة بكل تفاصيلها من أثاث وسجاد وحوائط، والتقط أحدهم صورللجثة وصورأخرى لحروف مبهمة مرسومة على الحائط بدم القتيل، التقط أحد الرجال مرتديا قفازا علبة دواء وحرزها داخل كيس من البلاستيك مُعد لذلك. وجه أحد الضباط أسئلته إلى الجيران والبواب ومشيرة وعمال الشركة، ثم كتب محضرا بالواقعة وقام الجميع بالتوقيع على المحضر. توجه الضابط إلى أحد رجال المباحث، شاب في أواخر العقد الثاني، بشرته قمحية فاتحة قليلا، شعره أسود قصير، ملامح وسيمة هادئة تتسم بالجدية. كان يرتدي زيا عاديا عبارة عن سروال جينزوقميص سادة سماوي. قال الضابط لرجل المباحث:

- انتهينا من المعاينة وأخذ أقوال الشهود يا محمود بيه
- حسنا يا سالم، ضع حارس على الشقة لحين مراجعة الطب الشرعي
- حسنا يا أفندم

انصرف رجال الشرطة والطب الشرعي. نقلت سيارة الإسعاف الجثة إلى المشرحة و انفض الجمع الذي تجمهر أمام العمارة للوقوف على أسباب الحادث والتقاط الأخبار وتناقلها فيما بينهم. ظلت مشيرة شاردة تكاد لا تصدق ما حدث. اقترب منها أحد الأشخاص ودعاها إلى العودة إلى منزلها وإغلاق الشركة، إطاعته لأنها لم تجد بديلا عن ذلك. بدت شاحبة أثقلتها الهموم فمن الواضح أن القتيل كان عزيزا بالنسبة لها أو موته يمثل لها مصيبة لم تتخيل عو اقبها. لملمت أشيائها بتثاقل وكأنها تأبى أن تعترف بما حدث. أوصدت باب الشركة وهبطت درجات السلم وقد اتشحت بالحزن وعينيها تفيض بمرارة جافة بلا دموع. حاول البواب أن يتحدث إليها ولكنها مضت كأن لم تسمعه فضرب كفا بكف شاعرا بالأسى من أجلها. انضم البواب مرة أخرى إلى بعض الجيران في الشارع الذين احتشدوا والتفوا حوله لمعرفة أي معلومات.

★★★

٢
الولد الصالح عمود البيت وضيائه

وصلت سيارة خاصة إلى منزل رقم ١٩ شارع الجابري بمنطقة الطوابق، شارع الملك فيصل. العمارة عبارة عن بناية تتكون من عشرة طوابق، حديثة البناء إلى حد ما، تتشابه في بنائها وشكلها الخارجي مع غالبية بنايات الشارع، أما الشارع فهو شارع متوسط المساحة، يبلغ اتساعه ثمانية أمتار، يتفرع شارع الجابري من شارع كعبيش وهو أحد أشهر الأحياء الشعبية في منطقة شارع فيصل بمحافظة الجيزة، تسمى المنطقة التي ينتمي إليها الشارع بمنطقة الثلاثة طوابق. نزل من السيارة شاب في العقد الثاني، طويل القامة إلى حد ما، ذو بشرة بيضاء وجسد رياضي، أضاف شعره الأسود القصير الناعم وعينيه الخضراء الواسعة ورموشه الطويلة نسبيا إلى هيئته قبولا كبيرا وجاذبية، تلك الخلطة العجيبة التي يتميزبها سكان المنصورة بمحافظة الدقهلية. كان يرتدي قميصا وسروالا عاديا. يمسك بيده اليمنى حقيبة سفر كبيرة وبيده الأخرى يساعد سيدة في أواخر العقد الخامس على السير، كانت متوسطة الطول، بشرتها بيضاء، عيونها خضراء، يكسو وجهها التجاعيد ولكن لم يغطي ملامحها الجميلة، يبدوا من ملابسها أنها قادمة من الريف الأصيل، ترتدي الجلابية السوداء الفضفاضة وتغطي رأسها بالشال الأسود. كانت تتمتم بصوت منخفض إلى الشاب ربنا يبارك لك في صحتك يا عصام ورد عليها بابتسامة حنونة ربنا يبارك لنا في صحتك يا ست الكل. تبعته فتاة في العقد الثاني، متوسطة الطول، تكاد تجزم من ملامحها أنها بنت السيدة، نفس الملامح الجميلة ولكن شعرها الأسود كظلام الليل ينسدل على كتفيها

كخيوط الحرير، تتمتع ببشرة بيضاء صافية وعيون خضراء واسعة ورموش طويلة نسبيا، تتمتع بنفس خلطة المنصورة في الجمال. كانت تحمل حقيبة سفر كبيرة أخرى بكلتا يديها. تبعتهم سيارة أخرى نقل ركاب (ميكروباص) تحمل بعض السيدات والرجال ويبدوا على الجميع أنهم من عائلة واحدة. كانت كل سيدة تحمل شيء في يديها، فهذه تحمل حقيبة صغيرة وتلك تحمل إناء طهي طعام ممتلئ بما لذ وطاب وهذا يبدو من طريقة حمله والحرص عليه. تشابهن فيما يحملن ولكن تنوعت ملابسهن بين الطلابية الفضفاضة والعباءة الضيقة وكلهن يتزيّن ويثرثرن وتعلو وجوههن ابتسامات جميلة كملامحهن. أما الرجال فلا يحملون شيئا في أيديهم ولكن يتسامرون بود و ابتسامات وكان عددهم أقل من عدد السيدات. هرولت إحدى السيدات لتسند السيدة الكبيرة بينما انتظر ابنها الذي كان يسندها خارج العمارة. دخل الجميع، عدا الشاب، إلى داخل العمارة، وبعد دخولهم وصلت سيارة نقل أثاث كبيرة، فور وقوف السيارة نزل منها ثمانية عمال، هذا ما يبدوا من هيئتهم وبينهم سائق السيارة. بدء الرجال في حمل الأثاث من السيارة إلى العمارة. والشاب يتابع بتؤدة ما يجرى حتى انتهى الرجال من نقل الأثاث فوقف يتكلم معهم ويبادلهم الابتسامات ثم أخرج بعض النقود الكثيرة وأعطاها لأحدهم وصافحهم بحرارة و انصرفوا.

***

بعد انصراف سيارة الأثاث توجه الشاب إلى محل تحمل لافتته ماركت المصطفى أسفل العمارة وطلب منه بعض الطلبات فجهزها له على الفور وخرج معها من داخل المحل وعينيه تفضحان تطفله وسأل الشاب:

- اعتقد أنك الساكن الجديد؟

- نعم، أنا عصام الساكن الجديد، في الدور الخامس.

- زدت الطو ابق كلها نورا، اعتبر المحل محلك من اليوم.
- أشكرك، أعزك الله
- الحاج مصطفى اسمي الحاج مصطفى
- جزيل الشكر يا حاج مصطفى، أنا عصام، مدرس علم نفس
- أستاذ عصام، أهلا بك، شرفتنا

شكره عصام وأعطاه النقود، تمنّع قليلا بكلمة ما تخلي ولكن عصام ابتسم وشكره مرة أخرى و انصرف ثم تمتم ما تخلى عندك دم وهات، تلك المقولة التي تأتي لخاطرنا عندما نسمع من الآخرين كلمة ما تخلى دخل عصام إلى العمارة، ثم ذهب إلى غرفة الحارس فلم يجد أحدا ووجد عليها قفل كبير، ما يعني أن العمارة ليس به حارس أو بواب كما يصطلح عليه في هذه المنطقة. اتجه إلى المصعد وحمد الله أنه غير معطل وضغط على زر الطابق الخامس. بعد أن ترك صاحب ماركت المصطفى وصل عصام إلى الشقة وكان بابها مفتوحا وخلية نحل تعمل بداخلها، فمن جاء معهم منذ قليل يساعد في وضع الأثاث وبينهم نجارا يوجه والكل يطيعه مع بعض الملاحظات. أطربه صوت يألفه يناديه بينما لم يخطوا إلى داخل الشقة

- هل حضرت يا عصام؟
- لا لم أحضر، ما زلت بالأسفل

سمع عصام ضحكات كثيرة تختلط بضحكته وضحكة ذاك الصوت الجميل. إنها خالته صفية، يحبها ويطرب لسماعها. ذهب مباشرة لمصدر الصوت ودخل إحدى الغرف فوجد صاحبة الصوت تضع بعض الملابس في الدولاب، كانت سيدة جميلة الملامح تشبه والدته إلى حد كبير وتصغرها على ما يبدو بعقد كامل، كانت تبتسم وتقول له

- الن تتوقف عن مشاكستي؟

- أحبك يا خالتي، ما زالت نغمات صوتك ترن في أذني و أنا أسمع منك أغنية نجاة
الطير المسافر.
- أعلم أنك تحب نجاة وأغانيها
- نجاة اعتبرها نسيج فريد من نوعه، وصوتها الدافئ يشعرني بالحنان وهذه الأغنية خصيصا في موسيقاها من الهدوء ما يشعرني بصفاء السماء ونسمات الربيع
- أخبرني يا ولد، أنا أحلى أم نجاة؟
- أنت طبعا يا حبيبتي، فكفى أن انظر لهذا الوجه الجميل البريء لأشعر بحلاوة وطهر أصولي
- ما هذا الكلام الجميل، كبرت يا عصام وأصبحت شاعرا
- دعك مني وغني لي الطير المسافر
- آه، لماذا تذكرنا بالذي مضى
- غني لي يا خالتي
- لا يصح يا ولد، الشقة بها رجال كثيرة
- كلمتين فقط بصوت منخفض
- لن أتخلص من إلحاحك (ثم ابتسمت وكأنها تريد أن تغني وتنتظر الفرصة)
وبعتنا مع الطير المسافر جواب وعتاب
وتراب من أرض أجدادي وزهرة م الوادي
يمكن يفتكر اللي هاجر أن له ف بلاده أحباب
ثم توقفت عن الغناء حينما دخلت والدته إلى الغرفة
- اترك خالتك يا حبيبي، نريد أن ننتهي الليلة أم تريد أن تنام فوق البلاط
- لا لا أريد،

قالها ثم غادر الغرفة وهو يبتسم و انضم إلى خلية النحل. مضت ساعات كثيرة و انتهى الرجال والنساء من العمل وأصبحت الشقة جاهزة لاستقبال الحياة الجديدة لهذه الأسرة. جلس الرجال على مائدة الطعام، بينما افترشت النساء أرضية المطبخ وكان عصام ينتقل بين الجميع، يدعوا هذا لتناول الطعام تارة ويضع مزيد من الطعام أمام آخر. انتهوا جميعا من تناول الطعام وغادروا جميعا ونزل معهم عصام ليصحبهم لباب السيارة الميكروباص التي تنتظرهم أسفل العمارة.

انتهى اليوم بكل متاعبه ودلف عصام إلى سريره بعد أن أخذ حماما، ووضع رأسه على الوسادة ولكن أبت أفكاره أن تتركه فتذكر المشكلة الكبرى التي أثرت على الأسرة بعد وفاة والده. أصر عمه عبد الكريم أن يزوج ابنه فاضل لياسمين ولكنها رفضت أن تتزوجه، و أبدت رغبتها في استكمال دراستها في الجامعة. اقترح عصام أن تتم الخطبة على أن يكون الزواج بعد انتهاء الدراسة ولكن عمه رفض أيضا هذا الحل و أبدى عدم رغبته في أن تستكمل ياسمين دراستها البنت مصيرها لزوجها وأولادها هذه المقولة التي ترددها القرية جميعها رغم ارتفاع نسبة التعليم الجامعي بين الفتيات فيها. تغيرت العلاقات بين الأسرتين بل وساءت كثيرا في الفترة الأخيرة بعد أن طلب عبد الكريم من عصام أن يبيع له نصيب الأسرة في الأرض التي كانت تدر دخلا على الأسرة ولو قليل. تذكر عصام نقاشه مع والدته وأخته حول هذا الأمر وكان أمامه اختيارين إما أن يبيع لعمه نصيب الأسرة أو يشتري نصيب عمه ولان العم يعلم تماما أن عصام لا يفقه شيئا في الزراعة وأمورها فقد اقترح الاختيارين حتى لا يظهر أمام الناس بدور الظالم لأبناء أخيه. و افقته والدته على بيع نصيب الأسرة في الأرض، فكر عصام أن يفتتح مشروعا في القرية ولكن بعد دراسة لأحوال السوق والبلد أعرض عن هذه الفكرة خوفا من

الخسارة خاصة وأنها ليست نقوده بمفرده ولكن لأخته ووالدته نصيب فيها هذه نقودك يا أمي و أنا حارس عليها، هذه العبارة كان يقولها دائما ويرددها حتى لنفسه. بعد أن تشاور مع والدته، عزم على بيع الأرض ووضعه النقود في البنك كوديعة، أراد أن يجعلها باسم والدته فأبت وأصرت أن تكون باسمه هو ليس لنا سواك بعد الله يا بُني. هكذا حمل عصام على عاتقه مسئولية الأسرة وهمومها. استقر رأي الأسرة على ترك البلد بعد أن قطع عبد الكريم وأولاده علاقتهم بأبناء عمهم ووجدها عصام فرصة للالتحاق بمدرسة كبيرة وحتى تستكمل ياسمين دراستها بكلية سياسة و اقتصاد بجامعة القاهرة. أجّل عصام أحلامه كشاب يريد أن يحب ويتزوج وشغل تفكيره بواجباته كعائل للأسرة وولي أمرها.

نزحت الأسرة من المنصورة قادمة إلى مصر- كما يطلقون على القاهرة والجيزة - لتستقر في محافظة الجيزة. كان لقدومهم إلى مصر سببين رئيسيين، أولهما التحاق عصام بعملة كمدرس للفلسفة بإحدى المدارس بمنطقة قريبة وثاني هذه الأسباب استكمال ياسمين دراستها بكلية سياسة و اقتصاد بجامعة القاهرة. توفى الأب وتركهم منذ ما يقرب من ثلاثة سنوات والعائلة تعتبر عصام بمثابة رجل العائلة ومنذ ذلك الوقت وأضاف عصام إلى عمره عشرة سنوات ليتقمص دور رب الأسرة ويتخطى مرحلة الشباب. عندما تنظر إليه تعلم أنه لم يتخطى الخامسة والعشرون وهو عمره الحقيقي ولكن عندما تتحدث إليه تحتار هل هو ابن الخامسة والعشرون؟ أم الخامسة والثلاثون؟.

★★★

٣
الخيال والمتعة يخرجان من رحم الغموض

داخل غرفة رئيس مباحث الجيزة، يقلب العقيد خالد شاكر عبد اللطيف بعض الأوراق على مكتبه ثم يختار بعض منها ويضعه داخل ملف ويضعه بدرج المكتب. خالد شاكر عبد اللطيف، ضابط مباحث كفء، في أوائل العقد الرابع، متوسط الطول، قوي البنية ويظهر ذلك على جسده الرشيق وعضلاته البارزة أسفل الملابس، يزحف الشيب على جانبي شعر رأسه، بينما اكتفى الشعر بهذه المساحة من رأسه على الجانبين وغلبه الصلع فاستولى على مقدمة الرأس ومنتصفه وعاد الشعر ليستولي على الجزء الخلفي من رأسه. يبدوا عليه التركيز الشديد وهو يلتقط إحدى الأوراق

طرق أحدهم الباب فبادر العقيد خالد بالرد بصوت مرتفع.

- ادخل

يدخل الرائد محمود نور الدين تبدو عليه اللهفة ويقدم ملف محشو بالأوراق.

- تفضل سيادة العقيد، هذه هي كل المعلومات التي استطعنا جمعها حتى الآن عن القتيل.

يأخذ خالد الملف من محمود:

- شكرا، ولكن لخص لي سريعا ما به حتى أتفحصه غدا صباحا لان اليوم كان مليء بالأحداث وقد انتهيت للتو الآن من قضية كبيرة، وأشعر أن راسي مثل البالونة التي تم نفخها بهواء زيادة عن حاجتها وأوشكت على الانفجار.

- كان الله في عونك يا سيادة العقيد، سأحرص على أن يكون تلخيصي للقضية مفصلا لأنها قضية غامضة من وجهة نظري. بعد تلقي بلاغ من

حارس أحد العقارات بمنطقة فيصل بأنه أثناء صعوده للاطمئنان على صاحب العقار وصاحب إحدى شركات الكمبيوتر بنفس العقار ويقطن في شقة بالدور الرابع بنفس العمارة وذلك بناء على طلب السكرتيرة بالشركة لأنه لا يرد على الهاتف ولم يستجب لِلطَّرَقَاتِ على الباب فقام الحارس بكسر باب الشقة بمعاونة الجيران ووجدوا المجني عليه غارق في دمه بصالة الشقة، فقام بطلب النجدة، توجهت قوة من القسم ووجدت القوة جثة رجل في العقد السادس من العمر ملقاة على الأرض في صالة الشقة وقد ذُبح بسكين كبير. قام القاتل بكتابة بعض العبارات أو الحروف بدم القتيل على أحد جدران الشقة. تم عمل التحريات المبدئية اللازمة وسؤال الجيران وحارس العمارة ولم تسفر عن شيء حيث أقر حارس العمارة أنه لم يرى أحدا غريبا على العمارة قد دخل أو خرج في هذا اليوم. القتيل يحيط نفسه بدائرة من الغموض. يعيش وحيدا في الشقة بعد رحيل زوجته وسفر ابنه للخارج للدراسة والعمل ولا يوجد لديه أصدقاء مقربين. لديه شركة خاصة في مجال استيراد أجهزة الكمبيوتر المستعملة من الخارج ومقر الشركة الإداري بنفس العمارة والمخازن أيضا بنفس العمارة. العمارة كانت ملكا له ثم باع أكثر من شقة منها واستبقي عدد أكبر من الشقق للانتفاع بهم بنظام الإيجار الجديد. لا توجد آثار عنف على باب الشقة. لا توجد بصمات كما وجدنا علبة من دواء --- المهدئ للأعصاب وبتحليل دم القتيل لم نجد أثر للمادة الفعّالة في الدواء وهي ---، وبهذه النتيجة يكون الدواء يخص القاتل. علبة الدواء عليها آثار دماء ولا توجد بصمات على العلبة أيضا، ومن الواضح أن الجاني كان يرتدي قفازا وعلي علاقة بالمجني عليه.

تمتم خالد ما هذه القضية الغامضة، لا شهود ولا بصمات ولا حتى معلومات كافية، القتيل ليس له أعداء ولا أصدقاء، ماذا أفعل، هل أحضر الجان أم اضرب الودع أو افتح المندل.

- في حقيقة الأمر، القضية تبدوا صعبة ولكن أعتقد أن الجاني ارتكب خطأ ما مع هذا الحرص الواضح عليه سيؤدي إلى كشف أمره. وسيادة العقيد خالد لن تستعصي عليه مثل هذه القضية.

- إنه توفيق الله، وعادة لا توجد جريمة كاملة.

أخذ خالد يقلب في أوراق الملف مرة أخرى ثم قال لمحمود

- ألا تلاحظ أن الجريمة تبدو عادية وغامضة في نفس الوقت

- كيف؟

- يبدوا الأمر طبيعي أن يُقتل رجل مسن يعيش بمفرده في شقته، رجل صاحب شركة، بالتأكيد لديه أموال بشقته تدفع أحدهم لارتكاب الجريمة، أو هناك خلافات مع أحدهم تدفعه للانتقام منه، ربما رائحة امرأة تداعب القضية من بعيد، أشعر بذلك.

- الرجل كبير السن، كيف لرائحة امرأة بالموضوع؟

- أن الرجل لا يكبر طالما قلبه يدق، خذ هذه الحكمة مني، ثم إنني أقول رائحة أمراه تداعب القضية من بعيد، ليست رائحة قوية

- البواب قال إنه لم يدخل أحد أو يخرج منذ الصباح الباكر

- لا تثق بكل ما يقال، سنرى في التحقيق

- لقد وضحت الأمر العادي، فلماذا القضية غامضة؟

- لان كل الشهود يقولون نفس الكلام، اذن هناك جانب آخر في حياة الرجل لا يعلمه إلا الله. ليس من الطبيعي أن تبدو حياته مثالية هكذا.

- تفسير منطقي يا أفندم

نظر خالد في ساعته ثم قال

- الساعة تخطت التاسعة مساء ولم تذق عيني النوم منذ أمس.

- كان الله في عونك يا أفندم.

- سنذهب للراحة الآن وغدا أريد كل، كل من تردد على المجني عليه؟ هل واضح! كل من تردد عليه، كبير، صغير، قريب، بعيد، أيا كان، أتذكر أن إحدى القضايا كشفها طفل صغير. كذلك كل من يعمل معه في شركته ومخزنه.

رد محمود وهو يفتح باب المكتب ويشاورل خالد

- أوامرك سيادة العقيد! تفضل.

خرج خالد أولا ثم تبعه محمود وتبادلا الحديث بصوت منخفض أثناء سيرهما في طرقة طويلة حتى وصلا إلى نهايتها حيث تنتهي بسلم إلى أعلى وآخر إلى أسفل، استأذن محمود و اتجه إلى الطابق الأعلى بينما اتجه خالد إلى السلم المتجه إلى أسفل وألقى التحية على بعض الضباط وهو يهبط درجات السلم. نظر محمود في ساعة يده ثم تمتم بابتسامة الحمد لله سوف أتمكن من حضور احتفال كمال بافتتاح مكتبه الجديد، مازال الوقت أمامي، كنت أخشى أن أظل حتى منتصف اليوم كعادة العقيد خالد.

★★★

٤
في كل شارع حكاية لها بداية ونهاية

في صباح اليوم التالي استيقظ عصام في صباح اليوم التالي على صوت ضجة في الشارع وأصوات أولاد صغار، فنظر من الشرفة فوجد بعض الأطفال يهرولون خلف شاب طويل القامة عريض المنكبين يرتدي جلابية متسخة وشعره ملبد طويل وهو يجري أمامهم ثم توقف وأمسك ببعض الأحجار من الأرض وقذفهم بها فتفرقوا ثم اجتمعوا مرة أخرى. سمع صوت والدته تناديه بعد أن سمعت صوت باب الشرفة وصوت الستائر تتحرك فعرفت أنه استيقظ، خرج إلى الصالة فقبل رأسها ثم طلبت منه شراء طعام الإفطار. نزل عصام وما أن اقترب من ماركت المصطفى حتى قابلة الحاج مصطفى بالترحاب وصافحه بحرارة. قبل أن يطلب منه شيئا سأله عن الأولاد ومن كانوا يطاردونه فقال الحاج مصطفى

- هؤلاء الشياطين لا يتركون الرجل في حاله، دائما ما يضايقونه رغم أنه مسكين ومسالم ولكنهم شياطين.

- هل تعرف حكايته؟

- نصر يعيش بيننا منذ زمن، كان يعيش في البداية مع والدته أم نصر ولكنها توفيت العام الماضي. كانت تدافع عنه وتمنع هؤلاء الشياطين من ملاحقته اما الآن فهو يعيش بمفرده، نصر هادئ الطبع ولكن أحيانا أخشى إن امسك بأحد هؤلاء الشياطين أن يجعله عجينة في يده(ضحك وسعل بشدة في نفس الوقت).

جسم كبير وعقل طفل صغير. حالته بدأت تسوء يوما بعد الأخر، لم يكن

مظهرة هكذا. كانت والدته تحافظ على نظافته وكنا نتعجب من ابتسامته التي لا تفارقه، أما الآن فالجميع يضايقه كبار وصغار

- أتعلم يا حاج مصطفى أن ما يفعله الناس مع نصر يعد نوع من التنمر

ظهرت علامات تعجب على الحاج مصطفى وقال

- التنمر! لقد سمعت هذه الكلمة أمس أو أول أمس ولكن ما معناها؟ أرجو أن تبسط لي المعنى لأنه طالما سمعتها ونسيتها فبالتأكيد كانت صعبة الفهم على.

ابتسم عصام وهز رأسه علامة على فهم مغزى الحاج مصطفى:

- سوف أبسط لك الأمر، التنمر هو الاستقواء أو الترهيب، طرف يستقوي على طرف آخر ويرهبه ويسبب له أذى، هو نوع من الإذلال. فمثلا في حالة نصر، الكبار والصغار يستقوون عليه ويسببون له الأذى الجسدي(الرمي بالحجارة) واللفظي (يا عبيط). كذلك من الممكن أن يكون التنمر مباشر مثل ما يحدث لنصر أو أن يعاكس أحدهم فتاة أو سيدة على سبيل المثال. هناك نوع آخر غير مباشر كأن تنشر شائعة حول شخص ما فتسبب له الأذى.

- حسنا، جزيت خيرا، لقد فهمت، أنت معلم ممتاز توصل المعلومة بأسهل الطرق

يبتسم عصام

- وكذلك أنت رجل ذكي وتفهم المعلومة وهي طائرة

(يبتسم عصام وكذلك الرجل). ثم أكمل عصام حديثه

- أستأذنك الآن وللحديث بقية. والآن، هل توجد مكتبة قريبة لأشتري بعض الأقلام والأوراق؟

- نعم، مكتبة الأستاذ رفعت مدرس اللغة العربية، كان مدرس قدير، وخرج على المعاش وفتح المكتبة، هي في نهاية الشارع، وبجانبها تجد محل الفول والفلافل، أنا أعلم أنك تريد معرفة المنطقة جيدا، وقبلها محل السيدة

أنهار، ولكن احذر منها فعلي لسانها تجري انهارا من السباب.
قاطعه عصام
- احذر!! هذا نوع من التمر غير مباشر
- نعم، نعم، أنا لا أتذمر ولكن اِحْذَرْ فقط (يكرر ضحكته مع السعال كأنها سيمفونية شاذة محفوظة) ثم يستكمل حديثه
- وتجد لدى أنهار كل ما تريد من فواكه وخضروات، اما في الشارع المجاور تجد محل بيع اللحوم والأسماك المجمدة.
- جزيل الشكر يا حاج مصطفى، لقد اختصرت علي الكثير
- لا شكر على واجب فالجيران لبعضها.
صافحه عصام و انصرف متوجها إلى المكتبة ثم تمتم كنت أريد فعلا شراء الفلافل وبعض الخضار. انتهى عصام من شراء الأدوات المكتبية ثم اتجه إلى محل السيدة أنهار فوجد أحدهم يقول لفتاة جميلة تبيع الخضار بالمحل أعطني طماطم حمراء كهذه الخدود الجميلة ولكن وجد ردا قاسيا من الفتاة تريد أن تعرف ما هي الحمراء، وهنا ظهر قوس قزح على وجه الرجل ولاحظ أن عصام يتابع الحوار فترك الخضار ووجه لها بعض السباب بصوت منخفض و انصرف. توجهت الفتاة بالحديث إلى عصام وقد لاحظت ابتسامته لا مؤاخذة يا أستاذ، يوجد نوع من البشر مثل المسمار المعوج لا يستقيم إلا إذا طرقت فوق رأسه بالمطرقة. أعجبه منطقها في موضوع المسامير هذا وتمتم لقد وأدت التنمر في مهده. طلب ما يريد واشتراه و انصرف.
عاد عصام إلى الشقة بعد أن اختتم رحلة تسوقه الصباحية بشراء الفول والفلافل فوجد والدته تكمل وضع الملابس في الدولاب وكذلك أخته تساعدها. دعاهم إلى الإفطار فتركوا ما يفعلون ولبوا نداء البطون، وسأل عصام ياسمين عن الجامعة

- متى ستذهبين للجامعة لمعرفة جدول المحاضرات، فالعام الدراسي سيبدأ الأسبوع القادم.
- غدا إن شاء الله، وسوف أتصل بكل من علا وسهام لنتقابل بالجامعة ونجلس سويا لبعض الوقت بعد أن نعرف مواعيد المحاضرات.
قالت والدتهما
- حسنا ولكن لا تتأخري، فلم أتعود أن أبقى وحيدة بالمنزل، رفقا بي يا ابنتي
- لماذا تبقي وحيدة، عصام موجود.
- من المؤكد أنه سيذهب للمدرسة لاستلام العمل
نظر إليها عصام وقال
- بالفعل، يجب أن اذهب لاستلام العمل غدا ومعرفة أحوال المدرسة، أتمنى أن أجد المتسع لتحقيق ما أريد. نسيت أن أخبركم أنني سأذهب مساءً مع محمود لتهنئة كمال بافتتاح مكتب المحاماة الجديد.
لاحظ عصام لمعة غريبة في عيني ياسمين مع ابتسامتها بعد هذه الجملة ولكنه لم يفهم مغزى ذلك. قالت الأم
- لقد سمعتك تهنئ محمود على استلامه العمل الجديد، هل تمت ترقيته؟
- نعم، استلم محمود عمله الجديد منذ أسبوع بإدارة المباحث بمديرية أمن الجيزة، والمصادفة الجميلة أن كمال سيفتتح اليوم مساءً مكتب المحاماة الخاص به أيضا بشارع الملك فيصل، هذا يعني أن مكان عملنا أصبح قريبا وكذلك مكان السكن.
- وفقكم الله يا بني وسدد خطاكم. سأتوجه لتناول دواء الحموضة فالقولون يتعبني جدا بعد أكل الفول والفلافل، ولا تلومني على أكلهم مثل كل مرة، فانا لا أستطيع مقاومة الفلافل وهي ساخنة.
خرجت ضحكة من قلوبهم قبل أفواههم اشتاقوا إليها كثيرا.

★★★

٥
أسعد لحظات حياتي بين أحضان أسرتي

عاد العقيد خالد من عمله، دخل من باب شقته وحاول السير ببطء وهدوء. الشقة متوسطة المساحة ومتوسطة الأثاث؛ الصالة عبارة عن صالة استقبال (ريسبشن) كبير مستطيل الشكل، وينقسم إلى قسمين دون فواصل، الأنتريه في البداية قرب باب الشقة والصالون في الجزء البعيد عن الباب، توجد بعض اللوحات الجميلة تزين الجدران. وتتوسط الصالة منضدة الطعام. ينظر إليها خالد ويتمتم في سره بصوت منخفض

هل مقسوم لي أن أتناول الطعام علي كي اما في المطبخ مثل أمس؟ !

لم يكد ينتهي من حديثه حتى خرجت زوجته الدكتورة أمل من الداخل وتثاءب بشكل رقيق ثم تحدثت بصوت ناعم منخفض وهي تبتسم ابتسامة رقيقة بينما تضع بكرات ملونة تستخدم في لف الشعر على رأسها

- خالد! هل حضرت؟

ينظر إليها بابتسامة حانية

- لا، لم أحضر، مازلت في المديرية

يضحك خالد بصوت منخفض وهو يعود برأسه إلى الخلف. بينما تبتسم أمل أنت لا تترك مناسبة إلا وتعلق على هذه الجملة، ما علينا، حمد لله على سلامتك.

ابتسم خالد ثم اقترب منها ممسكا كفيها بين راحتيه وقال

- سلمك الله يا حبيبتي، ألا تَزَال مستيقظة؟
- لا، لم أستيقظ بعد، واحدة بواحدة
ضحك خالد وهو يعود برأسه إلى الخلف وارتفع صوت ضحكته قليلا
- صوتك يا خالد، الأولاد نائمون
أشار خالد بيده معتذرا وعلي وجهه ارتسمت ابتسامة رقيقة، أضافت أمل
- هل تناولت العشاء
- ولا حتى الغداء
- كان الله في عونك، هل أحضر لك عشاء أم غداء
- عشاء خفيف أفضل
همت أمل بالاتجاه نحو المطبخ
- انتظري لا تُتعبي نفسك سأتناول أي شيء من المطبخ
- لا، لا، سوف أجهز لك عشاء خفيفا وكوب شاي كما تحب
- أنت تعرفين ماذا أحب، أليس كذلك
قالها وهو يبتسم ويكرر
- أليس كذلك
ابتسم خالد وكذلك أمل التي ابتسمت ثم اتجهت إلى المطبخ
- خد حمامك و أنا سأجهز لك العشاء
ابتسم خالد ابتسامة عريضة ثم اتجه إلى الحمام

***

في صباح اليوم التالي، استيقظ خالد من نومه فسمع صوت زوجته الدكتورة أمل وهي تنادي على أولاده أحمد وهايدي للاستعداد للذهاب إلى المدرسة، ابتسم خالد حين سمعهم وهم يشاكسون والدتهم، جلس أحمد وهايدى على السفره بالذيّ المدرسى. خرجت أمل من المطبخ تحمل كيس ساندوتشات وتضعه على السفرة وتردد العبارة التقليدية

- هيا أسرعا

أحمد وهايدي يكملان العبارة بحس به فكآهة

- أحمد، هايدي، سوف تتأخران على سيارة المدرسة، هيا أسرعا

خرج خالد من غرفته وهو يضحك بصوت مرتفع، عاد برأسه إلى الخلف وقد سمع ما ردد أحمد وهايدي، سمع صوت أمل وهي تقول

- ليصح هذا يا أولاد، أتسخرون من ماما

كأنهما لم يسمعا أمل ويقفزان من على الكراسي باتجاه خالد

- بابا بابا، أنت هنا اليوم، أخيرا سنراك في الصباح قبل المدرسة، هي هي

يلثمهما خالد ويحتضنهما

- ماما هي السبب

تنظر إليه أمل بابتسامة وتشاور بيديها (علامة على العتاب) وتنظر إليه نظرة ثاقبة

يتدارك خالد ما قال:

- آه آه أقصد أن ماما هي من أخبرتني أنكما تريدان رؤيتي في الصباح قبل المدرسة و أنتم تعلمون أن عمل الضابط صعب ويجب أن يسهر لكي ينام الناس في أمان

وضعت امل الأطباق على منضدة الطعام

حسنا اليوم سأسمح لكما بتناول الإفطار مع بابا و أنا سأوصلكما بالسيارة فى طريقى الى المستشفى.

قال خالد وهو يجلس على كرسيه المفضل على رأس المنضدة

- شكرا يا دكتورة

- هي هي بابا بابا ماما ماما

جلست الأسرة لتناول الإفطار سويا وتبادل الحديث في جو من المرح والألفة.

***

داخل شقة شاكر عبد اللطيف، والد خالد، مدير سابق بالتربية والتعليم، يجلس شاكر على أريكة الأنتريه ويمسك بالجرائد يقلبها ثم ينظر للهاتف ويضع الجريدة التي كانت بيده ويأخذ جريدة أخرى، وينادي بصوت مرتفع زوجته خديجة

- يا حاجة، يا حاجة

من الداخل تجيبه خديجة

- نعم يا حاج سأحضر حالا

- ألم يتحدث خالد اليوم في الهاتف؟

- أنت تنتظر بجانب الهاتف منذ صلاة الفجر يا حاج.

لم يعلق شاكر بل نظر إلى الهاتف وإذا به يرن فالتقطه بسرعة

- وعليكم السلام، لماذا تأخرت في الاتصال يا بَنَى، ألا تعلم أنني أنتظر بجانب الهاتف حتى اطمئن عليك وعلي الأولاد كل يوم.

بينما على الجانب الآخر أمسك خالد سماعة الهاتف وهو يتحدث جالسا على الأريكة في الصالون، ابتسم قليلا متحدثا إلى والده

حسنا يا بابا لن أتأخر مرة أخرى في الاتصال، لكن هذا دون إرادتي، أن الأولاد ذهبوا إلى المدرسة حالا مع والدتهم بسيارتها لإن لم يستطيعوا اللحاق بأتوبيس المدرسة.

صمت قليلا يستمع لوالده

حسنا، سيتصلون بك فور عودتهم من المدرسة، حسنا، مع السلامة، مع السلامة يا بابا

وضع سماعة الهاتف ثم اتجه خالد إلى الداخل لاستكمال ارتداء ملابسه استعدادا للذهاب إلى عمله وخرج إلى الصالة مرة أخرى ليلتقط متعلقاته من على منضدة السفرة ثم اتجه إلى باب الشقة وخرج.

★★★

٦
اللحظات الجميلة تزداد جمالا بين أصدقائي

كان كمال سعيدا أثناء افتتاح مكتب المحاماة الجديد، كان مرحا ينتقل بين الناس وهم يهنئونه على مكتبه الجديد، وهو يصافحهم بحرارة ويتنقل بينهم ويحثهم على تناول الجاتوه والعصائر. نظر كمال في ساعته ثم إلى باب المكتب وكأنه ينتظر شخص ما.

- ألف مبارك أستاذ كمال، حظ موفق بإذن الله

- جزيل الشكر سيد حاتم، بالطبع اعتبر المكتب في خدمتك من اليوم و أنا بالطبع قبله.

- رسم ابتسامة على شفتيه وقال

بمناسبة المكتب، أنت تعلم أني سأرشح نفسي في انتخابات المحليات القادمة وأريدك أن تساعدني في الحملة الانتخابية

- أنا في خدمتك، حدد لي دوراً و أنا سأقوم به على أكمل وجه

- أريد من يتولى لي الدعاية الإلكترونية

- هذا أمر بسيط، غدا أحضر لك أحدهم

- الأهم، أريد عمل ندوات لأهل الحي وهذا أصعب ما في الموضوع

- ندوات!!! عن ماذا؟

-يفضل شيء تهتم به الناس

فكر كمال لفترة وهو يتحسس رأسه ثم ذقنه وقال

- ما رأيك في موضوع التنمر إن كل وسائل التواصل الاجتماعي السوشيال ميديا تقريبا تتحدث عن هذا الموضوع هذه الأيام

- موضوع رائع فعلا، والناس تهتم به
- وعندي صديق يعمل مدرس لعلم النفس ولديه رغبة في توعية الناس بهذا الخطر المسمى التنمر ولديه القدرة علي المحاورة وإدارة المناقشات. كان متميزا عندما كنا في اتحاد الطلبة في الجامعة.

ظهرت على حاتم علامات الاهتمام

- عظيم، أريد أن أقابله لترتيب الأمر.
- بالطبع، ولكن سوف أقابله غدا واشرح له الأمر في البداية قبل أن تقابله لعرض الأمر عليه. بالمناسبة هو أوشك على الحضور وسوف أعرفكم ببعض ويمكنك عرض الأمر عليه أن شئت أو أتحدث إليه أنا أولا.
- حسنا، لا بأس، لنتركها لظروف المقابلة.

دخل عصام من باب المكتب ومعه شخص آخر، قابلهما كمال بحفاوة بالغة ثم دعاهما للانضمام إلى الحضور وقال

- كانت فرحتي لن تكتمل إن لم تحضرا

رد عليه عصام وهو يبتسم

- وهل نستطيع أن نتركك في مثل هذا اليوم؟

ابتسم كمال وهو يلوح بيده

- اعتز بصداقتكم أحبائي.
- هذه حقيقة يا كمال، يجب أن نكون بجانبك في مثل هذا اليوم.

شاركهم الشخص الثالث في الحوار

- وماذا عني، هل اكتفي بالمشاهدة؟
- دائما ما تقطع لحظاتنا الجميلة يا حضرة الضابط محمود

ضحك الأصدقاء وقد مالوا برؤوسهم للخلف وأسرع عصام بقوله

- أنت الذي تصمت طوال الوقت واليوم يبدو أن أمرا ما يشغلك

- نعم، عندي قضية تشغلني وأريد رأيك فيها يا عصام من الجانب النفسي ورأيك أيضا يا كمال من الجانب القانوني

أشار كمال بيده أن انتظروا

- دعونا الآن أعرفكم علي صديق مهم بالنسبة لي وكذلك تتعرفون على باقي الحضور، لنتقابل غدا في مطعم هادئ أعرفه وأدعوكم على الغداء لنتحدث في الأمر

ردد الصديقان في آن واحد

- دعوة مقبولة يا متر

رد كمال ساخرا

- بالطبع، هي فرصة ولن تتركوها

أشار إليهم بالتوجه إلى حيث يجلس حاتم الهمشري الذي وقف بدورة و أبدى مودة شديدة وهو يصافح عصام ومحمود. طال الحديث بين عصام وكمال من جهة وحاتم من جهة أخرى حول أحوال أهل الحي والخدمات الممكن تقديمها لهم والحملات الأمنية التي ينبغي القيام بها من قسم الشرطة للقضاء علي الخارجين عن القانون وقص عليهم محمود بعض قصص الجرائم التي قابلته في العمل. تركهم كمال و اتجه إلى بعض الحضور وكان طوال الحفل ينتقل بين الحضور ليحتفي بالجميع وبعد قرابة الساعتين انتهت الحفلة و انصرف جميع الحضور وظل كمال بالمكتب ليباشر تبعات الحفلة مع العمال.

★★★

٧
للسعادة أبواب كثيرة وأفضل أبوابها بداخلنا

وصل خالد إلى مكتبه بالمديرية وشرع في استدعاء محمود ثم تذكر استئذانه ليقابل صديقه الاختصاصي النفسي لأخذ رأيه في القضية بعد أن علموا أن علبة الدواء التي وجدوها بجانب القتيل تعني أن صاحبها يعاني من مرض نفسي. اخرج هاتفه المحمول ثم أجرى اتصال بزوجته يطمئن عليها وعلي أولاده و أنهى الاتصال ثم أخرج مفكرة صغيرة من درج مكتبه ينظر فيها ثم ارتفع رنين هاتفه، فظن في البداية أن أحد يتصل به ثم تذكر أن هذا الصوت هو صوت منبه الهاتف المحمول وليس صوت الجرس فنظر فيه، ظهر عليه بعض الاهتمام وهو ينظر إلى الهاتف المحمول ثم تمتم وهو يلملم حاجياته بعد أن كان قد أخرجها من سترته وهب و اقفا وقال إنه ميعاد النيابة للإدلاء بأقوالي في القضية السابقة وأرجو ألا أظل هناك للمساء كالمعتاد. ارتدى سترته وخرج من باب المكتب.

أنهى خالد جولة النيابة التي عاد منها متأخرا كما كان يخشى، توقف وهو في طريقه إلى المديرية أمام مطعم شعبي بمنطقة الجيزة لتناول الغداء. وجد عناء في البداية ليجد مكان ليركن سيارته ثم أخيرا وجد مكانا يكاد يستوعب سيارته، بعد أن انتهى من ركن السيارة بصعوبة نتيجة تكدس السيارات انشقت الأرض وخرج عفريتا يطلق عليه سايس السيارات قال له خالد بابتسامة أين كنت و أنا لا أجد مكانا لركن السيارة، تظهر فقط حين تنتهي المشكلة، وتظهر عند الانصراف لتأخذ المعلوم. لم يعبأ الرجل بكلماته وقال لا، أنا أخذ المعلوم مقدما يا بيه.

كان السايس لا يرى خالد جيدا وهو يقول له ذلك، ولكن بعد أن استدار خالد وشاهد المسدس خلف سترته واضحا، علم أنه ضابط. رجع إلى الخلف وقال وهو يتلعثم في الكلام نهار أسود، لساني طويل يا باشا، سامحني

انتشر استخدام كلمة باشا بين الناس لمخاطبة بعضهم بعضا سواء يعرفون بعضا أولا، وربما تستخدم حين لا يتذكر أحدهم اسم الآخر أو وجد صعوبة في استرجاع اسمه وهو يلقي عليه التحية أو يخاطبه. كانت كلمة باشا تقتصر في الماضي القريب على الضباط وذوي المناصب العليا. كلمة باشا لها أصل تركي وكانت لقب فخر في الدولة العثمانية يمنحه السلطان العثماني إلى السياسيين البارزين، والجنرالات والشخصيات الهامة والحكام. وتطور استخدام اللفظة حتى اختفى أصلها وتستخدم حاليا بمعنى التوقير والتفخيم.

نطق بها السايس هنا مخاطبا خالد طالبا رضاه بعد أن علم هويته. ابتسم خالد ثم أشار إليه أن يقترب منه، شعر الرجل بالخوف فقال آخر مرة يا باشا فقال خالد وهو يخرج نقود من جيب سترته وقال

- خذ هذا ولكن تحدث بأدب مع الناس، من حظك أني طويل البال، ولو غير ذلك ف... ولن أكمل، أنت تعرف الباقي

- عارف يا باشا، درس ولن أنساه

اتجه خالد إلى منضدة في ركن المطعم، جاء إليه النادل فطلب منه ما يشتهي من طعام وظل يدور بعينيه يبحث في وجوه مرتادي المطعم وهو يتناول الطعام. شاهد بعضهم يتناول الطعام بتؤدة، وآخرون يسابقون الزمن في طريقة تناولهم الطعام وكأن أحدهم يهددهم ويدفعهم للانتهاء من الطعام بسرعة. ظل يجول بعينيه بين هؤلاء وهؤلاء حتى وقعت عينيه على رجل كبير السن فعلت به الأيام ما فعلت، أثقل الهم والفقر ظهره فمال به، كان الرجل يطلب شيئا من رواد المطعم، فكان هذا يرده وهذا يعطيه، كانت عيني الرجل

لا تنظر إلى الأطباق بل أطال النظر إلى الأسياخ المليئة بالدجاج وهي تتلوى فوق لهب الشواية ورائحة الشواء من شواية الفحم الأخرى تزكم الأنوف، هَمّ أحد عمال المطعم أن يدفع الرجل للخارج حتى لا يضايق الزبائن، فقام خالد من مكانه وذهب إلى الرجل واصطحبه حتى المنضدة التي يجلس عليها ثم طلب له طعام مثلما طلب لنفسه وظل يمازحه حتى ابتسم. شاهد خالد في عيني الرجل دمعة محبوسة يحرص صاحبها على ألا تفلت منه، ولكن الرجل لم يتحمل الموقف و أفلتت الدمعة فمسحها سريعا وهو يقول لخالد ربنا يعزك يا ابني. بعد نصف ساعة، نادى خالد النادل مرة أخرى ليعطيه حساب طعامه وطعام ضيفه وبعض النقود زيادة له، ابتسم النادل لخالد فربت خالد على كتفه ثم نظر إلى ضيفه وأعطاه بعض النقود واستأذنه لينصرف. قبل أن يغادر المطعم أعطى الرجل بطاقة تعريف (كارت شخصي) وطلب منه الاتصال به إذا واجه أي مشكلة أو احتاج شيئا.

خرج خالد من المطعم، داربعينيه باحثا عن السايس فلم يجده، ابتسم وركب سيارته و انطلق بها. فتح خالد راديو السيارة فسمع المذيعة تقول

هناك الكثير من المشكلات حول مهنة منادي السيارات أو"السايس"، حيث تسود حاليا حالة من النفوروالغضب في الشارع المصري نظرا لتحول هذا العمل إلى مهنة من لا مهنة له ومصدر رزق دون بذل أي جهد أو الحصول على شهادة تعليمية. السايس مهنة خرجت من رحم الازدحام اليومي لشوارع القاهرة و انتقلت تدريجيا إلى المحافظات.

علق خالد قائلا رحم الازدحام تعبير جميل

كان الصوت مازال يتدفق من الراديو

هذا المنقذ يختفي أثره تماما عندما لا يكون بمقدوره توفير مكان للركن لكنك تفاجأ به و أنت مغادر بسيارتك يقفز أمامك يريد مكافأة لا يستحقها ولم يبذل في سبيلها أي جهد.

علق خالد قائلا مثلما حدث معي تماما.

ضغط خالد ذر الراديو ليغير المحطة فيجد أغنية غريبة، يرفع حاجبيه ويضغط أكثر من مرة ليصل إلى محطة بها صوت فيروز المحبب إليه وأغنيتها أنا لحبيبي وحبيبي إلى. استمع وردد كلمات الأغنية

أنا لحبيبي وحبيبي إلي،

يا عصفورة بيضا لا بقي تدينا،

لا يعتب حدا ولا يزعل حدا،

أنا لحبيبي وحبيبي إلي

ظل خالد يردد كلمات الأغنية وهو يبتسم ثم أخرج هاتفه المحمول ووضع سماعاته في أذنه وطلب رقما ثم دار هذا الحديث بينه وبين أمل

- تتذكرين هذه الأغنية (يصمت قليلا لتسمعها)

- نعم وهل أنساها، عرفتك أول مرة وكنت أغنيها في حفلة بالكلية ورايتك ترددها وتنظر إلى مركزا عينيك في عيني فسمعت صوتك يرددها بين مئات الحضور، ولا أعرف كيف حضرت حفلة في كلية طب و أنت في كلية الشرطة

- كنت خريجا جديدا، سعيدا ببذلة الضابط، ولكن عندما رايتك نسيت الدنيا وما فيها ومن فيها، و انتظرتك حتى انتهيت من الأغنية وذهبت إليك، وسألتك عن فيروز ولم أسمع مما قلتيه شيئا، وكنت أبحث عن الأسئلة لأفتح حوارا ولا اسمع الإجابة.

- كنت مجنونا، كل صديقاتي لا حظوا ذلك، ولم أتخلص من همزاتهما وغمزاتهم إلا بعد خطوبتنا

- لم أتأخر و أنقذتك، أسبوع واحد فقط بعد أن رأيتك بالحفلة ولولا مساعدة الحاج شاكر ما كنت استطعت أن أتقدم لك و أنا خريج جديد. الأغرب أنه شجعني على الارتباط وهو يعلم أني لا أملك شيئا

- بالتأكيد عرف أنك ولد شقي وأراد أن يقيدك بالمسئولية
- أجمل قيد ورباط. ما رأيك نستمع إلى فيروز اليوم سويا
- مو افقة، بعد أن ينام الأولاد
- حسنا، يا حياتي
- لكن، ما هذا المزاج المرتفع الذي تتمتع به اليوم، أين كنت؟
- الزوجة هي الزوجة مهما حدث، حسنا، أنا عائدا من النيابة و اتجه إلى المديرية، ومررت بمطعم وتناولت الغداء
- ألم أحذرك من الأكل بالمطاعم
- كنت جائع جدا والحمد لله أكلت وشعرت بالشبع
- مزاجك تحسن بعد الأكل، هكذا أنتم الرجال، صدق من قال الطريق إلى قلب الرجل معدته
- لا، معك أنت تعرفين الطريق إلى قلبي

ضحكت أمل كثيرا ثم قالت

- هذا الكلام يمثل خطرا علي قبل أن أقوم بإجراء عملية بعد دقائق
- حسنا حبيبتي، أنا أيضا أوشكت على الوصول إلى المديرية.

ودعها خالد وأغلق الهاتف.

★★★

٨
الحياة جميلة منى حرصنا على تلوينها بألوان زاهية

في صباح اليوم التالي وبعد أن تناول عصام إفطاره مع والدته وأخته، نزل بصحبة أخته إلى الشارع وظلا يتحدثان وهما يسيران و ابتسمت ياسمين وقالت

- ألم يطرق الحب باب قلبك؟

- الحب، أنت يا صغيرتي تتحدثي عن الحب، لقد كبرت يا ياسمين، حسنا، سأجاوبك، أن الحب يظل هدفا لكل من يحمل قلب ينبض، عندما يولد الإنسان وهو طفل صغير يبحث عن من يحبه فيبادله الحب، من المؤكد أنك لاحظتِ في الطفل الصغير أنك أن أحببتِه وعبرتي عن حبك له باللعب والحلوى و أنت لست حتى من أقاربه فسوف يحبك؛ أن بغضه أبيه ونفر منه وبعد عنه فسوف يبغضه. هكذا يولد الإنسان وهو يبحث عن الحب ويسعى إليه وهكذا في كل مراحله، فالطالب ولدا كان أو بنتا يحب معلمه الذي يحبه ويهتم به دون غيره من المعلمين. يبلغ الإنسان وتتداخل أشياء كثيرة في حكمه على الحب، فحب الرجل ليس كحب الأنثى وحب الفتاة الصغيرة ليس كحب السيدة الكبيرة.

- أنك فيلسوف يا عصام حتى عندما تفكر في الحب، ولكن لم تجاوبني

- الحب الذي تعنيه لم يطرق باب قلبي بعد ولكن أحب أن أقول لك إن بعض الشباب والفتيات يبحثون عن الحب لأنهم يريدون أن يكون لديهم حبيب فقط، لمجرد أن تتفاخر الفتاة بحبيبها أمام صديقاتها، وكذلك هو؛ هذا ليس حبا إنما لهوا. البعض الآخر يتعجل الحب، يبحث عنه، حتى أن الشاب

يقول لنفسه أريد أن أحب. ثمة صنف آخر يشعرون أنهم بحاجة إلى الحب، يشعرون بالحاجة إليه وخاصة في وقت وجود مشكلات مع ذويهم. صنف آخر يريد أن يعيش الحالة، حالة الحب، حتى أنه يَهم نفسه أنه وجد الحبيب، ربما كان الطرف الآخر يعلم ويبادله شعوره أو حتى لا يعلم وهذا في غالب الأمر يكون متأثر بالحب الأفلاطوني. أما الحب الحقيقي فهو الذي يخطفك دون سابق إنذار، دون أن تنتظره أو تبحث عنه أو تتمنى حالته، تجد نفسك في منتصف البحر دون أن تدري متى وكيف و أين ركبت المركب. ثمة أشياء إن لم تتواجد مع الحب فلن يصبح حبا ناضجا، فالحب هو الزهرة والرحمة هي أرضها الخصبة والاهتمام هو مائها والوفاء والإخلاص هوائها فإن لم تتواجد هذه الأشياء فكيف تحيا الزهرة.

- الله الله يا فيلسوف، أقسم لك أنني لم أسمع هذا الكلام من قبل

- وما هو الكلام الآخر الذي سمعتيه عن الحب؟

وهنا ظهر قوس قزح على وجه ياسمين علامة على الخجل ولم تستطع الرد، فبادر عصام حتى لا يضطرها إلى قول شيء لا تريده

- حسنا، يا حبيبتي، لن ألح عليكِ في الكلام وان أردت الحديث معي عن أي شيء فكلي آذانا مُصْغِية.

أرادت ياسمين أن تغير الحديث فقالت

- أليست كلي آذان صاغية

ابتسم عصام وقد فهم أنها أرادت أن تغير دفة الحديث

- لا، فالفعل صغى يعني مال، فنقول هو صاغ وهي صاغية،؛ أما «أصغى» فتعني أحسن الاستماع، فنقول هو مُصْغٍ، وهي مصغية.

- ما هذه البلاغة، هل تذاكر النحو دون علمي.

- ما علاقة ما أقوله بالنحو، أنت تحتاجين إلى إعادة المرحلة الإعدادية مرة أخرى،

ثم أضاف باستنكار ممزوج بالسخرية والفكاهة

- ونتعجب لما نجده من أخطاء فادحة في اللغة.

ابتسمت ياسمين وقالت

- اعتذريا أخي، ولكن لا مجال لإعادة الإعدادية لأننا وصلنا للسيارة. ولا حديث عن أي شيء في السيارة كما نصحتني، وإذا تحدثت في الهاتف فلنختصر في الحديث ولا داعي للثرثرة، فلا داعي لأن يعرف الناس أسرارنا.

- حسنا يا صاحبة العقل الرصين

وصلا إلى بداية الشارع الرئيسي ووجدا سيارة نقل ركاب (ميكروباص) فاستقلاها ثم قال لها عصام قرب الوصول

- سأتصل بك فور أن انتهى من المدرسة لنعود سويا للمنزل، أم تريدين أن تقضي وقت أطول مع صديقاتك

- نعم، أريد أن امكث وقتا أطول معهم اليوم.

وصلت السيارة إلى باب الجامعة، فنزلت ياسمين واستمر عصام بالسيارة حتى وصل لمكان معين في شارع الدقي فنزل عنده واستكمل طريقه سيرا في شارع جانبي. وصل إلى بو ابة كبيرة لمدرسة (--). المدرسة عبارة عن بناية كبيرة تنقسم من الداخل إلى فناء واسع كبير، أرضيته مغطاة بالموكيت الشبيه بأرضية الملاعب الرياضية، ويحيط بالفناء مبنى من جميع الاتجاهات مكون من أربعة طو ابق غير الطابق الأرضي بحيث إن يكون فناء المدرسة للداخل وليس للخارج، فناء المدرسة ينقسم إلى جزء كبير مربع الشكل به عارضتي مرمى للعب كرة القدم وتوجد أيضا سلة للعب كرة السلة مثبتة داخل الملعب من الجو انب، وجزء آخر صغير مربع الشكل أيضا به بعض الألعاب للأطفال الصغار والجز أين منفصلين بشبكة بلاستيكية مثل شبكة كرة القدم.

دخل عصام إلى المدرسة بعد أن تحدث مع الحارس على البو ابة الذي أشار

إليه بالتوجه إلى الداخل، في طريقه إلى مكتب مدير المدرسة. دارت عيناه في فناء المدرسة وتحولت بين المباني وشاهد تقسيمها من الداخل ولكنه وجد رجل متوسط الطول، قمحي البشرة، زحف الشيب على رأسه، وجده يبتسم له ويرحب به

- أستاذ عصام، مدرس علم النفس الجديد

تعجب عصام من المفاجئة

- نعم، مرحبا

- لا تتعجب أني عرفتك دون أن تتكلم، فإن زميلك علاء دقيق الوصف، و أنت كما وصفك تماما، أعرفك بنفسي، بهاء الدين مرسي، مدير المدرسة

- مرحبا أستاذ بهاء، سعيد جدا برؤيتك، وهل علاء استلم عمله هنا أيضا

- نعم، لقد حضر أمس وعندما شاهد اسمك في كشف المنقولين إلى المدرسة، تهلل وجهه فرحا وقال فيك قصائد مدح، حتى اشتقت أن أراك

- أن علاء حسني زميل فاضل وصديق عزيز ومعلم قدير

- حسنا، هيا أعرفك على زملائك المتواجدين اليوم وأعطيك جدولك الدراسي، ثم أتركك لتتعرف على المدرسة وأماكن الفصول. ويمكنك أن تغادر وقتما تشاء وغدا لنا اجتماع هام سويا لأمر هام أود أن أناقشه معك.

- لقد شوقتني إلى الغد، لعله خيرا بإذن الله

-حسنا، هو خير بإذن الله.

توجه عصام بصحبة المدير إلى إحدى الغرف بها بعض المعلمين والمعلمات وقال المدير

- أعرفك على المتواجدين الآن من زملائك وغدا تجد البقية

أشار المدير إليهم ثم قدمهم بترتيب الجلوس من اليمين وكان جميعهم يهز رأسه مبتسما علامة على الترحيب بعصام

- الأستاذة عائشة معلمة اللغة العربية، الأستاذة فاطمة معلمة مادة الدراسات الاجتماعية، الأستاذة هدى معلمة مادة اللغة الإنجليزية، الأستاذة سلوى معلمة اللغة الفرنسية، الأستاذ محمد معلم مادة العلوم، الأستاذ سعيد معلم مادة اللغة العربية

ثم قدم لهم عصام تقديما خاصا مشيرا إليه

- الأستاذ عصام زميلكم الجديد، أستاذ مادتي علم النفس والفلسفة، سبقته سيرته العطرة إلى هنا قبل أن يشرفنا، نعوّل عليه في المرحلة القادمة في حل مشكلات نفسية كثيرة لدى الطلاب وسوف يقوم بهذا الدور بمساعدة الأستاذة دينا الاختصاصية النفسية

همست هدى إلى سلوى من حسن حظها

ردت سلوى ومن حسن حظه أيضا، أرى أننا سنسمع أخبارا سعيدة قريبا

ظل المدير مع عصام فترة من الوقت ثم انصرف وظل عصام مع زملائه بعد أن تعرف عليهم واصطحبه أحدهم ليعرفه على المدرسة وأحوالها ومشكلاتها. ظهر على عصام التأثر مما سمعه، فلم يكن ما سمعه مجرد وصف للمدرسة بل كان سرد تفصيليا لمشكلاتها وهذا ما بدا على وجه عصام.

★★★

٩
ملامح الحقيقة في التفاصيل الصغيرة

وصل خالد إلى المديرية، ثم إلى مكتبه. لحق به محمود قبل أن يجلس وتصافحا ثم أخبره محمود أنه شرع في في استدعاء كل من كان على صلة بالمجني عليه وأخبره أحد الجيران أن ابن المجني عليه سيصل من أمريكا بعد يومين. طلب منه خالد أن يحضر له تصوير الحروف التي كتبها الجاني على جدار الشقة، فقام محمود بإخراج الصورة من حافظة الورق وأخبره خالد أنهما سيذهبان سويا لمعاينة الشقة مرة أخرى. قال محمود بعد أن سبقه خالد بالجلوس ثم دعاه للجلوس أمام المكتب:

- أن فحص كاميرات أي مكان قريب، كاميرات الصيدليات الكبرى وكذلك البحث عن أي معلومات عن الدواء أو من اشتراه يوم الجريمة من أقرب صيدليات كبرى من منطقة الحادث من الممكن أن يقودنا إلى شيء. وقد أرسلت رجالنا للقيام بذلك

- حسنا، ممتازيا محمود، أحب الهمة والتركيز في العمل، من حضر ممن استدعيتهم؟

- لقد حضر كل من استدعيته، مشيرة سكرتيرة المجني عليه وتقريبا مديرة الشركة، جيران المجني عليه، نجاح وكساب وهما عاملين في مخزن الشركة، صابر المحاسب، وعبد الجواد بواب العمارة

- حسنا، أبقى معي ولا تتدخل في التحقيق إلا بعد أن انتهى حتى لا أتشتت، فأحيانا التقط خيطا رفيعا من بين ثنايا كلمات الشهود وتر اني امسك بهذه الورقة لأدون فيها بعض الكلمات. سوف أشير لك في النهاية لطرح أي سؤال

فربما تفتح أسئلتك أبوابا مغلقة. اسمح لهم بالدخول بالترتيب الذي قلته. خرج محمود وأعطي ورقة لأحد الحراس خارج غرفة المكتب ثم دخل مرة أخرى وأخذ مقعدا جانبيا، دخلت مشيرة وهي فتاة في نهاية العقد الثاني، ليست فاتنة بالمعنى الحرفي للكلمة ولكن ملامحها جذابة، قمحية البشرة وشعرها أسود قصير بعض الشيء وترتدي عوينات طبية صغيرة، يبدو عليها القلق ولكنها متماسكة. يتفحصها خالد لثوان، يتفرس ملامحها، يرى أنها تخفي شيئا لا يعلمه، ليست ماكرة ولكنها تخفي أمرا. لاحظت هي نظرة خالد الباحثة داخلها عن الحقيقة بينما لاحظت نظرة محمود إليها وأدركت الفرق، فالأنثى لا يخطأ فهما إطلاقا لنظرات الرجال إليها. دعاها خالد بابتسامة للجلوس على كرسي مقابل مكتبه

- الأستاذة مشيرة، أليس كذلك؟

- نعم، مشيرة رفعت عبد الغني.

-أخبريني عن عملك وعن المجني عليه (إبراهيم قاسم العامري)

- أنا أعمل مع الحاج إبراهيم – رحمه الله-منذ خمسة سنوات تقريبا و أقوم بكل شيء في الشركة منذ طلب أجهزة الكمبيوتر من الشركة في الخارج حتى تصل إلى المخازن

- هذا يعني أنك كنت مصدر ثقة بالنسبة للحاج إبراهيم

- نعم، كان يعتمد علي في كل شيء يخص إدارة الشركة

- حسنا، أخبريني عن كل ما تعرفيه، عن اللذين يتعامل معهم الحاج إبراهيم، عملاء مثلا أو شركاء أو موظفين أو عمال، أو أصدقاء، كل من يعمل أو كان يعمل وترك العمل.

- الحاج إبراهيم كان يتعامل مع بعض المكاتب في توزيع الأجهزة وسوف أحضر كل ملفاتهم غدا لأني لا أتذكرهم جميعا و أتذكر فقط أسماء من كانوا

يتواصلون معي من هذه الشركات سواء سكرتارية أو محاسبة، أيضا لأننا لم نستورد أجهزة منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر، والحاج إبراهيم لم يكن لديه شركاء، فالشركة ملكا له ويعمل على حد علمي بأمواله الخاصة وكذلك العمارة ملكا له.

- ماذا عن الموظفين؟

- ينتظرون كلهم بالخارج فالحاج إبراهيم لم يطرد أحدا منذ عملي معه ولم يتركه أحد عمل معه. علاقته جيدة مع الجميع والكل كان يقدره ويحترمه – رحمه الله.

- لقد قلت إن الاستيراد متوقف منذ ثلاثة أشهر.

- نعم ونعتمد على مخزون البضائع في المخزن، وكان المرحوم يقول إنه على وشك إتمام صفقة كبيرة بثمن ممتازولكن سبقه الأجل قبل أن يتمم الصفقة.

- ألا تعرفين أي تفاصيل عن هذه الصفقة؟

- للأسف لا

نظر خالد إلى محمود ليرى إن كان يريد توجيه أسئلة إلى مشيرة ولكنه أشار إليه بالنفي، فقال لمشيرة

-حسنا يمكنك الانصراف، ولكن سنحتاجك بالتأكيد.

خرجت مشيرة بعد أن انتهى التحقيق، تبعها محمود بعينيه وهي لاحظت ذلك فنظرت إليه قبل أن تخرج. لقد شاهدها محمود بشكل مختلف، قابل كثيرا ولكن تلك الفتاة مختلفة أو هكذا اعتقد بل وكان يؤمن أكثر مع كل كلمة نطقت بها أثناء التحقيق.

طلب خالد من محمود وضعها تحت المراقبة دون أن تشعر. ذهب محمود لتنفيذ ما طلبه خالد، ظل خالد ينظر في ورقة بيده كتب فيها كلمة مشيرة

ثم وضع بعض الدوائر حولها ثم تمتم أن كلماتك بسيطة ومباشرة ولكن أشعر أن هناك ما لم تقوليه ولكن لا داعي للاستعجال إن عادة الجرائم تبدأ وتنتهي عند المرأة وخاصة أن كانت حسناء وصغيرة.

عاد محمود إلى غرفة مكتب خالد ودخل الجيران وخرجوا ثم العاملان وخرجا بعد أن تم التحقيق معهم جميعا. دخل المحاسب وخرج أيضا ثم الحارس

- ماذا تعرف يا عبد الجواد عن المرحوم إبراهيم، أخبرني عن يومه، متى يستيقظ، متى يذهب للشركة، هل يصلي، هل له أصدقاء يستضيفهم في شقته، هل كان له أي علاقات نسائية من أي نوع، أنت تعرف من تدخل ومن تخرج.

رد الحارس بحماس

- لا، لقد كان الحاج إبراهيم رحمه الله رجلا طيبا، يذهب للصلاة يوميا ولكن أحيانا لا يذهب لصلاة الفجر، ليس له أصدقاء يحضرون إلى شقته، ولا تدخلها أي نساء، العمارة بها عائلات محترمة ولا يخرج أو يدخل أحد العمارة إلا وأعرفه.

- لقد أخبرت الرائد محمود أنك اكتشفت الجريمة عندما طلبت منك الآنسة مشيرة الصعود للاطمئنان عليه لأنه لا يرد على الهاتف وذلك الساعة الثانية عشرة ظهرا تقريبا، أين كنت منذ بداية اليوم؟ كيف صعد القاتل وقام بالجريمة وخرج دون أن تراه، لابد أنك تركت البوابة لبعض الوقت لشراء طلبات للسكان أو شيء من هذا القبيل

- لا لم أترك البوابة إطلاقا وزوجتي هي من تذهب لشراء طلبات السكان فأكثرهم يريدون أشياء من السوق، وقد حذرني الحاج إبراهيم - رحمه الله - منذ ستة أشهر المرحوم من ترك البوابة لأي سبب والتزمت ولم أتركها أبدا،

ويومها لم أتحرك من مكاني أمام البوابة.

ارتفع صوت خالد وزاد من حدته ثم ضرب سطح مكتبه بكف يده بقوة حتى أن محمود تفاجأ بذلك

- حسنا، بماذا تفسر دخول وخروج الجاني من العمارة و أنت لم تراه وتقرير الطبيب الشرعي يقول إن الجريمة تمت قبل اكتشافها بساعتين، يبدوا أنك تخفي شيئا. أم كان الجاني يرتدي طاقية الإخفاء.

ارتعشت أوصال الحارس وأوشك على البكاء أو هكذا تظاهر وظل يقول اقتراحات وينفيها

- أقسم أنني صادق ولا أعلم كيف دخل، ممكن أن يكون أحد السكان، لا، لا يمكن أنهم جميعا محترمون وفي العمارة منذ سنوات.

ثم قال وكأنه تعلق بقشة قبل أن يغرق

- السطح، لابد أنه السطح، الأسطح متجاورة، ربما قفز من سطح العمارة الخلفية وهي دون حارس

- لماذا فكرت بهذا الأمر؟

- لأنه منذ شهرين أو ثلاثة قفز لص من سطح العمارة الخلفية ولم يستطع دخول عمارتنا لأن باب السطح الحديدي كان مغلق، وعاد مرة أخرى إلى تلك العمارة وشاهده أحد الجيران في عمارة مقابلة ومن طابق أعلى من سطحنا وأخبر الحاج إبراهيم رحمه الله

ثم تغيرت ملامح وجهه وقال

- السطح له باب حديدي ولا يوجد مفتاح له إلا معي ومع المرحوم وكان رحمه الله يفعل ذلك حتى لا يستخدم السكان السطح في إلقاء أي مخلفات أو أثاث قديم أو ما شابه ذلك ولا يتركه مفتوحا حتى لا يستخدمه اللصوص في سرقة العمارة والتسلل إليها

أخذ خالد بطاقة تعريف (كارت شخصي) من فوق مكتبه وأعطاه للبواب

- حسنا يا عبد الجواد، هذا رقمي، اتصل بي إذا شاهدت أو تذكرت أي شيء يخص الجريمة وسوف أتركك تغادر لاني اقتنعت أنك بريء وليس لك يد في الجريمة

أشار خالد إلى محمود فتحرك من مكانه وجلس أمام المكتب في الكرسي المقابل للحارس وقال:

- أخبرني يا عبد الجواد، ماذا تعرف عن ابن المرحوم، الموجود في أمريكا

- لقد كان المرحوم يحبه جدا وكان يسافر لزيارته من حين لآخر وكان يتحدث إليه يوميا في الإنترنت

- كيف عرفت؟

- كنت أحضر له العشاء من السوبر ماركت وأجهزه له وكنت أراه يتحدث في اللاب تون وارى صورة الأستاذ احمد وكثيرا ما كان يجلس ينتظره بالساعات ولا يحضر ولكن المرحوم كان طيب القلب ويجد له ألف عذر.

- أن اسمه اللاب توب يا عبد الجواد، ولكننا لم نجد اللاب توب عندما وصلنا للشقة

- كيف؟ ! ! لقد كان يضعه فوق منضدة الطعام دائما.

- حسنا، يمكنك الانصراف الآن

انصرف البواب بعد أن شكر خالد ومحمود وظهرت عليه الراحة عندما خرج.

★★★

١٠
إذا توافقت الأرواح تناغمت القلوب

وصل عصام إلى المطعم بعد زيارته للمدرسة وكان كلا من كمال ومحمود في انتظاره وما أن شاهداه حتى وقفا وصافحاه في حرارة

- مرحبا أصدقائي

بادر كمال بمصافحته وقال

- مرحبا عصام، كيف حالك

ثم أضاف محمود بابتسامة

- أتعلم يا عصام، لقد أصبحت مهما فجأة، حتى أننا نريدك في موضوعين مختلفين معا في نفس التوقيت، ولكن لا تشعر بالغرور

أبتسم عصام وقال

- ألهذا الحد أصبحت مهما.

إجابة محمود بابتسامة تملأ وجهه

- تقريبا، ولكن لم أكن أعلم أن لعلم النفس هذه الأهمية

- حسنا، هذا يعني أنك تريدني لأني دارس لعلم النفس.

- بالتأكيد نحتاج إلى دراستك وخبرتك

قالها محمود بجدية

- يجب أن تفرق بين علم النفس والطب النفسي، أنا لست طبيبا نفسيا، أنا معلم لمادة علم النفس وتدربت كاختصاصي نفسي

اعتدل محمود في جلسته إلى الأمام قليلا بعد أن كان مسترخيا وقال

- وما الفرق بين الطب النفسي وعلم النفس

- نطلب شيئا نشربه أولا حتى يحضر الطعام ثم نتكلم، فيبدو أن الحديث سيطول.

قالها كمال ثم أشار للنادل وطلب ثلاثة أكواب من العصير بعد أن سال أصدقائه عن طلباتهم

استكمل عصام حديثه

- سوف أبسط لكما الأمر، الطب النفسي يهتم بعقل الإنسان ويهتم بفهم وتقييم وتشخيص وعلاج الاضطرابات العقلية مثل الاكتئاب، القلق، الفصام المعروف بالشيزوفرينيا، أما علم النفس يهتم بدراسة العقل والسلوك البشري والدوافع وراء هذا السلوك؛ كيف نفكر، بما نشعر، كيف نتصرف، كيف نتفاعل مع الآخرين.

قال محمود باهتمام

- وهذا ما أريد أن أتناقش فيه معك. أريد أن آخذ رأيك في حل لغز جريمة غامضة حيرت إدارة المباحث بالمديرية وتلقيت تكليف من العقيد خالد شاكر بالانضمام لفريق البحث والتحريات في هذه الجريمة الغامضة، وأريد أن أتناقش معك في هذه الجريمة.

- تفضل، أنا على أتم استعداد. ولكن هل تريد أن أدرس السلوك الذي دفع الجاني إلى ارتكاب الجريمة؟

- الجاني غير معروف ولذا أطرح عليك الأمر، لأني أرى بعض الدلائل التي تشير إلى وجود بُعد نفسي في الجريمة

- حسنا، قُصّ على التفاصيل واي معلومات لديك

- هذا ما سوف أفعله، (ثم قَصّ عليهم المعلومات التي لديه)

بعد أن انتهى محمود من سرد التفاصيل قال عصام

-أي أن القتيل كان يعرف القاتل؟

- نعم، كان على معرفة به. لا يوجد أي شيء يدل على السرقة حتى الآن، لان المعاينة النهائية والتقارير النهائية لم تنتهي بعد

- ليس هناك ما يدل على سرقة، هذا على حد علمكم، أم تعلمون محتويات الشقة تماما؟

- لا بالطبع لا نعرفها. لا يوجد له أعداء ظاهرين في الصورة، كان شخصا عاديا. لا يتردد عليه أحد سوى عمال الدليفري وعادة يصعد معهم الحارس. قام القاتل بكتابة حروف غريبة على جدران الحائط بدماء القتيل وهذا ما دفعني لاعتقاد أن القاتل مختل عقليا أو مريض نفسيا

- أو بدافع الانتقام

لم يعلق محمود على جملة عصام وواصل حديثه

- وجدنا علبة من دواء -- المهدئ للأعصاب وبتحليل دم القتيل لم نجد أثر للمادة الفعالة في الدواء وهي --، وبهذه النتيجة يكون الدواء يخص القاتل والعلبة عليها آثار دماء ولا توجد بصمات، ومن الواضح أن القاتل كان يرتدي قفازوخطط لجريمته بدقة متناهية حتى لا يترك وراءه أي أثر.

- هذا كله ليس دليل كافي على أن الدافع نفسي، ربما يكون انتقام مثلا أو سرقة شيء غير معلوم بالنسبة لكم. أنا لا أظن أن الدافع نفسي حتى الآن.

- ماذا تقصد بجملة حتى الآن؟

- أي ربما يكون القاتل بالفعل مريض نفسي وهذا ما دفعه إلى ارتكاب الجريمة.

قاطعهما كمال قائلا

- عذرا، وهل أي مريض نفسي من الممكن أن يرتكب جريمة؟

أجابه عصام

- بالطبع لا، ولكن إذا وصلت حالته إلى مرحلة تصور أشياء لم تحدث من

الممكن أن يرتكب جريمة على اثرها فمثلا، إذا كان أحدهم يعاني من الفصام فمن الممكن أن يقتل أحدهم لأنه يتخيل أن هذا الأخير يريد قتله. مريض الصرع ممكن أن يقتل وهو ليس في وعيه، مريض الهوس ممكن أن يقتل دون أن يشعر.

قال محمود

- بهذا التفسير لا يمكن أن يكون القاتل مصاب بمرض نفسي لأنه خطط لجريمته وفعلها بإتقان ولم يترك أي أثر. لقد أثمرت جلستنا عن استبعاد المرض النفسي.

تنهد عصام ثم قال

- ليس بالضبط، فالمريض النفسي من الممكن أن يرتكب جريمة ليس بسبب دو افع نفسية، و إنما يكون عن طريق فعل خاطئ لديه فيه سوء تفاهم، يؤدي به إلى ارتكاب الجريمة، ولذلك فهو في كثير من الأحيان لا يدرك أنه ارتكب جريمة، و إنما تتم الجريمة وهو لا يدرك ذلك من الأساس، وهذا ما يسمى سلوكيات غير سوية، أو اضطر ابات نفسية، يكون خلالها هذا المريض غير واع أو مسئول عن تصرفاته التي ارتكبها، لأن الجريمة لا بد من أن يتو افر فيها ركنان أساسيان: الركن المادي معالم الجريمة، والمعنوي: الدافع وراء ارتكاب الجريمة والإرادة الحقيقية لارتكابها، وبالطبع فإن المريض العقلي لا تتو افر فيه هذه الشروط ومن ثم يكون ارتكابه للجريمة بدون وعى أو إدراك لأفعاله التي يقوم بها.

قال كمال

- إذ المرض النفسي لا يؤدي إلى ارتكاب جريمة؟

أجاب عصام مبتسما

- ومن الممكن أيضا أن يؤدي المرض النفسي إلى ارتكاب جريمة؛ فمثلا، الشك المرضي من الممكن أن يؤدي إلى ارتكاب جريمة.

قال محمود شاعرا بالحيرة

- لقد احترت، أريد أن توضح لي، هل مرتكب هذه الجريمة من الممكن أن يكون مريض نفسي أم لا، وهل كتابة حروف على أحد جدران الشقة بدم القتيل يشير إلى وجود مرض نفسي؟

- ربما يؤدي المرض النفسي إلى ارتكاب جريمة، فمثلا أن شك الرجل في زوجته فمن الممكن أن يقتلها، ولكنه يخطط لجريمته وينفذها بإتقان في بعض الحالات؛ ربما يكون سببا في ارتكاب جريمة دون تخطيط كمرض الوسواس، كأن يتخيل أحدهم أن أحدا يريد قتله فيبادر هو ويقتله. ربما لا يكون المرض النفسي سببا في ارتكاب جريمة ولكن يعاني المريض من تبعات المرض النفسي واعراضه بعد اقتراف الجريمة كأن ينخرط المريض في ضحك هستيري لا يتوقف بعد ارتكاب جريمة ما. لكن الأثر النفسي يكون جليا في الجريمة إذا كانت جريمة وليدة اللحظة وليس مخطط لها كأن يتوهم المريض أن أحدهم يمسك بسكين ويريد قتله فيدفعه تجاه الشرفة مثلا فيلقى حتفه. أما في هذه الجريمة فلا أعرف، ما سردت من معلومات لا يكفي للحكم على الجاني إن كان مريض نفسي أو لا، أو إذا كان دافعه نفسي أو لا

قاطعة كمال قائلا

- أرى أنه من الممكن أن يكون الجاني ارتكب الجريمة بكامل إرادته وليس مرض نفسي ما دفعه إلى الجريمة وما دفعه إلى كتابة الحروف المبهمة هو نوع من الزهو أو الغرور أو ربما مرض نفسي جعله يفتخر بجريمته. وفي العادة يكون هذا الغرور نوع من الحماقة تكون سببا في كشف جريمته

أضاف عصام

-ربما، رأي يعتد به، اعتقد عليكم بالبحث عن خزينة سرية كان بها أوراق وسُرقت

تحرك محمود قليلا بالكرسي إلى الخلف وقال

- لقد خطر لنا هذا الخاطر ولكن بحثنا ولا يوجد أثر لأي شيء حتى الآن

- حسنا، سأظل أفكر في الأمر وعندما أصل إلى جديد سوف أخبرك.

وفجأة لوح كمال بيده وقال

- حسنا يا أصدقاء لقد جاء دوري لأتحدث إليكم.

ضحك عصام ومال برأسه للخلف وقال

- ما هذه المبالغة التي تتحدث بها، أتظن نفسك فوق المسرح

- لقد انتابتني الجلالة وارى نفسي فوق مسرح كبير أمام جمهوري العزيز، ولكن قبل ذلك سأخبركم أنني عند وعدي وقد طلبت لكم الغداء وسوف يحضروه بعد نصف ساعة من الان فدعني أخبرك بما أريد أن أخبرك به

ضحك ثلاثتهم وبدء عصام حديثة إلى كمال

- ما هو الموضوع الهام أيها الفنان العظيم

بغض النظر عن سخريتك سوف أخبرك، ولكن لي تعليق على موضوع الجريمة، من خلال خبرتي في مجال المحاماة والقضايا والمحاكم، أعتقد أن الغالبية العظمى من الجرائم المخطط لها يكون سببها أما النساء أو المال

- تعني ابحث عن المرأة في المقام الأول

- نعم يا سيادة الرائد، المرأة أولا ثم المال. لنعود إلى الموضوع الأساسي الذي أريد أن أتحدث فيه معك. لقد رأيتم السيد حاتم الهمشري رجل الأعمال والسياسي المعروف في حفل الافتتاح أمس وجلستم سويا، هل فاتحك في شيء يا عصام؟

- لا، أي شيء تقصد

أن هذا الرجل مقبل على انتخابات المحليات ويريد أن نقف بجانبه في الانتخابات

- وما علاقة ذلك بي

أنه يريد عمل ندوات عن موضوع يهتم به الناس، ستكون الندوات في الأندية الاجتماعية والمدارس ومراكز الشباب والمكتبات الكبرى بالمحافظة، فاقترحت عليه أن تقوم أنت يا عصام بإقامة الندوات عن موضوع التنمر وقد أخبرتني من قبل أنك تريد توعية الناس بهذا الخطر وأسبابه وعلاجه.

- نعم، أنه خطر بالفعل ونعاني منه من فترة طويلة ولكن هذه الأيام ظهر هذا المصطلح الجديد التنمر وأُريد أن ننتهز الفرصة ونحاول علاج هذه المشكلة

- بالضبط هذا ما أخبرت به الرجل.

- لكن لي شروط، أن تستمر الندوات سواء نجح في الانتخابات أم لا وأن ننشئ مركز استشاري اجتماعي خيري مجاني لحل مشكلة التنمر

- فكرة جيدة وأعتقد أنه لن يعترض.

أضاف محمود مؤكدا رأي كمال عن عدم اعتراض الهمشري

- اعتقد أنا أيضا أنه لن يعترض، فهو رجل أعمال ويعلم قيمة الخدمة المجتمعية جيدا.

حضر الطعام، واستمر الحديث بينهم أثناء الغداء ثم تناولوا بعض المشروبات و انصرفوا.

★★★

١١
حين يتحرك القلب تتحرك معه كافة الحواس

بعد خروج البواب نظر خالد في الورقة التي كانت معه وقال:
- ألم أقل لك إن سؤالك ربما يأتي بجديد،
- تقصد اللاب توب
نعم، وبهذا اجتمعت بعض الخيوط، مثل مفتاح باب سطح العمارة وبالتأكيد سيتضح أنه فتح بمفتاح مُقلّد، اللاب توب، الهاتف المحمول للمجني عليه ويجب معرفة آخر الأرقام التي اتصل بها أو استقبلها المجني عليه وكذلك إلى أين تحرك من شركة المحمول ولكن أظن أن الجاني اغلقه بعد أن خرج من الشقة بوقت قصيرولكن الاستعلام من شركة المحمول ربما يفيد في شيء، الكلمة أو الحروف المبهمة التي كتبها القتيل على الحائط وأخيرا ما قالته مشيرة إن المجني عليه كان مُقدِما على صفقة كبيرة، فبالتأكيد كان يحتفظ بالنقود أو كانت مجرد رغبة ولم يحتفظ بنقود معه، ولذلك يجب الاستعلام عن رصيد المجني عليه من البنك، وعمل كشف حساب بآخر تعاملاته المالية.
-حسنا، سيتم عمل الاستعلام اليوم من البنك ومن شركة المحمول بعد الحصول علي إذن النيابة، مازال أمامنا وقت كاف. لم أكن أتوقع أن نجد خيوط كثيرة بهذا الشكل من التحقيق وحتما سيؤدي أي من هذه الخيوط إلى معرفة الجاني
- الجريمة كما أتخيلها، الجاني قتل المجني عليه وكتب بدمه هذه الحروف على الحائط، وسرق النقود وأخذ الكمبيوتر المحمول (اللاب توب) والهاتف المحمول الخاص بالمجني عليه وصعد إلى سطح العمارة و انتقل من سطح

العمارة إلى سطح العمارة المجاورة بنفس الطريقة التي جاء منها، هبط السلم مثلا وسلك طريقه بطريقة عادية لا تلفت إليه الأنظار.

- تخيل منطقي يا أفندم

أكمل خالد وكأنه لم يسمع محمود وهو يدور في الغرفة بعد أن تحرك من أمام مكتبه

- إذا وجدنا أي كاميرات مراقبة لأي محالّ أو صيدليات أو بنوك أو حتى كاميرات مراقبة في أي كشك و اتضح بها شخصا يحمل حقيبة نقود أو حقيبة بلاستيكية ويحمل لاب توب في نفس توقيت الجريمة فبالتأكيد هو الجاني

- رائع، سأتحرك بسرعة لفحص أي كاميرات وتنفيذ ما اتفقنا عليه

- لقد تأخر الوقت الآن، غدا صباحا خذ رجالك وتحرك لتنفيذ ما اتفقنا عليه وسوف أتجه أنا أيضا غدا لمعاينة الشقة والشركة والعمارة.

- حسنا يا أفندم

- سأطالع بعض الملفات الهامة وقد سألني عنك اللواء الأسيوطي فاذهب إليه لترى ماذا يريد منك.

- حسنا يا أفندم، استأذنك

قالها محمود وانصرف بينما أخذ خالد يطالع بعض الأوراق الخاصة بالتحقيق في أحد الجرائم ثم تمتم ما هذا الهراء، تحقيق يتم في جريمة قتل والفاعل مجهول ولا يستغرق التحقيق الا يومين، حسنا لهذا مقام آخر قال ذلك ثم ضغط زر الجرس واستدعي الحارس وطلب منه أن يرسل في طلب المقدم طارق.

انتظر خالد دقائق حتى طرق باب المكتب أحدهم وأذن له خالد بالدخول، فتح الطارق الباب ثم دخل وصافح خالد، رحب به خالد وأشار إليه بالجلوس ثم قال

- لقد أخبرتني ذات مرة أن والدك طبيب نفسي
- نعم، والدي الدكتور أحمد مصطفى مصيلحي من أشهر الأطباء النفسيين في مصر
- حسنا، هل يمكن أن أقابله الليلة
- حسنا، سأتصل به ولكن هل من الممكن أن نؤجل الميعاد إلى غدا لأنه ينام مبكرا؟
- حسنا: لا مشكلة إطلاقا،
- هل هناك قضية بها طرف مريض نفسيا
- الحقيقة لا أعلم ولكني أريد أن اعرف أنواع الأمراض النفسية الخطيرة
- حسنا، سأرتب اللقاء و أبلغ سيادتك
- حسنا يا طارق، ثقتي بك كبيرة
- عفوا يا أفندم، نحن تلاميذك

انصرف طارق من مكتب خالد، تناول الأخير سترته وحاجاته من فوق المكتب ثم تحسس جيوبه لكي يتأكد أنه لم ينسى شيئا، جال عينيه في الغرفة، فتح باب الغرفة و انطلق خارجها.

استقل سيارته وظل يمني نفسه بليلة فيروزية من ليالي زمان، أخذ خالد نفسا باردا عميقا مستمتعا بنسمة الهواء الباردة، كأنه لم يذق تلك النسمة منذ أمدا بعيدا. تمتم لنفسه قد يكون ما يسعدنا أمامنا ولا نراه إلا حينما نرفع عصابة الانشغال من فوق أعيننا، اخرج يوميا في هذا الميعاد تقريبا وهذه النسمة الباردة موجودة منذ بداية سبتمبر ولم أشعر بها إلا اليوم، حين يتحرك القلب تتحرك معه كافة الحواس. وقف خالد بسيارته أمام محل زهور و انتقى باقة زهور جميلة ثم تمتم مع أن بعض الناس يرى أن كيلو بطاطس أهم من هذه الزهور، إلا أن الزهور عند النساء تعني لهم معنى روحيا هاما

وصل إلى منزله؛ فتح باب شقته فلم تحضر إليه أمل على غير عادتها، اتجه إلى غرفة النوم فرأى شعاع ضوء يتسرب من بين فوارق الباب مع الحائط فابتسم وتمتم فيروزدائما تأتي بمفعول. دخل غرفة النوم فوجد أمل تنتظره مبتسمة وهي تقول جهزت لك العشاء هنا، ما رأيك؟

- جميل، كل شيء جميل هنا

أظهر باقة الزهور من خلف ظهره فقفزت أمل من مكانها واختطفت الزهور ثم شمت رائحتها وجذبت خالد من سترته وقالت له أحبك. ثم أخذته من يده وأجلسته أمام منضدة صغيرة وضعت فوقها العشاء وجلست أمامه ثم أضافت

- هذه التفاصيل الصغيرة تسعدني، هي التي تأخذني إلى عالمك، وإلى حلم بدأ و أتمنى ألا ينتهي. ماذا هنالك أكثر؟ ما أجمل ألوان الحياة و أنا معك وما أجمل عطرها في وجودك. كل شيء يختلف بعدما تغادر من أمامي. أتساءل كيف تفقد هذه الحياة بريقها بدونك؟ كيف تصبح الأضواء باهتة في غيابك؟ حتى الألحان التي تدغدغ مشاعري لا معنى لها بدونك، لا أفهم، هل ارتبطت حياتي بحضورك أم سحرتني بسحرك؟

امسك خالد يديها ولثمها ثم قال

- حبيبتي أنا أتعلم منك العطاء والحب كطفل صغير يتكلم لأول مرة ويخطو الخطوات الأولى في حياته و أنت ممسكة بيدي إلى طريق السعادة. لو تعلمي حجم البركان الهائل الذي يعتريني في وجودك، و أنا أحاول أن أتماسك وأخفي رغبتي في ضمك إلى لتسكني بداخلي تحت جلدي، أحيطك بشرايبني فلا يراك غيري، أغار من غريب ربما يرى عينيك صدفة فيغرم بهما.

- هل اعترف لك بشيء يا خالد، أعترف بأنك احتللت فضاءات كياني، فما عاد هناك عالم خاص بي. أردد اسمك على شفتي حين تلسعني مرارة اليوم.

- هل اعترف لك أنا الآخر بشيء، أنا لا أجد نفسي وسعادتي إلا في عالمك، دعيني أغوص في بحورك، فأنا في حالة شوق يزلزلني، يجرفني الحنين إليك، أعيشك حبا وعشقا وشوقا إليك.

★★★

١٢
الباب الذي يدخل منه الشك يخرج منه الحب

أثناء عودة عصام إلى المنزل، بعد أن غادر المطعم، شاهد بعض الصخب في الشارع يدل على انتهاء شجار أو انتهاء تجمهر منذ قليل. شاهد المكتبة التي اشترى منها الأوراق سالفا وقد حاول فتح بابها رجل تجاوز العقد السادس وتذكر كلام الحاج مصطفى صاحب السوبر ماركت عنه الأستاذ رفعت مدرس اللغة العربية، كان مدرس قدير، وخرج على المعاش وفتح المكتبة. توجه عصام إلى المكتبة وساعد الرجل في فتح بابها الذي يبدو أن به صعوبة في الفتح وقد شعر بها عصام مع أنه شاب قوي فما بال الرجل المسن، شكره الرجل على مساعدته.

شكرا يا بُني، أعطاك الله الصحة والعافية

- لا شكر على واجب، أستاذ رفعت

- يبدو أن أحدهم عرّفك المنطقة، مرحبا بك يا بُني، هل تسكن قريبا من هنا؟

- نعم اسمي عصام، و افد جديد بالمنطقة، اسكن في العمارة التي بها ماركت المصطفى

- أهلا بك في المنطقة كلها، ولكن لا تقل و افد لان الو افد هو المقيم في غير وطنه و أنت هنا ما زلت داخل وطنك، ولكن قل ساكن جديد

- حسنا، ساكن جديد

- لا تؤاخذني يا بُني، فبحكم عملي معلم لغة عربية لا أستسيغ الكلمات الخاطئة

- لا عليك يا أستاذي فمنكم نتعلم. (قالها باللغة العربية الفصحى)

- ما عملك يا بُني، من الواضح أنك مثقف وذو خلق
- بارك الله فيك يا أستاذي، أنا معلم لمادتي علم النفس والفلسفة
- ما شاء الله، نظرتي في الإنسان لا تخيب، وما رأيك في المنطقة وأهلها، هل عرفتهم جميعا
- لم أتعرف إلا على الحاج مصطفى وبعض المحالّ مثل مطعم الفول والفلافل والخضارولكن أريد أن أسألك عن بعض الصخب الذي رأيته منذ قليل
- حسنا، سوف أعرفك على بعض من أفضل سكان المنطقة فكلهم أصدقاء وأبناء وجيران أعزاء، أما عن الصخب الذي كان منذ قليل، فهو مشكلة تمر بها إحدى السيدات الفضليات. إنها السيدة كاميليا، كانت تعيش بيننا، شابة فارهة الجمال وتزوجت من أحد زملائها بالشركة التي كانت تعمل بها، يشهد لها الجميع بالخلق الحسن ولجميع عائلتها كذلك. قررت السيدة كاميليا ترك عش الزوجية نهائياً دون رجعة وحسم أمر طلاقها قضائياً، رأيت دموعها تنهمر على خدها دون إرادتها وهي تحمل في داخلها نفسا مكسورة وحُباً تقطعت أواصره بعدم التقدير والشك المرضي، كانت تسترجع شريط ذكرياتها لتسجل حكايتها المؤلمة مع الشك في دفتر أحزانها بعد أن احترق عش الزوجية الذي لم يكمل عامين بنيران الشك، حيث شك زوجها في أن علاقة ما تربطها بابن عمها، وكان يظن أنه يتعمد أن يكون موجود عند أهلها أثناء وجودها هناك، وبذلك نسج في عقله أخطبوط الشك خيوطه وألف روايات وكتب سيناريوهات في علاقتهما، إلى أن انفجر البركان بداخله ورماها بسهام شكه ومع كل سهم يقطع حبل الحب والود والاحترام والثقة بينهما، رماها بالباطل. تخيل أن ابن عمها يأتي إلى بيته في غيابه حتى أنه كان يفاجئها في غير مواعيد عودته من العمل، تحولت غيرته عليها لشدة جمالها إلى شك لا يحتمل. طلبت منه الطلاق على الفور وكذلك أهلها أصروا على ذلك. أصبح

الطلاق و اقعاً لا مفر منه. علم الزوج المريض أن ابن عم زوجته سافر إلى بلد عربي منذ آخر مرة رآه فيها عند أهل زوجته و أنه لم يكن موجودا في البلد كلها حين اتهمها بالخيانة وحين استولى عليه سوء الظن، ليتحسر بعدها الزوج ويتذوق مرارة الندم ولكن بعد فوات الأوان. ولا تسألني لماذا لم يسع أحدا للصلح بينهم لان كل الجراح تتداوى إلا جرح الشرف والكرامة؛ وما رأيته من صخب ليس إلا محاولة من الزوج في استمالة زوجته ولكنها رفضت استقباله فهاج كالمجنون يريد الصعود إليها لولا أن الناس منعته وصرفوه. قصة كاميليا هي نموذج لقصص و اقعية مختلفة يعيش ضحاياها بيننا في المجتمع بسبب مرض الشك القاتل الذي يهدم كل علاقة طيبة وجميلة، ليجعلها في طي النسيان لكن بشيء من المرارة والألم.

- إنها مأساة بالفعل أن يُهدم بيت جميل بسبب الشك المرضي، أن مجتمعنا مليء بهذه الحوادث للأسف لقلة العلم وقلة اهتمام الأهل بزرع بذرة الضمير والأخلاق داخل الطفل منذ صغره.

- كلامك جميل يا عصام، ليتك تحاول أن تجمع أهل المنطقة وتقنعهم بضرورة عمل مركزا تعليميا للأخلاق، نعم للأخلاق، نعلم الأطفال فيه معنى الحب والاحترام والرحمة والشفقة والبر والإحسان وكل المعاني الجميلة التي نفتقدها في مجتمعنا

- أنها فكرة جيدة، وبالفعل لقد قابلت أحد مرشحي الانتخابات وكان قد أخبر صديق لي بأنه يريد أن يقوم بعمل ندوات في مراكز الشباب والأندية الاجتماعية والمدارس لتوعية الناس بأمور كثيرة وصديقي اقترح عليه أن نبدأ بأمر يشغل الكثير من الناس في الوقت الحاضر وهو موضوع التنمر

- نعم أنه موضوع خطير، إذن فلتبدأ بالتنمر ثم باقي الأخلاقيات وفكرة الندوات أفضل من مركز ثابت، فإن تذهب إلى الناس بعلمك أفضل من

أن تنتظرهم يأتون إليك. لنفعل الاثنين، ندوات لتوعية ومركزا يقصده كل صاحب مشكلة.

- أريد أيضا أن اجلس مع بعض رجال المنطقة ممن تتوسم فيهم خيرا، أريد أن نحل بعض مشكلات المنطقة وأولها مشكلة نصر، ذلك الشاب المغلوب على أمره، فلو استمر تنمر الناس به من الممكن أن يتحول إلى مجرم أو ينزوي وينتحر.

- حسنا، سوف أتواصل مع عدد لا بأس به ممن يهتم بأمر الحي والمنطقة وسيكون خيرا بإذن الله، أعطني يومين وسوف أجمعهم لاجتماع عندي في البيت وأخبرك به.

- حسنا يا أستاذي وهذا رقم هاتفي (يعطيه كارت مدون به، الأستاذ عصام الدين حسين فضل، معلم مادة علم النفس والفلسفة، ثم رقم الهاتف) ونتواصل يوميا بإذن الله، فكلما أراك في المكتبة سأمر للاطمئنان عليك والاستزادة من فيض علمك.

- بارك الله فيك يا بُني، و أنا تسعدني رؤيتك دوما

انصرف عصام وفي ذهنه يدور تصوره عن المرحلة القادمة، ويتعجب من طلب الأستاذ رفعت وتو افقه مع طلب مرشح الانتخابات حاتم الهمشري في إقامة ندوات لتوعية الناس وتثقيفهم اجتماعيا وأخلاقيا. اقترب من المنزل ولم يكد يصل إلى ماركت المصطفى حتى خرج الحاج مصطفى ليصافحه ثم قال له:

- لماذا أراك اليوم متجهما، أنا أستبشر بابتسامتك

- أسعدك الله، ليست الدنيا دائما صندوق موسيقى، وكما تقول الحكمة كما تدور عقارب الساعة حول جميع الأرقام، تدور الدنيا حول جميع الظروف.

- يا بُني خذها حكمة من رجل أكبر منك سنا «إن الحياة لحظة فاملأها فرحة وأكسوها بِالأمل وأطربها بِالضحك، وجرّدها من الحزن فَلا شيء يستحق.
- الله، أنها فعلا حكمة جميلة يا حكيم الطو ابق
ضحك الحاج مصطفى كما ضحك عصام ثم اتجه إلى داخل العمارة ليصعد إلى شقته.

★★★

١٣
كثرة البحث والإصرار عليه ويقين الوصول هم أبواب الحقيقة

تحرك محمود وبدت عليه الهمة والنشاط، فذهب إلى السلم وتجاوزه ركضا ثم اتجه لإحدى الغرف وطلب من أحد الضباط استخراج إذن النيابة للاستعلام من البنك عن تعاملات المجني عليه المالية وكذلك إذن للاستعلام من شركة المحمول وتقرير المعمل الجنائي الأخير ثم طلب أن يتوجه المعمل الجنائي لفحص باب سطح العمارة. انتهى من ذلك ثم أخذ معه بعض الضباط واستقل سيارة الشرطة و اتجه لمكان الحادث وفحص كاميرات مر اقبة لبعض المحالّ والصيدليات والأكشاك التي تقع بنفس المنطقة.
أحضر أحد الضباط التقرير النهائي للطب الشرعي وسلمه لخالد الذي فحصه جيدا ثم كتب بعض الكلمات في ورقة أمامه وظل ينظر في الصورة ويدقق في الكلمة أو الحروف التي كتبها الجاني على الحائط ثم التقط هاتفه وطلب رقم ما و انتظر ثوان ثم ابتسم وقال للطرف الآخر الذي اتصل به:
- صديقي العزيز، وأستاذي الفاضل، اعلم أني مقصر جدا معك واعدك بعزومة دسمة في مسمط السيدة (يضحك بصوت مرتفع وهو يرجع برأسه إلى الخلف).
يصمت لبرهة ثم يكمل حديثة:
- اعترف أنني فاجأتك بالعزومة لا تقي كلماتك التي تشبه طلقات رشاش بيزون الروسي (يصمت برهة) لا هذا يشبه كلماتك و أنت غاضب، يطلق سبعمائة طلقة في الدقيقة (يصمت برهة)، لم أجد تشبيه غيرة ولكن أعدك بعزومة في

مسمط السيدة. أريد منك خدمة كبيرة للعدالة، (يصمت ثم يضحك بصوت مرتفع وهو يرجع برأسه إلى الخلف)، سأرسل لك صورة لكلمة أو حروف مكتوبة على حائط وأريد معرفة معناها بأي لغة كانت (يصمت برهة) حسنا سأنتظر.

يغلق خالد الهاتف ثم يتمتم عمومة في مسمط السيدة هي الطريقة الوحيدة التي يسامحني بها أيمن على غياب أكثر من عام رغم اتصالاته الكثيرة لنتقابل. ثم يمسك الهاتف ويرسل له الصورة بعد أن التقطها بهاتفه من الصورة الفوتوغرافية الموجودة في حافظة أوراق القضية.

ظل محمود ينتقل من محل لأخر ومن شارع لأخر حتى انتهى بعد ما يقرب من أربعة ساعات من مهمته ثم عاد إلى المديرية وفي نفس الوقت ارتفع رنين هاتف خالد الذي كان يخطط في ورقة أمامه فالتقط الهاتف سريعا

- هل وصلت لمعناها (يصمت برهة) خيانة باللغة اليونانية، ممتاز، أشكرك يا صديقي وسوف أنتهي من هذه القضية و اتصل بك للوفاء بالوعد (يصمت برهة) حسنا يا صديقي إلى اللقاء، سلاما يا صديقي.

طرق محمود باب غرفة المكتب ثم دخل بعد أن أذن له خالد، جلس محمود أمام المكتب على الكرسي وعاد بظهره إلى الخلف علامة على الاسترخاء بعد جهد ومشقة وقال لخالد الذي ينظر إليه ينتظره أن يتكلم

- لم تسجل الكاميرات أي شيء

- وتقرير البنك وشركة المحمول

- المجني عليه سحب ثلاثة ملايين جنيها قبل الحادث بيومين، تقرير شركة المحمول يقول إن الهاتف تم إغلاقه في نفس العمارة والغريب أن رقم الهاتف المسجل باسم المجني عليه لم تصدر منه أو يستقبل أي مكالمات منذ يومين.

- كما توقعت، انتبه الجاني إلى إمكانية تتبعه فأغلق الهاتف، ويبدو أن المجني

عليه لديه رقم آخر ليس باسمه يستخدمه، ولقد اتصلت بالخبير الجنائي وهو يقوم بمعاينة باب السطح وأكد لي أن الباب تم فتحه بمفتاح مُقَلِّد. وقد اتصلت بصديقي دكتور أيمن في كلية الألسن وقد أخبرني بمعنى الكلمة Προδοσία وتعني خيانة باللغة اليونانية وبذلك يمكن تخمين أن هناك امرأة في الموضوع.

- ربما هو مستقيم ولكن هناك من يتصور غير ذلك

- أنت تشير إلى طرف ثالث وأن الجريمة بسبب امرأة

- بالفعل، كل التفاصيل التي وصلنا إليها تشير إلى أن هناك احتمال كبير جدا أن يكون الجاني أحد المقربين من المجني عليه، كانت لديه الفرصة لتقليد مفتاح باب سطح العمارة، المجني عليه أخبر مشيرة أنه كانت هناك صفقة ما وهذا يشير إلى دافع السرقة. وصلني منذ قليل التقرير النهائي وجاء فيه وجود حقيبتين من البلاستيك أسفل أريكة بالصالة، آثار أقدام تظهر على سجادة الصالون التي كان بها غبار، نفس آثار الأقدام كانت قادمة من المطبخ وكانت أرضيته مبللة، نفس آثار الأقدام تتجه إلى سطح العمارة.

- ألا يمكن أن تكون هذه الآثار قد اختلطت عندما دخل البواب والجيران ورجال الشرطة إلى الشقة

- التقرير يبين أنها آثار لحذاء رياضي كوتشي

- هناك خطوة مهمة يجب أن أقوم بها بنفسي الآن.

- ألا يمكن أن أقوم أنا بها وتظل سيادتك لتسترح أو أر افقك في هذه المأمورية

وقف خالد وتحرك من خلف المكتب وربت على كتف محمود:

- اعلم أنك تعبت اليوم، سأتصل بمشيرة لتقابلني بالشركة واستفسر منها عن بعض المعلومات، استرح أنت الآن وسأتصل بك أن احتجت إلى أي شيء، مع إننا اعرف أن التحقيق يروق لك في هذه القضية وخاصة التحقيق مع مشيرة

ابتسم محمود ولم يعقب بينما ربت خالد على كتفيه وقال:

- ضع لجاما لمشاعرك، كل ما أخشاه أن يكون لها علاقة بالقضية من قريب أو بعيد

حاول محمود الكلام ولكن خالد استرسل:

- أنا لا ألومك فنحن لا نملك قلوبنا، ولكن احذر من الوقوع في بر اثن العشق.

★★★

١٤
الحب ليس قرارا يؤجل
إنما شعورا بالاختطاف إلى عالم المحبوب

في اليوم التالي ذهب عصام إلى المدرسة لمقابلة المدير كما طلب منه في آخر لقاء. وصل عصام إلى فناء المدرسة وفي أثناء طريقه إلى المكتب شاهد علاء حسني صديقه وزميله القديم فهرول إليه وشاهده علاء فأسرع فاتحا ذراعيه ليعانقه

- عصام، أخي وصديقي، كيف حالك، تُسعدني رؤيتك

-علاء، أخي العزيز، غمرتني السعادة عندما رايتك مرة أخرى، كيف حالك

تبادل الأصدقاء الحديث عن الأحوال والأصدقاء القدامى ثم أضاف عصام

- أشكرك يا صديقي على المقدمة الرائعة التي قدمتني بها إلى المدير، فقد أخبرني بثنائك علي

- هذا حقك، وما قلته إلا قدرك و أقل بكثير، فنعم الأخ والصاحب والزميل، لا أنسى مو اقفك الجميلة مع جميع أصدقائنا وسعيك الدؤوب إلى إصلاح المجتمع حولك.

- هذا إطراء جميل منك ولكنك تعطي الأمور أكبر من حجمها

- صديقي العزيز، لا ينكر مجهودك وإخلاصك مع الجميع إلا حاقدا

- أخجلتني بثنائك هذا

ثم أخذه علاء من يده وتوجه به إلى زملائه المعلمين وسأله

- هل تعرفت على جميع زملائنا

- بل البعض فقط

قدمه علاء إلى زملائه وزميلاته ممن يعرفهم عصام بالفعل ومن لا يعرفهم وظلا يتجاذبان أطراف الحديث ثم تركه عصام ليتوجه إلى مكتب المدير ووعده بالرجوع إليه ليكملا حديث الود الذي لا ينتهي بينهما. وصل إلى مكتب المدير. دخل إلى الغرفة، لم تكن فخمة بتكلف بل كانت بسيطة ومناسبة. يقع مكتب المدير في مواجهة باب الغرفة وأمامه يوجد كرسيين استقبال. رحب المدير بعصام واستقبله استقبالا حارا وكأنه صديق حميم أو زائر ذو أهمية كبيرة. بدأ حديثه بالثناء عليه وذكر المعلومات التي عرفها عن عصام ثم دخل في الموضوع مباشرة إذ حدثه عن المشكلات التي تواجه المدرسة وخاصة بين الطلاب وطلب منه أن يقوم بمساعدة الإخصائية الاجتماعية بالمدرسة الأستاذة دينا في حل هذه المشكلات بصفته على دراية بسلوكيات الطلاب بحكم عمله وتخصصه وكذلك لقيامه بهذا الدور من قبل في مدرسته السابقة. رحب عصام بالفكرة خاصة بعد أن أخبره المدير أن فصول القسم الثانوي قليلة في المدرسة وبالتالي لن يتعرض لضغط العمل لأن مادتي علم النفس والفلسفة التي يتخصص فيهما عصام لا يتم تدريسهما إلا في المرحلة الثانوية. أعرب المدير لعصام أن هذا الطلب يعد اختياريا ولعصام الحق في الرفض أو القبول و أنه يعد طلبا شخصيا من المدير لمساعدته في حل مشكلات خطيرة في المدرسة. استفسر عصام عن هذه المشكلات فأخبره المدير أن أهمها هو مشكلة التنمر التي تعاني منها غالبية المدارس وتعد ظاهرة خطيرة تفشت فيها.

قال عصام للمدير إنه على أتم استعداد للمساعدة في هذا الأمر ولكن بشرط ألا يتدخل أحد في عمله مهما كان، وو افق المدير على هذا الشرط وسأله عن خطة مقترحة لمواجهة هذه المشكلة فشرح له عصام بعض النقاط وأخبره أنه سيقوم بإعداد ملف كامل بالخطة المقترحة للقضاء عليه وأوضح أنه يريد

تعاون جميع المعلمين معه لأن الخطة تشمل خطوات تتم داخل الفصل أكثر مما يتم داخل غرفة الاختصاصي الاجتماعي. و افق المدير على طلبات عصام ووعده أن يجتمع مع جميع المعلمين في بداية العام الدراسي ويلزمهم جميعا بالتعاون معه. طلب عصام أيضا اطلاعه على المشكلات التي ظهرت العام الماضي، فأعطى له المدير ملف به تفاصيل كثيرة عن معظم مشكلات التنمر التي واجهت إدارة المدرسة، وطلب منه أن يطلع عليه في منزله بهدوء وتمعن، وأن يأتيه بالخطة كاملة مع أول يوم في العام الدراسي. رحب عصام بطلب المدير واخذ الملف وكان على وشك الانصراف لولا أن دخلت فتاة في منتصف العقد الثاني، بيضاء البشرة، متوسطة الطول، أضافت عينيها الخضراوين وشعرها الأصفر الذهبي إلى ملامحها مزيدا من الجمال والجاذبية. أسرع المدير في تقديم عصام لها بينما هو غارق في بحر عيونها وأمواج جاذبيتها حتى أنه لم يسمع ما قاله المدير الذي كرر نداءه (عصام، عصام) أكثر من مرة حتى أخرجه من حلمه الجميل. لاحظت هي ذلك فابتسمت ثم اقتربت منه ورفعت عنه حرج ما فاته من تعريف المدير لها ومدت يدها وقالت له

-دينا، الاختصاصية الاجتماعية بالمدرسة

أطبق عصام على يدها برقة وهو يقول

-عصام، أستاذ الفلسفة وعلم النفس

أفلتت يدها من بين يديه وما كانت لتفعل وتترك هذا الدفء الذي شعرت به

- إذن أنت زميلي الجديد في حل مشكلات المدرسة

- من حسن حظي الذي ابتسم لي أخيرا

قالها همسا حتى إن المدير لم يسمعها

أشاد المدير بمجهود دينا في العام الماضي لحل المشكلات التي قابلتهم، و أبدى سعادته بوجود عصام بينهم وعَوّل عليه كثيرا لحل مشكلات كثيرة

وتخفيف العبء عن دينا، بينما اعترفت هي أن هناك الكثير من المشكلات التي لم تستطع أن تحلها وتخشى تفاقمها إن لم يجدوا لها حلا هذا العام ولكن عصام تدخل بعد أن قاوم رغبته في الغرق مرة أخرى بينما لاحظت هي تلك الرغبة فأطالت النظر إليه وحاولت اختراق عينيه لتعلم مكنونه وماهيته. قال عصام إن العمل سيكون بشكل جماعي داخل المدرسة ولن يجدي مجهود اثنين أو ثلاثة وأضاف أن الأسرة مسئولة عن هذا العلاج ومشتركة فيه ويجب أن يتعاون الجميع للخروج بالطلاب إلى بر الأمان. انتهى النقاش بينما لم ينتهي لقاء عصام ودينا إذ أكملا مناقشة الموضوع بعد أن غادرا مكتب المدير. أوشك الرحيل أن يقطع حبل النظرات الذي امتد بينهما بينما جاهدا أن يركزان في الحديث وكان عصام يفتش في يديها بعينيه ليرى أن كانت مقيدة برباط مقدس أم مازال قلبها حرا، لاحظت هي ذلك فأظهرت كلتا يديها بطريقة غير مباشرة لتريحه من عناء البحث في يديها ولاحظ هو ذلك فابتسم. شعر بالارتياح من هذا الفعل الذي يدل على ترحيبها بأن يقتحم حياتها ففتحت له الباب لتشجيعه على ذلك فسألها عن مكان سكنها فأطربت مسامعه بقولها إنها تسكن بالهرم فداعبها قائلا

- تسكنين بالهرم

- نعم

- بجانب خوفو أم خفرع

فضحكت حتى ظهرت أسنانها وعادت برأسها إلى الخلف، وتبادلا الحديث وعرض عليها أن يوصلها في طريقه فرحبت أن يركبا معا سيارة الأجرة. لم يشعرا إلا وقد اقترب اللقاء على الانتهاء و اقترب بيتها، وأعربت عن امتنانها من هذا اللقاء وطلب عصام أن يوصلها للبيت فأبت حتى لا يتسبب لها ذلك

في أي مشكلات وتفهم عصام ما لمحت إليه. غادرت السيارة ولم تغادر خلده فظل يتذكر ابتسامتها ويبتسم حتى لا حظ أحدهم ذلك وكان رجلا في العقد الرابع من عمره، متوسط الطول، قد زحف الشيب على بعض من شعره فأكسبه وقارا وأضاف إليه وقارا أنه يرتدي العوينات الطبية الخفيفة فقال دون مقدمات تستحق فنظر إليه عصام وقد أدهشته الكلمة فقال للرجل

- ماذا تقصد

فرد عليه بابتسامة

- أقصد أن الحياة تستحق، تستحق أن نحياها في كل لحظة، نستمتع بها، تستحق أن نحب وأن نُحِبّ، أن نستمتع بالحب، أن نكون الاختيار الأول في حياة من نحب. الحياة جميلة إن استمتعنا بها كما يجب. لا تدع أحدا يختطف السعادة منك، ولا تنتظر أحدا يمنحك إياها فالسعادة لا تستورد بل تولد من داخلنا، تمسك بمن يهبك السعادة فهو يهبك الحب أيضا، إن الأحباب هدية عظيمة يمنحونا بهجة لا تنضب وسعادة لا تنقطع وفرحا لا ينام فلا تضيعهم من يدك.

- برغم دهشتي من كلماتك المفاجئة إلا أنها أعجبتني، لخصت كثيرا من حكم الحياة. لقد تعمدت أن تبهرني

- لا، ونصيحتي لك ألا تحاول أن تُبهر أحدا، كن على طبيعتك فبالتأكيد طبيعتك باهرة للشخص المناسب لك.

- صدقت، ولكن لماذا لا أحاول أن أبهر من أحب حتى أجذبه لي

- لأنك عندما تحاول أن تُبهر الآخر تبذل جهدا إضافيا ولن يستمر هذا الإبهار طويلا وعندما تعود لطبيعتك سيجدك مختلفا ويلومك على ذلك ويضيع انبهاره بك

- صدقت، شرفت بمقابلتك، ولكن استأذنك فقد حان وقت نزولي المحطة القادمة

- حسنا، سأنزل معك فأنا أيضا اسكن بنفس المنطقة

أخرج الرجل بطاقة تعريفية مدون بها من أعلى اليمين دارنشرتدوين وعلى اليسار يوجد شعار الدار ثم تحت هذا السطر في المنتصف يوجد اسم الرجل هشام فهمي السيد، مترجم وكاتب ومدير النشر، رقم هاتفه والبريد الإلكتروني. أخذ عصام البطاقة بابتسامة وأعطاه بطاقته التعريفية. غادرا السيارة ثم تصافحا و افترقا. تعجب عصام من ترتيبات القدر ثم نظر إلى الملف الذي أعطاه المدير إياه وهو في يده وتمتم يبدو أن الأمر صعبا

★★★

١٥
إخفاء الحقيقة أو جزء منها يضعنا في موقف ضعيف

غادر خالد المديرية بسيارته متجها إلى مكان الجريمة و اتصل بمشيرة وطلب منها أن تقابله بالشركة وو افقت على الفور. سيطر عليه شعورا بأن مشيرة تخفي شيئا، يستطيع قراءة الأحرف الأولى من كتابها ولكن يصعب عليه قراءة باقي الكلمات، يعلم أنه مضطرا أن يصبر قبل أن يضطر إلى انتزاع الكلام منها رغما عنها، أن هذا الأسلوب يبغضه ولا يحب أن يلجأ إليه. نظر إلى السماء أمامه فوجدها ملبدة بالغيوم ولكنها لم تستطع أن تحجب الشمس الخجولة التي تظهر على استحياء خلف هذه الغيوم. قال خالد لنفسه متمتما رغم الصورة غير المبشرة ولكن لننظر إلى نصف الكوب الممتلئ، فرغم الضباب تقاوم الحقيقة للخروج ثم نظر لنفسه في مرآة السيارة وضحك وقال لقد أصبحت شاعرا، والفضل لك حبيبتي، جعلتيني اقرأ لأجد كلاما جميلا أقوله لك مثل الذي أسمعه منك، فالحاجة أم الاختراع. وصل خالد إلى مكان الشركة ودخل فوجد مشيرة وصابر المحاسب، نظرت إلى الأرض بينما ظل خالد ينظر إليها ير اقب انفعالاتها. حياهما وجلس فسأله صابر عن شر ابه المفضل فطلب شاي وذهب صابر لإحضاره فقالت مشيرة.

- مرحبا يا أفندم

ظل خالد ينظر إليها لثوان ثم قال لها بابتسامة

- مرحبا يا أستاذة مشيرة، هل أبلغت صابر أم كان متواجدا مصادفة

- لقد أصر صابر ألا يتركني أحضر بمفردي فهو مثل والدي ويخشى على

- لا مشكلة إطلاقا أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

في نفس الوقت حضر صابر المحاسب بالشاي فقال له خالد

- هل تعلم أن المرحوم سحب مبلغا كبيرا من البنك قبل الحادث؟

- لا، لم أكن على علم بذلك

- ألم يخبرك بوجود صفقة كبيرة سيقوم بها؟

- لا، وهذه أول مرة لا أعلم بتفاصيل صفقة كهذه

- ألم تلاحظ أي شيء غير طبيعي على المجني عليه في الفترة الأخيرة، مثل القلق، العصبية، الخوف

- لا

- هل لديك أولاد يا صابر؟

- نعم، بنتين

- بارك الله لك فيهن، منذ متى و أنت تعمل مع الحاج إبراهيم؟

- منذ خمس سنوات تقريبا، عمر الشركة

- وقبل ذلك، فيما كنت تعمل؟

- في شركة حكومية وسويت معاش مبكرو اتجهت إلى العمل الخاص

- كيف عرفت الحاج إبراهيم رحمه الله

- تعرفت عليه عن طريق أحد الأقارب الذي كان صديقا للمرحوم

- قبل الشركة، فيما كان يعمل الحاج إبراهيم؟

- ما أعرفه أن الحاج إبراهيم كانت لديه شركة تعمل في نفس المجال وقام بتصفيتها قبل أن يفتتح هذه الشركة بعام

- لماذا

- لا أعلم السبب، ولكن بحكم عملي كمحاسب فإن شركات كثيرة تلجأ إلى ذلك تجنبا للضرائب، وربما يغيرون اسم صاحب الشركة واسم الشركة نفسها في الأوراق الرسمية ويبقى هيكل الشركة الإداري كما هو

ثم اتجه خالد إلى مشيرة بالأسئلة

- بما تفسرين أن القاتل كتب كلمة خيانة على الحائط بدم القتيل؟

ردت بشيء من العصبية

- لا أعلم، أنا لا أعرف

- من أي كلية تخرجتِ؟

- تخرجت من كلية التجارة، قسم محاسبة

- فلماذا لم تعملي بالمحاسبة في الشركة بدلا من وظيفة سكرتيرة؟

- لقد كنت مديرة المكتب وليس مجرد سكرتيرة

- لا تغضبي، أنها مجرد أسئلة، أن كلماتك قليلة وأحاول أن أجد أي معلومة ولو صغيرة ربما تكشف لنا طريقا للوصول إلى الحقيقة

- حسنا يا افندم، اعتذر أن انفعلت

- حسنا، انتظري سأعود، سأتفقد الشركة والعمارة وارجوا ألا ينصرف أحد.

قام خالد في صمت وتفقد الشركة، نظر إلى مكتب مشيرة وتفحصه جيدا ثم تفحص أركان الشركة والسجاد وغرفة داخلية في الشركة ومطبخها و أيضا الحمام ثم اتجه إلى المخزن وقام بتصوير الأجهزة التي فيه وطلب بيان بالأجهزة الموجودة من صابر ومشيرة ثم شرع في طلب عبد الجواد واصطحبه إلى سطح العمارة ولم يستقل المصعد بل فضل أن يستخدم السلالم وكان يتفحص كل دور جيدا وكذلك باب كل شقة حتى وصل إلى شقة القتيل فوجد عليها الشمع الأحمر وتفحص بابها جيدا. صعد إلى سطح العمارة فوجد باب السطح مفتوح كما تركة الجاني، فحصه خالد جيد ثم سار ببطء على سطح العمارة فوجد آثار أقدام كثيرة واضحة فوق رمال على السطح. وجد عدد كبير من أطباق الدش موجودة على السطح فنظر إليها ثم التفت إلى عبد الجواد وسأله عن صاحب أكبر الأطباق فأخبره أنه كان يخص المرحوم لأنه

كان يحب القمر الأوروبي وقنواته وكان عبد الجواد يبتسم وهو يقول ذلك. قفز خالد بخفة من سطح العمارة إلى سطح العمارة الأخرى وكان بينهما سور صغير منخفض ولاحظ أن سطح العمارة الأخرى دون باب. استفسر خالد من البواب فأخبره أن العمارة لم يكتمل بناؤها ولا يوجد بها سكان وهي مفتوحة طوال الوقت ولكن لم يحدث أن تعرضت العمارة لأي سرقة من قبل سوى المحاولة التي أخبره بها من قبل. وقف خالد لبضع دقائق وقال لعبد الجواد

- هل ذاكرتك حديد يا عبد الجواد؟

- نعم يا أفندم

- حسنا، لو قلت لك من كان يتردد على المجني عليه غير العاملين في الشركة هل تستطيع أن تتذكر؟

استغرق عبد الجواد بعض الوقت

- المرحوم كان لا يحب الاختلاط وكان لا يستقبل أحدا بشقته كثيرا ولم يتردد عليه إلا العاملين بالشركة حتى الأستاذ جابر ظل يتردد عليه بعد أن ترك الشركة

قال خالد باهتمام

- من جابر هذا؟

- لقد كان يعمل مع الحاج إبراهيم وترك الشركة

- متى رأيته آخر مرة؟

- منذ شهر تقريبا

- لماذا لم تتحدث عنه من قبل؟

- لان حضرتك سألتني من كان يتردد على المحني عليه و أنا نسيته لأنه لم يزوره منذ شهر تقريبا

- هل تعلم لماذا ترك الشركة؟

- لا

- هل تعرف أين كان يقابل الحاج إبراهيم أصدقائه إن لم يقابلهم بالمنزل
- لم يكن له أصدقاء، وكان يقابل أي ضيف إما بمكتبه بالشركة أو على المقهى المقابل للشركة أو لو كان الضيف عزيزا عليه كان يقابله بالشقة ويطلبني لأكون حاضرا لأجهز لهم ما يطلبونه من مشروبات
- صف لي جابر هذا يا عبد الجواد.
- كان طوله متوسط، مثلي، كان أبيض البشرة ومجعد الشعر، وشعره مائل للون البني
- ماذا كان يرتدي في أغلب الأحيان، هل يلبس قميص مثلا أم تي شيرت؟
- كان دائما يرتدي تي شيرت وسروال جينز وكوتشي
- من غيرة يرتدي الكوتشي من العاملين؟
- أظن أن كاسب ونجاح يرتدون الشبشب والأستاذ صابر يرتدي حذاء جلدي والأستاذة مشيرة ترتدي حذاء حريمي
- أنت دقيق جدا يا عبده، ما شاء الله عليك؟

يضحك عبد الجواد لان خالد قال له عبده و اثني عليه

- هذا عملي أن احفظ من أراه، ماذا يلبس، ماذا يأكل ماذا يحب، حتى أقوم بتلبية متطلباته ويكون ممتنا مني

أثنى عليه خالد مرة أخرى ثم اصطحبه إلى العمارة الأخرى ونزل من سلالمها ثم قام بتحسس سلاحه وشرع يتفحص شقق العمارة الخالية. كانت الشقق بلا أبواب. ظل خالد يتفحص الشقق وخلفه عبد الجواد الذي أصابه الرعب عندما تحسس خالد سلاحه، وفجأة ابتسم خالد عندما وجد اللاب توب محطم وكذلك الهاتف المحمول الخاص بالقتيل فتمتم لقد توقعت أن يكون الجاني قد تخلص منهم هنا حتى لا يكون ملفتا للنظر إذا صورته أحد الكاميرات وهو يسير بالشارع. طلب خالد من عبد الجواد أن يحضر له

كيس بلاستيك فغاب عبد الجواد دقائق ثم عاد سريعا بما طلب خالد فقام الأخير بإمساك اللاب توب والمحمول بمنديل ووضعهما معا داخل الكيس ثم وجد آثار لشخص في أحد أركان الغرفة، اقترب خالد فوجد اثر له كأنه كان يعاني أو أنه تعثر ولكن لم يجد أي شيء يؤكد على ذلك. أنهى خالد مهمته فنزل إلى الشارع الخلفي التي تطل عليه العمارة ويطل بابها عليه ثم سار في الشارع وكانت القمامة كثيرة جدا والشارع شبه خالي فقال عبد الجواد على الفور عندما لاحظ أن خالد يريد أن يسأله عن سبب ذلك المنطقة جديدة يا أفندم، وعدد السكان قليل جدا بها ولذلك يستغل الناس ذلك ويجمعون القمامة بها هز خالد رأسه تفهما ثم أكمل سيره وهو ينظر يمينا ويسارا ثم سأل عبد الجواد عن طريق العودة إلى العمارة من أقرب طريق فدله على شارع جانبي قريب فاتجها إليه. وصل خالد ومعه عبد الجواد إلى الشركة ثم دخل خالد وشكر عبد الجواد وطلب منه أن يتجه إلى بوابة العمارة ليباشر عمله. دخل خالد إلى الشركة وسأل مشيرة

- أخبرتني أن الحاج إبراهيم لم يكن يطرد أحد من العمل ولم يعمل معه أحد وتركة من قبل، أليس كذلك؟

- بلى

- وماذا عن جابر؟

ارتبكت مشيرة وقالت بعد أن قامت بتعديل وضع وعيناتها الطبية

- لقد ترك الشركة بإرادته ولم يطرده الحاج إبراهيم وقال له إن الشركة مفتوحة لك في أي وقت تريد

- لماذا لم تخبريني عنه عندما سألتك عن العاملين وعن وكل ما تعرفيه؟

- لقد نسيت، اعذرني أن الموقف صعب

- حسنا لا عليك، شكرا لك، سوف أنصرف الآن

قامت مشيرة وصاحبت خالد إلى السيارة وهي تسأله عن الوضع القانوني للشركة بعد وفاة الحاج وهل سوف تستمر أم لا. أجابها

- إنها مسائل قانونية وفي حدود معلوماتي فإن الأمر يرجع إلى ابنه المسافر إلى أمريكا، فإذا أراد استمرار الشركة وأن يظل بالخارج فعليه عمل توكيل لشخص آخر يقوم بإدارتها

ظهرت الحيرة على وجه مشيرة

وأضاف خالد

- أنا لا أعتقد أن ابنه من الممكن أن يلجأ إلى هذا، والأكثر واقعية أن يغلق الشركة ويقوم بتصفية ممتلكاته ويعود للإقامة بأمريكا، فمن يتعود على السفر، خاصة وهو شاب، لا يجد راحة في العودة؛ اختلاف الطباع والعادات والناس والمعتقدات يؤدي إلى اختلاف عقلية الإنسان الذي تعود عليها. أظنه تعود على الإقامة هناك.

نظر إلى مشيرة فوجدها حزينة فأضاف:

- اعلم أن كلماتي ربما تزعجك وتسبب لك حزنا ولكن يجب عليك مواجهة الواقع

ردت مشيرة وقد أضفى الحزن على صوتها مسحة شجن:

- لا عليك يا أفندم

شكرها خالد وانصرف، خبرته بالناس تقول إنها تخفي شيئا، ولكن مثل هذه الملامح لا تؤذي أحدا، بل لا تفكر في الإيذاء مطلقا. هذه خبرته بالحياة التي تتكلم ولكنه يترك صوت حسه الأمني يعلو فوق أي إحساس آخر. لابد أن يشك في الجميع حتى يصل إلى الحقيقة. استقل سيارته وانطلق بها في طريقه إلى المديرية بينما انطلقت أسراب النحل تدور في رأسه ويسيطر طنينها على أذنيه. ظل خالد في هذه الحالة حتى وصل إلى المديرية.

★★★

١٦
في ركن صغير بين الإهمال والجهل أعيش حياةً بلا حياة

تشابكت الأفكار في رأس عصام وهو في طريقه إلى المنزل و أفكاره تأخذه يمينا ويسارا حتى رست سفينة أفكاره على شط دينا؛ تذكر ابتسامتها الجميلة وطلتها الجذابة وشخصيتها المتزنة. قاطعه صوت الأطفال يطاردون نصر وهو يهرب منهم فوقف عصام وأمسك بأحدهم وكان على ما يبدو زعيمهم وقال له

- انتظر أريد أن أتكلم معك

- ماذا تريد، اتركني

- سأتركك، أريد أن أتكلم معك رجلا لرجل، هل أنت رجل؟

- نعم أنا رجل

- حسنا سأتركك ولا تهرب مثل الأطفال

تركهُ عصام وظل الفتى منتظرا ولم يهرب، وكان في الثالثة أو الرابعة عشرة بتقدير عصام وشرع في تعديل ملابسه. كانت تبدو عليه علامات الذكاء والشجاعة، قال عصام وهو يبتسم برقة وربت على كتفه

- حسنا لقد أثبت لي أنك رجلا فعلا، ما اسمك؟

أشاح الفتى بيده بطريقة فجّة كوسيلة لإرسال رسالة إلى من أمامه أنه أقوى مما يتوقع

- شريف حسين محمد، ماذا تريد؟

- أنت تطارد نصر الآن، ومنذ يومين أو أكثر طاردته أيضا، هل فعل لك شيء؟

- لا

- لماذا إذا تفعل ذلك معه؟

- هذا ليس من شأنك

تغيرت ملامح عصام واكتسبت بعض الحدة وكذلك اتسعت عيناه قليلا وتغيرت لهجته ونبرة صوته إلى الشدة أيضا وتوعده قائلا:

- لقد اتفقنا أن نتكلم رجلا لرجل، لو لم أكن مهتما ما أمسكت بك أم تضطرني أن أتعامل معك بأسلوب لن يعجبك

شعر شريف ببعض الخوف والقلق من عصام وقال

- حسنا سنتكلم رجلا لرجل

عادت ملامح عصام إلى سابق عهدها وقال لشريف

- حسنا، لماذا إذا تطارده؟

- مجرد تسلية، فقط احب ان اخيفه لكي الاحقه أنا وأصدقائي.

-هل ستكون سعيدا لو انتحر نصر؟

- لا

- بالتأكيد ستشعر بالذنب وربما يعاقبك القضاء لأنك السبب.

- ماذا تريد أن تقول؟

- هل ستكون سعيدا لو أمسك نصر بأحد أصدقائك وقتله؟ وستكون أنت السبب.

- بالطبع لا، ولكن لماذا أنا السبب إذا انتحر أو قتل أحد أصدقائي؟

- ما تفعله أنت وأصدقائك معه من الممكن أن يؤدي به ذلك، ما تفعله نتيجته الانتحار أو أن يتحول نصر إلى مجرم وفي الحالتين ستحمل ذنبه في رقبتك.

- لا أفهم

- حسنا، بالطبع تعرف البالونة، ماذا يحدث لو ضغطت عليها بشدة، ضغط لا تتحمله.

- ستنفجر

- هذا ما سيحدث مع نصر، ما تفعله أنت وأصدقائك أنك تضغط على نصر بشدة ومع تكرار ذلك من الممكن أن يفقد حبه للحياة ورغبته فيها ويلجأ إلى الانتحار أو يصبح شخصا عدوانيا وينتقم منكم. هل لك إخوة؟
- نعم لي أخ وأخت
- هل لو تسببت في أن يتعرض أحدهم لحادث، مثلا كنت تلعب ودفعته بقوة فوقع على زراعة وكُسر، هل ستشعر بالندم والحزن وتتمنى لو لم تفعل ذلك.
- نعم بالتأكيد
- هذا هو الضمير الذي يجعلك تشعر بالندم، وستظل تشعر بالندم كلما نظرت إليه ووجدت زراعة به أثر لما فعلت. إن أقدم نصر على الانتحار فستكون أنت السبب ولو قتل أحد أصدقائك فستكون أنت السبب أيضا لأنك أنت القائد وتدفعهم وتشجعهم على ذلك
- لقد فهمت ما تقصد
- أنا أتحدث الآن إليك بهدوء، لكن لو تكرر ذلك سأبلغ والدك
- أبي ليس لديه وقت ليسمعك، وليس لديه وقت ليعرف ماذا افعل
- إن كان والدك لا يهتم فالشرطة تهتم وسوف أبلغ الشرطة عنك أنت وأصدقائك وستذهب للقسم ويتم حجزك والشارع كله يشهد أنك تتسبب في أذى نصر. أما لو أثبت لي أنك رجلا تسمع بأُذنيك وتعقل ما تسمع فسوف نصبح أصدقاء.
- أصدقاء!!!

- نعم ونلعب سويا في مقهى الإنترنت (الإنترنت كافيه) أي ألعاب تريدها وسأتكفل بذلك، أو نلعب في محل الفيديو جيم (البلاي ستيشن)، أو نَكُون فريق لكرة القدم ونلعب كل أسبوع في مركز الشباب أو النادي أو أحجز لكم ملعب كرة القدم وتلعب مع أصدقائك هناك، ما رأيك؟

- مو افق بالطبع وسوف أتحدث مع أصدقائي ونبتعد عن نصر.
انطلق الفتى وجمع أصدقائه وعاد إلى عصام بعد دقائق وهم معه وأظهروا سعادتهم بعرض عصام وعزموا على الابتعاد عن طريق نصر. اخرج عصام ورقة وقلم وطلب من كل واحد منهم أن يكتب اسمه واسم الفيلم الذي يحبه سواء فيلما عربيا أو أجنبيا، وكذلك اسم اللعبة التي يحبها أو يريد أن يلعبها، مرت الورقة عليهم جميعا وكانوا ثمانية أطفال بين الثالثة عشرة والرابعة عشر. لاحظ عصام أن بعضهم لا يحسن الكتابة وان معظم الأفلام التي دونوا اسمها تتسم بالعنف.
كان نصر أثناء هروبه من الأولاد في الشارع ينظر خلفه بشكل متكرر ويتملكه رعبا هائلا، وما أن رأى عصام قد أمسك بقائدهم وتحدث معه ثم وقف الأولاد في انتظار قائدهم حتى توقف عن الجري ووقف ينتظر نتيجة تدخل هذا الغريب. ابتسم نصر عندما أدرك أن هذا الغريب هو منقذه من هؤلاء الأشقياء، بل وزادت ابتسامته ووقف مستندا إلى إحدى السيارات عندما شاهدهم وهم يلتفون حول عصام وبعضهم يكتب شيئا في ورقة ثم يناولها للآخرين. أدرك نصر أن هذا الغريب يحاول بطريقة ما أن يبعد هؤلاء الأشقياء عنه. انتهى عصام والأولاد من وقفتهم بعد أن أخذ الورقة وتحدث معهم قليلا، ثم انصرف هؤلاء الصبية أيضا. نظر عصام تجاه نصر فلاحظ وقوفه مستندا إلى إحدى السيارات فسار تجاهه و انتظره نصر بابتسامة، ولم يكن عصام يتوقع ذلك، ولما اقترب منه مد عصام يده ليصافح نصر فمد يده في ترقب ثم ابتسم وصافحه بحرارة؛ وبدأ يتكلم، وهنا أدرك عصام مأساة نصر وهي التلعثم في الكلام وصعوبة اصطياد الحروف مع حركة عصبية لعينه اليسرى وهو يفتحها ويغلقها بسرعة أثناء كلامه. كان نصر يحاول أن يشكر عصام على ما فعله فقال له أشكرك على ما فعلته مع هؤلاء الأشقياء. أدرك

عصام أن عقل نصر يعمل ويفكر ويجد الكلمات المناسبة للتعبير وهذا يشير إلى أن عقله ليس أصغر من عمره كما كان يعتقد. فكر عصام في أن يختبر رجاحة عقله فقام ببعض الاختبارات السريعة للذاكرة والإدراك الحسي والحركي والانتباه والتركيز دون أن يوضح لنصر أن ذلك اختبارا، فتظاهر بأنه يريد أن يكتب اليوم والتاريخ على الورقة التي كان يوزعها على الأولاد ولكنه لا يتذكر، فأخبره نصر باليوم والتاريخ، وقام بكثير بهذه الاختبارات بطريقة غير مباشرة وأدرك في نهاية الأمر أن نصر لا يعاني إلا من التلعثم وحركة عينه اليسرى. بينما هما يتحدثان إذ بقطتان يتعاركان ويصدران صوت عراك القطط المواء المرتفع فإذا بنصر يقفز من مكانه وتظهر عليه علامات الخوف الشديد ويرتعد بشدة ولا يستطيع أن يقترب من القطط ليبعدها عنه، بل يقف مكانه يرتعد وهو يضم يديه إلى صدره حتى قام عصام بإبعاد القطط وعاد إليه فوجده يهدأ تدريجيا. تحدث عصام مع نصر كثيرا وهما يسيرا سويا حتى وجد عصام نفسه بالقرب من مكتبه الأستاذ رفعت فتوجه إليها مع نصر وتصافحوا، ثم لاحظ عصام أن نصر تركه يتحدث مع رفعت و اتجه ليعبث ببعض الألعاب الصغيرة الموجودة على أحد رفوف المكتبة. لاحظ رفعت ذلك أيضا و ابتسم وأخبر عصام أن هذا السلوك يقوم به نصر كلما مر بجانب المكتبة. اتجه عصام إلى إحدى الألعاب التي أعجبت نصر ثم أخذها وأعطاها لنصر وقال له اعتبرها هدية لك. فرح نصر باللعبة كالطفل الصغير الذي تتمثل كل أمنيته في اقتناء لعبة جميلة. كانت ملامح الفرح مرسومة على وجه نصر بشكل مبالغ فيه وهو يقلب اللعبة بين يديه ويضعها على الأرض ويلعب بها ثم أخذها وخرج من المكتبة وهو يقول بشيء من الصعوبة شكرا، شكرا. التفت عصام إلى رفعت و أبلغه بما فعله وما قام به مع نصر من اختبارات والنتيجة التي توصل إليها وقال:

- لقد توصلت إلى نتيجة مهمة جدا من الممكن أن تنقذ نصر مما هو فيه وتساعده على أن يحيا حياة طبيعية.

رد عليه رفعت وهو يبتسم

- جزاك الله خيرا يا ولدي على ما فعلته مع نصر، جعله الله في ميزان حسناتك. أخبرني ما هي تلك النتيجة.

ابتسم عصام وقال:

- نصر يعاني من تلعثم في الكلام وحركة عصبية في عينه اليسرى ولعلك لاحظت ذلك، ومن الممكن معالجة ذلك من خلال طبيب علاج طبيعي متخصص واختصاصي تخاطب وسوف أستشير أحد أصدقائي في حالته. ظهر أيضا لي واضحا أن نصر لا يعاني أي خلل في العمليات العقلية كالانتباه والتركيز ولكنه يعاني من الخوف الشديد من الحيوانات حتى الصغيرة منها وربما ذلك نتج من تعرضه للأذى من الأولاد.

قال رفعت بشيء من الجدية:

- نريد أن نعالج نصر مما هو فيه

تبادل عصام معه نبرة الاهتمام :

- بإذن الله، ولكني أريد بعض المعلومات عن نصر، أريد معرفة حكايته والظروف التي أدت به إلى هذا.

★★★

١٧
نعلم كيف نفكر تزداد معرفتك

ظل خالد واجما شاردا يحاول أن يصل إلى الحقيقة. بينما هو يتخذ طريقة من باب المديرية إلى المكتب وهو على هذه الحالة فلا يرى أو يسمع أحدا في طريقة والغريب في الأمر أن زملائه يعلمون هذه الحالة جيدا فلم يكلمه أحد أو يحاول قطع تفكيره , يدرك جميع من في المديرية أنه طالما على هذه الحالة فهو بالتأكيد يغوص في أعماق جريمة جديدة ويحاول أن يصل إلى الجاني، وهذا الغوص في أعماق الجرائم أكسبه شهرة كبيرة بين زملائه ورؤسائه على حد سواء وجعل الجميع يستعين به حينما تعجز عقولهم عن الوصول إلى حل لغز أي جريمة تستعصي عليهم. دخل خالد من باب مكتبه فوجد محمود في انتظاره. جلس خالد بعد أن صافح محمود ثم قص عليه لقاؤه مع مشيرة وما دار هناك في الشركة. وأخبره أنه وجد اللاب توب والهاتف المحمول الخاص بالقتيل وقد أعطاه لأحد الضباط لتسليمه للطب الشرعي لرفع البصمات ومحاولة فتحه فربما يجدوا فيه ما يفيدهم وكذلك الهاتف المحمول. أبدى محمود رأيه قائلا

- إذن القضية اتضحت قليلا بعد ظهور جابر هذا

- بالفعل، ربما يكون لمشيرة دخل بذلك ويكون لها علاقة بالقضية من قريب أو بعيد. أول شيء يجب فعله هو الاستمرار في مراقبة مشيرة، ثم استدعاء جابر لاستجوابه، يمكنك الاتصال بمشيرة لكي تخبرك ببياناته

- حسنا، أن مشيرة بالفعل تحت المراقبة منذ أصدرت سيادتك أوامر بذلك، وسوف أرسل في استدعاء جابر لأخذ أقواله

- احترس أنت ورجالك، فربما يكون هو القاتل بالفعل ويحمل سلاحا
خرج محمود من المكتب، اتجه خالد إلى أحد الأدراج وأخرج ورقة كبيرة مما تستخدم في الطباعة ثم قسمها إلى نصفين وقسم أحد نصفيها إلى أجزاء مربعة صغيرة، وكتب في أحدها جابر، وكتب في أخرى المحاسب، ثم كتب في ورقة ثالثة مشيرة وكتب في ورقة رابعة المجني عليه، ثم في خامسة النقود وترك ثلاثة أوراق فارغة ثم تمتم وهو يكتب ما يتمتم به في نصف الورقة الآخر هل جابر هو القاتل؟، وهل النقود هي السبب في ارتكاب الجريمة؟، لماذا لم تخبرنا مشيرة عن جابر منذ البداية؟، هل من الممكن أن تكون اتفقت مع جابر على ذلك؟ هل مشيرة لها شريك آخر مجهول غير جابر؟. وضع الورقة في درج المكتب ثم أخرج ملفا يقلب في أوراقه.
عاد محمود مع القوة إلى المديرية ثم اتجه إلى مكتب خالد مباشرة، استأذن ثم دخل وصافحه وقال قبل أن يجلس
- لم يرد جابر على الهاتف وأرسلت في استدعائه فلم نجده بالمنزل والجيران أخبرونا أنه خرج منذ ساعة تقريبا ووضعت منزلة تحت المراقبة.
-حسنا استمر في متابعة المراقبة
همّ خالد أن يخرج هاتفه ليجري مكالمة ولكنه وجد محمود ينتظر وقد أراد أن يقول شيئا فقال له خالد
- خيرا، يا محمود، يبدو أن هناك جديدا
- نعم، بمراقبة مشيرة تبين أنها لم تخرج من المنزل منذ قابلتها سيادتك وكذلك تردد عليها صابر المحاسب أكثر من مرة
- ماذا تراه غريبا في هذا؟
- عندما وصلتني هذه الأخبار، جال بخاطري أنه ربما ظهر جديدا لا نعلمه، ولم انتظر كثيرا فذهبت إلى صابر واستدرجته في الكلام
- كيف؟

- قلت له أنا أعلم يا صابر أن الموضوع خطيرا وربما لو عرفنا الحقيقة لاستطعنا مساعدة مشيرة في محنتها

- ولماذا قلت له ذلك؟

- لا أعلم، وجدت نفسي أقول له ذلك

- وماذا كان رد فعل صابر؟

- لاحظت تغير قسمات وجهه ووضح الضيق عليه ولكنه رغم ذلك قال : «عن ماذا تتحدث، أنا لا أفهم»، وحينها شعرت بحرج شديد أن تتضح خطة استدراجي له فتظاهرت بالغضب وأدرت ظهري وهممت بالانصراف وقلت بصوت مرتفع تذكر أني حضرت إلى بيتك بنفسي وعرضت المساعدة، ذنبها في رقبتك، غدا تطلبها النيابة. في الحقيقة، كنت أخمن أن مشيرة لها علاقة بجريمة القتل ولكن لأنني غير متأكد قصدت أن أقول كلاما يحمل أكثر من معنى.

- ماذا بعد

- اتضح أن الموضوع مختلف تماما

- كيف، هل هناك قضية جديدة؟

- لا، سأكمل لك ما قاله صابر: «لماذا النيابة، إنها لم تفعل شيئا، ذلك المجنون هو من أخذها من هاتفها المحمول ونشرها على الإنترنت».

- من أخذ ماذا، لا أفهم؟

- أنا أيضا لم أفهم ماذا يقصد، ولكني خمنت أن أحدهم أخذ صورا من هاتفها ونشرها على الإنترنت وهذا الموضوع انتشر كثيرا في الآونة الأخيرة، ولكي أجعله يستمر في سرد الحكاية قلت له: «كنا نستطيع حل المشكلة لو لجأت إلينا منذ البداية»، فقال صابر: «كان يهددها»، ثم شرع في سرد القصة كاملة.

- بالمناسبة أنت تصلح كاتب روائي، لقد شوقتني ولكن لا مجال للتشويق هنا (قالها خالد بابتسامة)

- الحكاية أن جابر قال لمشيرة إنه يحبها ويريد الارتباط بها ولكنها أخبرته أنها لا تفكر في الارتباط وأنها تعتبره مثل أخيها، لكنه استغل فرصة أتيحت له حين كانت مشيرة مشغولة ببعض العملاء وأخذ هاتفها المحمول، ثم أخذ منه صورا شخصية ومقاطع فيديو لها كانت تحتفظ بها على هاتفها وهي في احتفالية زواج إحدى صديقاتها وتظهر في الصور ومقاطع الفيديو وهي ترتدي ملابس خاصة مع البنات صديقاتها. قام جابر بالاتصال بمشيرة وطلب منها أما الارتباط أو نشر الصور ومقاطع الفيديو على الإنترنت. بعد الحادثة بيوم فوجئت بالصور ومقاطع الفيديو على الإنترنت ووصلت رسالة لها على هاتفها تخبرها بنشرها.

- لم أعلم من قبل بهذه القدرات البوليسية، حقا، هذا شيء عبقريا منك. ألم يظهر جابر بعد؟

- لا، لم يظهر، ومنزله تحت المراقبة

بينما يدور هذا النقاش بين خالد ومحمود ارتفع صوت طرقات باب المكتب فأذن خالد للطارق بالدخول، وكان أحد الضباط يحمل تقرير الطب الشرعي. تناول خالد التقرير وشكر الضابط الذي انصرف بعد أن سلم التقرير. قرأ خالد التقرير ثم نظر إلى محمود وقال جاء في التقرير أن الكمبيوتر المحمول (اللاب توب) لا توجد عليه بصمات وهو محطم تماما ولكن خبراء الكمبيوتر استطاعوا استخراج القرص الصلب بحالة جيدة ووجدوا عليه بعض الصور ومقاطع الفيديو لأثار فرعونية ونفس الصور والمقاطع توجد على الهاتف أيضا، وقد وصلت إلى هاتف المجني عليه عن طريق رقم هاتف تقوم الجهات المختص بتتبعه. قال محمود

- الآن اتضح الجانب المظلم من حياة الحاج إبراهيم، تجارة الآثار ولذلك أوقف استيراد الأجهزة وفضل العمل فيها وسحب مبلغ الثلاثة ملايين جنيه ليستخدمها في ذلك.

- لا يمكننا الحكم عليه الآن، ربما أحدهم غرر به وأغواه ليعمل بهذه التجارة، والمبلغ الذي سحبه لا يمثل شيئا للبدء حتى في هذه التجارة.
- كل الشبهات تدور حول جابر، وإذا ثبت أن الرقم الذي وصلت منه هذه الصور ومقاطع الفيديو الخاص بالآثار هو رقم جابر، فسيكون مما لا شك فيه أن جابر هو الجاني، أغوى المجني عليه بالعمل في هذه التجارة وأخذ منه النقود ثم قتله.
- هذا تحليل منطقي. لننتظر نتيجة تتبع الرقم ولا نسبق الأحداث. سأذهب الآن لمقابلة أحد المختصين بالطب النفسي، وهو والد طارق زميلنا، لفهم دوافع هؤلاء المرضى وما هي الأمراض التي تدفع بمرضاها إلى ارتكاب الجرائم.
- ولكن لا داعي فالقضية أوشكت على الانتهاء وسواء كان مريضا نفسيا أو غير ذلك فهذا لا يعنينا في شيء.
- لا تنظر تحت قدميك، المعرفة غذاء العقل ولابد من الإلمام بدوافع الجرائم وهذا يفيدك كضابط في عملك وكإنسان في حياتك
- كل يوم أتعلم من سيادتك شيئا جديدا.
- اتضح أيضا أنك عبقري تحقيقات

ابتسم خالد وصافح محمود وانصرف ليلحق بميعاده مع دكتور أحمد مصطفى مصيلحي، بينما خرج محمود واتجه إلى مكتبه ليمارس مهامه الأخرى.

★★★

١٨
لا أحب ما يفعلونه بي

عاد عصام إلى المنزل، تحدث قليلا مع والدته وأخته ثم توجه إلى غرفته، جلس فوق سريره وبدأ في التطلع إلى الملف الكبير الذي أخذه من المدير ثم بدأ يقسمه إلى ملفات صغيرة طبقا للتاريخ والسنة الدراسية وبدأت المهمة. قرر أن يبدأ أولا بحكايات التنمر وهي ملخصة في شكل شكاوى من أولياء الأمور وتقارير قامت بها الاختصاصية الاجتماعية. اطلع على بعض الشكاوى والتقارير التي جعلته في حالة نفسية سيئة للغاية، ظل على حاله يعتصر الما حتى غلبه سلطان النوم.

لم ينتظر عصام كثيرا حتى بدأ العام الدراسي. في اليوم الأول وبعد انتهاء فوضى أول يوم اجتمع عصام مع المدير الذي أعجب بحماسة وطلب منه توضيح تعقيبه على ما قرأ من تقارير وشكاوى. قال عصام

- يمكن تلخيص التقارير والشكاوى في أنها تحدث جميعا في وقت الراحة بين الحصص وعند الانصراف وفي حصة التربية الرياضية، هذا يدل على أن هناك انضباط في الفصل وعدم متابعة الطلاب في وقت الراحة أو عند الانصراف.

-اعترف أنني بحاجة إلى مشرفين ولكن الإمكانيات لا تسمح باستقدام مشرفين آخرين، وسوف أبذل قصارى جهدي لاستقدام مشرفين جدد.

-المشكلات كلها تنحصر في التنمر الاستقواء من البعض على البعض الآخر.

- هل لديك خطط للتغلب على ذلك

- نعم لدي خطة متكاملة لمواجهة هذه المشكلات

- هيا أنقذني من هذه المعاناة منذ العام الماضي، أريد القضاء على المشكلات الماضية وأن يكون العام الحالي بلا مشكلات.

- في البداية يجب تحديد عقاب شديد لكل طفل يؤذي زميلة أو يضايقه، كالفصل من المدرسة واستدعاء الآباء. ثانيا، يجب تكثيف المتابعة والرقابة على الطلاب داخل وخارج الفصل الدراسي. ثالثا: يجب أن يكون المعلم قدوة للطلاب فلا يتهكم على أي طالب أو يسخر منه أو يتلفظ بألفاظ سيئة وأن يتمتع بقدرة على حل النزاعات بين الطلاب. رابعا يجب أن تتم العملية التعليمية في شكل مجموعات تتغير شهريا لنبذ الخوف والوحدة والحث على العمل الجماعي الذي يزيد الألفة بين الطلاب. تكمن المشكلة في الطالب المتنمر لذلك فيجب علاج حالته من خلال الأسرة وذلك بمنع الأفلام العنيفة التي تكون عادة هي السبب في عنف الطالب مع زملائه.

- إذا حل المشكلة لا يقع على عاتق المدرسة وحدها

- بالطبع لا ولكن سنجتمع بالمعلمين ونتفق على أن يقوموا جميعا بدعوة الطلاب إلى نبذ العنف وعدم السخرية من أي إنسان وكذلك عدم إيذاء الآخرين وما يؤيد ذلك من الدين و أثر ذلك على الشخص والأسرة والمجتمع. وأخيرا يجب أن تقدم المدرسة أنشطة رياضية بعد انتهاء اليوم الدراسي مثل رياضات الدفاع عن النفس و أنشطة ذهنية مثل لعبة الشطرنج

- عظيم، عظيم هذه خطة شاملة

- وسوف أقوم مع الأستاذة دينا بمتابعة تنفيذ ذلك

مضى عصام قدما في تنفيذ هذه الخطة واستطاع بأسلوبه الجميل أن يكسب ثقة المعلمين ويلتزمون بتعليماته واستطاع حل كثير من المشكلات التي ظهرت بالإضافة إلى تقديم علاج وافي للطلاب المتنمرين بزملائهم ومتابعة كل حالة مع أسرتها حتى انتهت تقريبا تلك المشكلات. كانت دينا تعاونه في ذلك وازداد إعجابها به كلما اقتربت منه. بدأ عصام يتودد إليها أكثر و أكثر حتى كسب قلبها مع ما حققه من مكاسب أخرى.

★★★

١٩
الإنسان الذكي من يحترم أفكار الآخرين وإن كانت بلا جدوى له

وصل خالد إلى فيلا الدكتور أحمد مصطفى واستقبله الضابط طارق بحفاوة ثم دعاه إلى الداخل فوجد الدكتور أحمد في استقباله جالسا في حديقة الفيلا. جلس خالد بعد أن استقبله طارق استقبالا حارا وصافحه الدكتور أحمد ثم جاء أحد الخدم بثلاثة أكواب عصير وبدا طارق يتحدث إلى خالد

- لقد طلبت عصير المانجو الذي تحبه يا سيادة العقيد

- أشكرك يا طارق، لا داعي لذلك فلست غريبا

ابتسم طارق وقال

- بالتأكيد يا أفندم، حضرتك صاحب بيت

انتهت المجاملات بين الاثنين ثم قال الدكتور أحمد

- لقد أخبرني طارق أنك تريد معرفة أهم الأمراض النفسية التي من الممكن أن تدفع المريض إلى ارتكاب جرائم.

- بالفعل هذا ما أود معرفته ومناقشته مع حضرتك، فهناك جريمة أظن أن سببها مرض نفسي وأريد استيضاح الأمر من سيادتك

- حسنا، وأنا في خدمتك، من أول الأمراض التي تدفع المريض إلى ارتكاب الجرائم هو مرض فصام البارانويا أو اضطراب البارانويا، ويقدم المريض المصاب بهذه الأمراض على القتل الذي يكون أحيانا متعمدا لأنه يتخيل أن الشخص الآخر سيقتله، فيقدم على ارتكاب جريمة القتل من منطلق اقتل قبل ما أن تُقتل. مريض الصرع أيضا ممكن أن يقتل دون أن يدري. مريض

الوسواس القهري تلح عليه فكرة معينة وتتكرر حتى ينفذها وقد تكون هذه الفكرة هي القتل. الاكتئاب السوداوي مرض خطير يدفع صاحبه في أقصى حالاته إلى قتل أقرب الناس إليه لأنه يعتقد أن الدنيا سيئة جدا ولا تستحق وجودهم فيها وغالبا يقتل نفسه بعد أن يقتلهم. الهوس وهو ارتفاع المزاج بشكل مرتفع جدا و انخفاضه بشكل مفاجئ وإذا صاحبه اكتئاب يسمى الهوس الاكتئابي، وهناك نوع منه يُسمى الهوس الشبقي وهو أن يتخيل المريض أنه يحب فتاة وأنها تبادله نفس الحب وان هناك من يمنع تواصله معها وقد يقدم على قتله للتخلص منه لكي يتواصل معها ويكمل حبه وتكون الحبيبة في هذه الحالة عادة ضحية مرضه.

- حسنا يا دكتور، هذا النوع الأخير – الهوس الشبقي – هل من الممكن أن يتحول هدف المريض من قتل من يمنعه عن حبيبته إلى إلحاق الأذى بضحيته بأي طريقة

- من الممكن أن يحاول الضغط عليها بأي وسيلة لتقبل حبه، حتى لو عرضها للأذى.

ظل خالد يناقش الدكتور أحمد ويحاوره في أنواع الأمراض النفسية، ودعاه طارق إلى تناول الغداء أثناء الحوار ولم تفلح محاولات اعتذار خالد أمام إلحاح طارق والدكتور أحمد، استمر النقاش بعد الغداء حتى وقت متأخر فاستأذن للانصراف واعتذر على تسببه في أي مضايقات لهم، فقابلة الدكتور بابتسامة و أبدى سعادته أن هناك ضابط يهتم بالأمراض النفسية ويهتم بتحليل دو افع المرضى النفسيين لارتكاب الجر ائم. بل قال لخالد إنه على أتم الاستعداد لاستقباله في أي وقت لمناقشته في أي مرض نفسي يشك خالد أن المذنب يعاني منه. اقترح عليه خالد أن يقوم الدكتور مصطفى بإلقاء بعض المحاضرات لتثقيف الضباط بأهمية الإلمام بالأمراض النفسية

ودور هذه المعرفة في الوصول إلى حقيقة بعض الجرائم على أن يقوم خالد بتقديم طلب إلى رؤسائه لعقد مثل هذه الندوات التثقيفية. رحب الدكتور أحمد بفكرة خالد و أثنى على تطلعاته وشخصيته. انصرف خالد وهو ممتن من المقابلة وقد حاول أن يصف ما يعاني منه جابر على أنه نوع من الشك المختلط ب الهوس الشبقي؛ ولكن يحتاج إلى محاورة مشيرة ليتأكد منها إذا تعرضت لمطاردات جابر أم لا وكذلك يجب وضعها تحت مراقبة وحراسة مشددة خوفا من إقدام جابر على إيذائها بأي وسيلة.

استقل خالد سيارته متجها إلى المديرية ولكنه نظر في ساعته فوجدها تخطت العاشرة فغير طريقه إلى البيت لأنه يحتاج إلى الراحة لاستئناف البحث في القضية في اليوم التالي. اخرج هاتفه و اتصل بمحمود وقص عليه سريعا ما وصل له وطلب منه وضع حراسة أيضا على مشيرة لوجود احتمال أن جابر من الممكن أن يتعرض لها. طلب منه أيضا أن يتواصل مع مباحث الإنترنت لإزالة أي أثر لصور ومقاطع الفيديو الخاص بمشيرة مع معرفة مصدرها على الإنترنت فربما يقودهم ذلك إلى مكان جابر.

أخبره محمود أنه بالبحث وراء جابر توصل إلى بعض المعلومات التي ربما تفيدهم في القضية، أولها أنه خريج كلية الآداب قسم الدراسات اليونانية واللاتينية وهذا يفسر الكلمة التي كتبها ويؤكد شكهم فيه. أبدى خالد سعادته بسماع هذه المعلومة و أثنى على نشاط محمود وهمته. الخبرة محمود أيضا أنه بتفتيش شقة جابر عثر على تقليد متقن لتمثال فرعوني و أنه قام بالنصب على كثير وكانت العديد من المحاضر قد تحررت ضده في اليومين الأخيرين وكلهم أدلوا بأوصافه. تعجب خالد من ذلك ولكنه فضل أن يناقش محمود في المكتب في اليوم التالي.

في صباح اليوم التالي، دخل محمود على خالد مكتبه في المديرية بعد أن استأذن وقال

- لم أجد جابر أيضا، مازال مختفيا

- لن تجده

تعجب محمود وهو يجلس أمام مكتب خالد

-لماذا لن أجده

التقط خالد ورقة من فوق المكتب وأعطاها لمحمود الذي التقطها بسرعة وبدأ في قراءتها ثم قال

- كيف قُتل، ومن قتله؟

- وجدوا جثة ملقاة في ترعة المريوطية وداخل الملابس وجدوا إثبات الشخصية الخاص بجابر، اتصلت بالضابط الذي عاين الجثة قبل إرسالها للمشرحة وأخبرني أن الجثة ظلت لأكثر من ثلاثة أيام في المياه مما أدى إلى انتفاخها وطمس جميع ملامحها علاوة على أن الجثة تعرضت للتشويه بحمض الكبريتيك المركز أو ما نطلق عليه ماء النار في مناطق الأطراف والوجه ولكن من الصعب – كما جاء في التقرير – تحديد ما إذا كان التشويه بعد القتل أو قبلة. حدد الطب الشرعي طريقة القتل بأنه اصطدام بشيء صلب ولا توجد آثار لطلقات رصاص أو جروح غائرة بسكين أو ما شابه ذلك. ويرجح أنه حادث سيارة

- إذن فهو حادث سيارة كما جاء في التقرير.

- هذا أرجح لان الكسور والصدمات بمختلف أنحاء الجسم، فلو كان قد ضُرب بشيء صلب مثلا فلن يكون بكافة أنحاء جسمه كدمات وخدوش إضافة إلى رأسه.

- من له مصلحة أن يشوه الجثة هكذا، وإذا كان لديه الفرصة لكي يرميها في ترعة المريوطية فكان من الأولى أن يجردها من هويتها.

- كلام مضبوط يا محمود، هكذا بدأت تفكر بطريقة مفتش المباحث وليس بعقلية الضابط، أنا ممتن لك جدا لأنك في الفترة الأخيرة تجتهد بشكل ملحوظ

- شكرا يا أفندم

- إذا نحن أمام احتمال أن تكون الجثة ليست لجابر.

- لكن لمن تكون؟

- لن نستطيع التكهن بذلك. فقط قم بتشديد المراقبة والحراسة على مشيرة لأن هناك احتمال أن يتعرض لها

- حسنا، ولكن لدي تساؤل

لم يرد خالد ليترك له فرصة الاسترسال في الكلام

- من أين لك بهذا الإيمان الراسخ أن جابر سوف يعتدي على مشيرة.

ابتسم خالد ثم قام وبدأ يتحرك في الغرفة وهو يقبض على ورقة صغيرة يطبقها ثم يفردها مرة أخرى

- أتعلم، لو كنت أشرب سجائر، لقضيت على الكثير منها اليوم

- حقيقة لأول مرة أرى ضابطا لا يدخن، وفي المباحث بصفة خاصة

ابتسم خالد ثم أكمل حديثه

- لقد قرأت من قبل عن بعض الأمراض النفسية التي تتسبب في جرائم، ولكن لم أفهم الكثير من أسباب ذلك، وعندما وجدنا علبة الدواء الذي يستخدم في علاج الأمراض النفسية تذكرت هذا الأمر، وقابلت مؤخرا طبيب أمراض نفسية ورسخ لدي فكرة تسبب المرض النفسي في ارتكاب جرائم

- وما هو المرض النفسي الذي يعاني منه جابر

- منذ الوهلة الأولى وأنا أعتقد أن مرضه هو الهوس. أمس، أكد لي الطبيب معلومة مهمة ولما طبقتها على حالة هذه القضية وجدتها مناسبة، وهي أن

الجاني يعاني من الهوس الشبقي، يتخيل أن مشيرة تحبه كما يحبها وأنها مغرمة به لدرجة كبيرة وأن هناك من يمنعها عنه ولذلك أقدم على قتله، ولذلك فإن موضوع النقود اعتقد أنه استثنائي أو إضافي، بمعنى أن الهدف الأول هو التخلص من القتيل لأنه يمنعه عن حبيبته.

- لم توضح لنا مشيرة أن جابر كان يحبها أو شيء من هذا

- وهذا ما أود أن نقوم به بعد أن قمنا بحل مشكلتها المنتشرة على الإنترنت

- حسنا، سوف أخبرها لتحضر للتحقيق معها

- لا، سوف نذهب لها سويا ولكن اتصل بها و أبلغها بأننا سنكون عندها بعد ساعتين

- حسنا يا أفندم، ولكن عصام صديقي الذي حدثتك عنه اتصل بي وقال إن عنده فكرة تجعل جابر يظهر

- أرجو أن تعلم أنني أو افقك على أن تتكلم مع صديقك عصام عن القضية بشكل استثنائي وعلي مسئوليتي لأني أثق بك وبه وكذلك لأنني أرى أنه ربما يفيدنا في تفسير سلوك الجاني

- اعلم ذلك يا أفندم وأشكر لسيادتك هذه الثقة الغالية وما كنت أناقش أحدا في القضية إلا بعد اذن سيادتك

- حسنا دعه يحضر بعد أن نذهب لمشيرة.

- إنه في طريقه إلى هنا بالفعل، فلم أكن أعلم بهذه الزيارة المفاجئة

- حسنا دعه يحضر ثم نتحرك لمشيرة ولكن أخبرها بالميعاد

- حسنا يا أفندم

خرج محمود من مكتب خالد وهو يحدث عصام في هاتفه ويذهب ليستقبله

***

كان خالد يطّلع على بعض الأوراق في مكتبه وهو يدندن بأغنية قديمة للفنان

محمد عبد الوهاب (محلاها عيشة الفلاح مطمن وقلبه مرتاح) ثم يتمتم بالتأكيد كان يقصد الفلاح الإنجليزي. وضع بعض الأوراق جانبا واستمر في تصفح باقي الأوراق. سمع طرقات على الباب فسمح للطارق بالدخول. دخل محمود وبصحبته عصام. بادر خالد بمصافحة محمود وعصام ثم دعاهما للجلوس. بادر محمود بتقديم خالد وهو يشير إليه بينما يخاطب عصام

- سيادة العقيد خالد، رئيسي وأستاذي، تعلمت ومازلت أتعلم منه الكثير

ابتسم خالد و أكمل محمود تقديم عصام وقد أشار إليه ووجه الكلام لخالد

- أستاذ عصام، معلم مادتي الفلسفة وعلم النفس وصديقي العزيز و أكثر من أخ بالنسبة لي

يبتسم عصام ويربت بيده على كتف محمود، يبادر خالد بالحديث

- مرحبا أستاذ عصام، لا حديث لمحمود عن أصدقائه إلا عنك وصديقكم الآخر كمال، وعنك بالتحديد، حدثني كثيرا عن حلمك بان ينتهي التنمر من المجتمع المصري ومن المدارس على وجه الخصوص.

- محمود بالنسبة لي من أعز أصدقائي ونحن ثلاثة أصدقاء لم نفترق مطلقا واعتبرهم إخوتي. حاولت كثيرا ومازلت أحاول لتحقيق هذا الحلم.

- وفقك الله، واعتبرني أخ أكبر بالنسبة لك، ولا تتردد في طلب أي شيء.

- هذا يشرفني سيادة العقيد، لقد حضرت مع محمود اليوم لأن لدي رأي أرجو أن يكون مفيدا في القضية التي بين يديكم

- حسنا ولكن دعنا نتكلم في الطريق لان لدي موعد هام

دُهِشَ محمود من طلب خالد لاستكمال الموضوع في طريقهم إلى مشيرة، وما هي إلا ثوان وكانوا في سيارة

خالد وقبل أن يتحرك بالسيارة بادر خالد بالسؤال

- ما هو رأيك في القضية؟

رد عصام بعد أن نظر إلى محمود نظرة تعجب

- بمتابعتي لسلوكيات المتهم وبعد أن أبلغني محمود أنكم غير مقتنعين بموضوع موته وأن استمرار اختفائه حتى الآن يمثل خطرا على آخرين خاصة وسلوكه يتسم بالعدوانية؛ فقد فكرت في خطة تجعله يظهر

- حسنا، هذا رائع، ما هي الخطة؟

عرض عصام خطته على خالد ومحمود و اقتنعا بها، و اتفقا على موعد لتنفيذها. أبدى خالد سعادته من استعداد عصام الدائم لمساعدة الآخرين وتسخير كل إمكانياته في خدمة من حوله. طلب عصام من خالد أن يساعده في إيجاد عمل ل نصر بعد أن قص عليه حكايته وشرح حالته باستفاضة و أبدى خالد استعداده للمساعدة. انصرف عصام بعد أن أبدى بالغ سعادته بالتعرف على خالد عن قرب. بعد انصراف عصام عبر خالد لمحمود عن سعادته بالتعرف على شخصية جميلة ومتزنة مثل عصام مما زاد من سعادة محمود بلقاء صديقه برئيسه.

★★★

٢٠
يُصبح يومي جميلا، عندما أبدأ صباحي بك

استمرت لقاءات عصام ودينا بعد انتهاء ميعاد المدرسة وأصبحت عادتهما اليومية بعد المدرسة أن يشترى لها عصير مانجو طازج ويسيرا سويا ثم يستقلا السيارة الأجرة إلى المنزل.

بدأ عصام برنامجه في المدرسة ولاقى تعاونا كبيرا من زملائه وزميلاته من المعلمين والمعلمات فبدأ بتطبيق نظام مجموعات العمل داخل الفصول الدراسية مما عزز التقارب بين الطلاب والمعلمين من جهة وبينهم وبين بعضهم البعض من جهة أخرى. كان المعلم داخل الفصل يشرح مادته ثم يطلب من الطلاب عمل نشاط معين يخص ما قام بشرحه ومن ثم يتعاون الطلاب فيما بينهم ويبذلون جهدا مشتركا في تنفيذ النشاط والبحث عن المعلومات اللازمة. انطلقت دينا تساعده بكل نشاط لتحقيق هدف واحد وهو أن تنتهي السلوكيات العدوانية بين الطلاب. كأنا يتبادلان المناقشات بينهما حول هذا الموضوع. وتظل تنظر إليه بكل إعجاب وانبهار وهو مندمج في التوضيح والشرح وتنفيذ منهجه المتميز في محاربة سلوك التنمر داخل المدرسة، وتندهش من مدى إخلاصه في القيام بعمله وكذلك مدى حماسه لذلك وإيمانه بقضيته.

كان عصام يطّلع على كل التقارير الأسبوعية التي يتلقاها من المعلمين كجزء من برنامجه الذي اتفق مع المعلمين عليه. كانت التقارير توضح أهم المشكلات التي يعاني منها الطلاب بالفصل ومدى الصعوبة التي تواجههم في التعامل مع هذه المشكلات. تلقى في إحدى المرات تقريرا من معلم مادة الرياضيات أن

الطلاب بأحد الفصول في الصف الثالث الإعدادي لا يتقبلون مادته، وكلما يحاول شرح المادة يجد عندهم صعوبة في فهمها. اتجه عصام إلى الفصل في إحدى الحصص، دخل من الباب وكان الطلاب يثرثرون بصوت مرتفع ولا يلتفتون إليه، ظل و اقفا وهو ينظر إلى كل طالب يثرثر حتى صمت الجميع حياء منه وقال أعرفكم بنفسي، أنا الأستاذ عصام و أنا حضرت إليكم من أجل الدردشة ليس إلا ابتسم الطلاب وكان ذلك علامة على نجاحه في الخطوة الأولى. أضاف أريد أن أسألكم عن أفضل مادة. قال بعض الطلاب اللغة الإنجليزية وبعضهم الألمانية وبعضهم الدراسات الاجتماعية وهكذا فقال عصام لماذا لا تحبون الرياضيات؟ فقد لاحظت أنه لم يذكر أحدكم أنه يحب هذه المادة؟. قال الطلاب إن المادة صعبة وهم لا يستطيعون فهمها. اخرج عصام كيسا بلاستيكيا ثم وضع فيه قطعة طبشور ونفخ الكيس ثم احكم إغلاقه وقال للطلاب منكم يستطيع أن يخرج قطعة الطبشور من الكيس بشرط ألا يثقف الكيس أو يقطعه. ساد الصمت بين الطلاب ثم قال أحدهم كما وضعتها حضرتك يمكنك أن تخرجها. ضج الفصل بضحكات الطلاب بينما قال عصام بعد أن أخرج جنيه من جيب سترته هذا بالفعل هو الجواب الصحيح وتستحق جائزة رمزية ثم أعطى الجنيه للطالب الذي قال ذلك. أردف عصام قطعة الطبشور مثل الانطباع الذي لديكم عن مادة الرياضيات والكيس مثل عقولكم، فلن يستطيع أحد أن يخرج الانطباع بصعوبة المادة من عقولكم الا أنتم. ضج الفصل بالهمهمة ثم ضج بالتصفيق لعصام الذي ابتسم وظل يحثهم على حب العلم والتعلم مهما وجدوا من صعوبات أمامهم. حدثهم عن توماس أديسون الذي حصل على لقب أعظم مخترع في التاريخ والذي قال حاولت ٩٩ مرة لصناعة المصباح الكهربائي قبل أن تنجح التجربة. استمر يحدثهم ويحكي لهم قصص عظماء العلماء مثل

العالم الشامل البيروني وكيف أنه نبغ في علوم الجغرافيا والتاريخ والفلك والهندسة والنبات، هؤلاء الذين لم يعرف اليأس طريقا إلى قلوبهم. استمر في حديثه هذا والطلاب يصغون إليه دون أن يتململ أحد أو يلتفت إلى من بجواره. كانوا بحاجة إلى من يلهب حماسهم وهذا هو المغزى من قصص هؤلاء العظماء. استمتعوا بحديثه حتى انتهت الحصة. جاء له في تقرير معلم مادة الرياضيات الذي كان يشتكي من طلاب هذا الفصل أن الطلاب بدؤوا يتقبلون المادة ولاقى منهم تعاونا كبيرا أثناء الحصة وعبر لعصام عن امتنانه وسعادته من جهده مع الطلاب لأنه أعاد إليهم الحماس والمثابرة.

***

بينما كانت ياسمين تتحدث مع صديقاتها أمام باب الجامعة سمعت صوت كمال يناديها، فالتفتت إليه و ابتسمت ثم استأذنت صديقاتها اللاتي لاطفنها قبل أن تتركهن. وصلت إليه وكان قد ابتعد قليلا واستند الى سور الجامعة، وقفت أمامه ثم ابتسمت بينما قابلها بابتسامة مشرقة ومد يده ليصافحها فصافحته ثم بدأ الحديث وهو مازال يحتفظ بكفها بين راحتيه

- وحشتني، كان دهرا مضى منذ آخر لقاء

- مع تحفظي على حضورك حتى باب الجامعة ولكنك وحشتني أيضا.

- اعلم أن أخر لقاء تواعدنا أن يكون اللقاء الأخير بيننا خارج بيتكم، لكن هناك بعض المشكلات والقضايا التي كانت تشغلني واضطرتني للسفر بين المحافظات، وقد انتهيت منها الآن

- حسنا، إذن متى ستخبر عصام بخطوبتنا

- سأطلب منه معاد في المنزل لأتقدم رسميا، أخشى إن أخبرته في أي مكان أخر أو بأي طريقة أخرى أن يظن بي سوءا

- لا تقلق، عصام يثق بك، وسوف أحاول أن أمهد له الطريق، ولكن ليس مؤكدا، فلا اعرف إذا كنت استطيع أن اخبره أم لا ؟

- حسنا حاولي

أفلتت يدها من بين يديه ثم ابتسمت واستطردت

- لا تخشى عصام، فلا يوجد من هو اكثر حنانا منه

- اعرف، ومن الواضح أن الحنان ميراث في عائلتكم، فلم أجد حنانا في عينن مثل عينيك

ابتسمت ياسمين واحمر وجهها خجلا ثم نظرت إلى عينيه ثم يمينا ويسارا وقالت

- سأضطر أن انصرف للحاق بصديقاتي

- مهلا، انتظري، أريد أن أشحن طاقتي

قالت برقة وهي تنظر إلى عينيه

- لن اقدر على هذا الكلام الجميل ولن استطيع الهروب من عينيك، أعرفك تماما عندما تنظر إليَّ هكذا فتسيطر علي تماما.

- ابتسم كمال ثم قال بحنان ورقة

- لم أكن أعلم أن لي عليك سلطان كما لعيونك سلطان على قلبي

ابتسمت ثم احتضنت كتبها وظلت تنظر إليه مبتسمة بينما استطرد كمال

- أحب أن أراكِ في هذه الحالة، كعصفورة تتساقط عليها قطرات الندى في صباح يوم من أيام الربيع

- أخبرتك أن لكلماتك و اقع السحر علي ولن استطيع أن أتحملها

- كيف لقلبي أن يتحمل تأثير عينيكِ هذه عليه، فكل نظرة كسهم كيوبيد تصيبه فينتفض شوقا لسهم آخر وكلما رأيتك انتفض اكثر حتى إنني لا أتحمل اكثر من هذا

- حبيبي لا تخجلني اكثر من ذلك

قاطعها كمال

- ماذا قلتِ
- لا تخجلني (قاطعها)
- لا، الكلمة التي قبلها
- حبيبي
- نعم، أريد أن اسمعها
- حبيبي، ألا تعلم كم احبك
- لا، لا اعلم، اخبريني
- لا فائدة، تطمع كلما أخذت المزيد
- هل يكتفي أحد من الحب، هل يكتفي أحد من السعادة، حبي لك هو سعادتي
- كفى يا كمال، لا استطيع

ثم نظرت إلى صديقاتها اللاتي نظرن إليها بابتسامة وأشارت إليهن لينتظرن ثم قالت

- أترى، هن يلاحظن كل شيء، وأشعر أن كل الناس تعرف ما يدور بيننا، اشعر بكل العيون تلاحقني و أنا معك
- كيف و أنا لا اشعر إلا بعينيك انتِ فقط. لا اشعر بأحد على الإطلاق و أنا معك

بدا عليها القلق وقالت

- حسنا، أخشى أن أتأخر

نظر إليها ثم صافحها والتقط كفها وضغط عليه شوقا إليها بينما نجحت هي أن تفلت يدها وهي تبتسم و انصرفت. كانت صديقاتها ينظرن إليها ويتغامزن وهن يستقبلونها. انتظر كمال حتى انصرفت ياسمين مع صديقاتها ثم غادر وهو يسترجع ابتسامتها ونظرات عينيها.

★★★

٢١
أنا لا أحلم بفارس يخطفني بل برجل يحنو يني

وصل خالد ومحمود إلى منزل مشيرة، كانت مشيرة في استقبالهما وقسماتها تحمل هما كبيرا. ظل خالد ينظر إليها وعينيه لا تفارق تعبيرات وجهها، لقد رأى ما بداخلها ينعكس على وجهها، تعاني من الحرج، الخجل، الخزي، الحزن، الخوف. بالطبع هناك من يجيد إخفاء ما بداخله ولا يظهر من ملامحه إلا ما يريد أن يراه الناس وهناك من يتألم رغم ابتسامته ولكن الحزن يظهر على ملامحه، وهذا حال مشيرة. حاولت مشيرة إخفاء مشاعرها ولكنها لاحظت أن محمود قد وصل إلى داخلها، اخترقها بنظراته، لا ليعلم صدقها من عدمه مثلما يفعل خالد بنظراته البوليسية ولكن ليواسي قلبها بأن هناك من يقبلها على أية حال، يقول لها بعينيه أنا بجانبك، التمس لك العذر، لست مخطئة، سأبذل قصارى جهدي لمساعدتك. نظرت إلى عينيه وقد شعر أنها سوف تفهمه، هي تحتاج إلى رجل يقف بجوارها وقد علمت أنه يحميها من بعيد وهو يعلم ذلك، قالت بعد أن حاولت الابتسام

- أشكركم على ما حسن صنيعكما معي فقد تداركتما المصيبة قبل أن تتفاقم

دخل خالد في الموضوع مباشرة

- لا شكر على واجب، ولكن أخبريني كيف حصل جابر عليها ولماذا أنتِ بالذات؟

تنهدت ثم قالت بنبرة حزينة

- في لحظة من أسوأ لحظات حياتي نسيت الهاتف المحمول على مكتبي بالشركة وذهبت للمخزن مع أحد العملاء، هذه ليست عادتي أن اترك مكتبي ولكن العميل كان لطيفا وعلي استعداد لإتمام صفقة كبيرة معه في حالة

الركود التي يمر بها السوق وبالفعل أبرمت معه صفقة كبيرة كافئني الحاج إبراهيم عليها. استغل هذا السافل انشغالي وأخذ الهاتف ونقل منه إلى هاتفة بعد الصور ومقاطع الفيديو التي أظهر فيها وبعض زميلاتي ونحن نرقص بملابس خاصة بمناسبة لإحدى زميلاتي وهي الحنة وكما تعرف سيادتك أننا نتجمع كصديقات العروسة في هذا اليوم ونأخذ راحتنا في الرقص والمرح دون قيود لأننا كلنا بنات وسيدات ولو كنت أعلم لما فعلت

- لماذا فعل معك هذا؟ و أنتِ تحديدا، وهل ساومك قبل ذلك؟

- عندما عمل بالشركة ومنذ أول يوم و أنا لا أشعر بالراحة تجاهه، شخص متقلب المزاج، يشك في كل من حوله، يحاول فرض رأيه. يكره النساء جميعا وبالنسبة له كلهن خائنات. كان يقول لي إنه معجب بي ويريد أن يتقرب مني أكثر، كنت أصده وكان يجلب لي هدايا غالية الثمن.

تنهدت وهي تقوم بتعديل عويناتها فوق أنفها

- أرى، بل مقتنعة أن الله يعاقبني لأني قبلت منه الهدايا كنوع من المجاملة. بعد فترة بدأ يطلب مني أن نتقابل خارج الشركة وكنت أرفض، حاول ذات مرة أن يمسك يدي فصددته وشكوت للحاج إبراهيم وقام بتوبيخه بشكل عنيف جدا وهدده بالطرد من الشركة لولا أنه لا يحب قطع العيش. تغيرت هيئته في لحظة عندما شاهد ثورة الحاج إبراهيم واعتذر وقال إن غرضه حلال وقلت له إنني لا أريد الارتباط به وأريده أن يبتعد عني وحذره الحاج إبراهيم من الاقتراب مني. قمت بجمع حاجاته بعد هذه الحادثة وأعطيتها له وأخذها وهو يبتسم دون أن يتفوه بكلمة. بعد أقل من شهر ترك الشركة وعلمت من الحاج إبراهيم أنه كان يتعامل معه ولكن لم يُخبرني بأي تفاصيل. نظر خالد إلى محمود الذي فهم قصده و ابتسم، مال خالد علي محمود وقال له تأكدت من شكي. لاحظت مشيرة ذلك، ولكنها لم تعلق واستأذنت لتحضر

القهوة التي طلبها خالد ومحمود الذي قال بدوره
- بهذا نكون قد تأكدنا أن جابر مصاب بهذا الهوس
- ليس تماما ولكن على الأقل بنسبة كبيرة تأكدت نظريتي
أحضرت مشيرة القهوة وجلست بينما حضر والدها لتوه من الخارج ورحب بالضيوف، قالت مشيرة وهي تشير إلى والدها
- والدي، الأستاذ رفعت مدرس لغة عربية وهو على المعاش الآن
ثم أشارت إلى خالد ومحمود على الترتيب
- سيادة العقيد خالد وسيادة الرائد محمود من المباحث، يحققان في قضية الحاج إبراهيم رحمه الله
قال والدها الأستاذ رفعت بشيء من التأثر
- رحمه الله، لقد كان رجلا طيبا
أضاف خالد
- رحمه الله، شرف كبير لنا أستاذ رفعت أن نتعارف الآن ولو أنني كنت أفضل موقفا آخر
ابتسم رفعت
- مرحبا بكم في كل وقت، وبإذن الله تتحسن الأوضاع وينال القاتل جزاءه، استأذنكم فإن البيت بيتكم و أنا متواجد بالصالة إذا احتجتم أي شيء
نظر إلى مشيرة فأشارت برأسها بعلامة المو افقة ولكن خالد قال له
- هل كنت تعرف الحاج إبراهيم يا أستاذي الفاضل
- نعم، كنت أعرفه وقابلته كثيرا، أن مشيرة تعمل عنده منذ فترة طويلة وكان رجلا فاضلا، ولكن لم أتدخل في عمله، لقاءاتنا كانت مجرد جلسات سريعة في الشركة أو القهوة المجاورة
نظرت مشيرة بعينين مفتوحتين إلى خالد ومحمود خوفا من فتح موضوع

الصور وفهما قصدها. قال خالد بابتسامة رقيقة

- لا أريد إزعاج حضرتك أكثر من ذلك وكفى ما نسبته للأستاذة مشيرة ولكن نلجأ إليها لمراجعة أي معلومة عن الحادثة

- لا، إطلاقا، نحن في خدمة العدالة

استأذن الأستاذ رفعت و انصرف، تابعته مشيرة بعينيها حتى انصرف

- أشكركم على عدم فتح موضوع الصور أمامه فهو لا يعلم شيئا

أضاف محمود بينما خالد كان ينظر إلى هاتفه المحمول

- لقد فهمنا من نظرتك أنك لا تريد الحديث في هذا الأمر، لا تقلقي، كل شيء تم محوه ولن يجد وقتا لفعل أي شيء آخر

نظرت إليه وهي تبتسم، بينما ظلت عيناه تتعلق بعينيها التي لم تفارق عينيه. قد تعجز الكلمات أحياناً عن وصف أحاسيسنا ومشاعرنا، لكن لغة العيون تأتي لتترجم بسحرها ما يجول في العقل ويشعل القلب، من مشاعر الودّ والإعجاب والاستلطاف نحو الجنس الآخر، فسهام الحب التي لا تقاوم تبدأ من نظرة بها بريق ولفت انتباه، تُسعد الروح وتجعلنا نتبادل النظرات مع من نحب، تلك النظرات التي تعبر بدرجة كبيرة عن شيء ما يجذبنا للطرف الآخر، وهذه النظرات مثل المرآة تُغني عن أي كلمات وتعكس مشاعر الحب والإعجاب دون الحاجة إلى الكلام. لاحظ خالد لغة العيون بينهما فارتشف بعض القهوة وقال

- سلمت يد من جهزها

ابتسمت مشيرة وقد أصابها الخجل وقالت

- لم يتذوق أحد القهوة من يد أمي إلا وشكر فيها

ارتشف محمود رشفة و ابتسم وقال

- بالفعل أنها مضبوطة تماما

تابع خالد حديثة مع مشيرة

- هل تعتقدين أن جابر كان شخص مريض؟

كانت تجيب خالد، بينما تختلس النظرات إلى محمود الذي كان جالسا مثل التمثال ناظرا إليها مع الفارق أنه يحتسي القهوة، قالت مشيرة

- كثيرا ما كان يتصرف بشكل غريب ويضحك على سبب تافه جدا حتى تلمع عيناه، أحيانا لا يحضر إلى العمل ويظل حبيس منزلة يومين أو أكثر

- ماذا عن سلوكياته مع باقي العاملين ومع الحاج إبراهيم؟

- كان يتكلم عنهم بشكل سيء في غيابهم فقط

- كيف؟ أرجو أن تساعدين في رسم شخصيته ووصفها بدقة

- على سبيل المثال، كان يقول إن العاملين كساب ونجاح يحضرون نساء ليلا إلى المخزن، كذلك يقول إن عبد الجواد يعلم ذلك ويشاركهم في الأمر. كان يقول إن عبد الجواد يرسل زوجته للحاج لتخفف عنه. كان يقول إن الأستاذ صابر يسرق الحاج إبراهيم بالتلاعب في حسابات الشركة.

- بمعنى أدق كان يشك في كل من حوله

- تذكرت قال لي إن الحاج إبراهيم يقف عائقا أمامه ليقترب مني وحاولت إقناعه أنني أعتبره أخا لي ولكن كرر هذا الأمر أكثر من مرة، بل وقال إن الحاج يريد أن يأخذني لنفسه.

- هل كان يتناول أي أدوية؟

- لم ألاحظ أنه كان يأخذ أي أدوية أمامي ولكنه كان يطلب من أحدهم أن يبحث له عن دواء معين وعندما عرضت عليه أن يساعده في الحصول عليه وسألته عن المريض، فرفض معللا أن الأمر غير هام وان الدواء لأحد أصدقائه.

- بعد أن حصل على الصور كيف هددك بها وماذا كان يطلب منك؟

- وضع الصور ومقاطع الفيديو على أسطوانة وحضر إلى الشركة وسلمها لي

قال لي شاهديها. اتصلت به بعد أن شاهدت الأسطوانة ووجهت له السباب والتوبيخ ولكنه كان يرد علي ببرود ويتغزل في جمالي وكلام آخر لا أستطيع أن أقوله

- هل كان يريد منك الارتباط مقابل الصور؟

- لا بل كان يريد مني أن اذهب إليه شقته

توقف خالد عن الكلام وأشار لمحمود إن كان يود أن يسألها عن شيء فقال محمود

- لماذا لم تقولي كل ذلك في المحضر؟

كنت اخشي لو تكلمت أن يظهر الصور ويسبب لي الفضيحة

- لماذا فعلها إذا و أنت لم تتكلمي؟

- لأنه طلب مني شيئا ورفضت أن أنفذه له

- أن تذهبي إلى شقته؟

- لا، أن أسافر معه للخارج

نظر خالد إلى محمود ثم زفر زفرة وقال لمشيرة بصوت حاد

- لماذا تعطينا المعلومات بالقطارة، معلومات مهمة مثل هذه تخفيها؟ لماذا؟

انهارت مشيرة وكتمت بكائها

- لو أن سيادتك تضع نفسك في مكاني، بنت تخاف من الفضيحة فستقوم بعمل أي شيء لتمنعها، ثم إنني لم أتوقع أن تكون المعلومات مهمة لهذا الحد

قام محمود بالتدخل لتهدئة خالد الذي أدرك أنه انفعل بشكل حاد وقال

- عذرا يا مشيرة ولكن هذه معلومة مهمة جدا ولولا أن محمود تطرق إليها لما ذكرتها

- لا عليك يا أفندم، أقدر مجهودك وحرصك على الوصول للحقيقة واعدك أن أقول أي شيء أتذكره عن جابر

ارتفع رنين هاتف محمود، التقطه ثم استمع إلى محدثة وأغلق الهاتف ووقف ثم قال لخالد

أخبرتني الحراسة هنا أمام منزل مشيرة أن هناك شخص ما يحوم حول المنزل قام خالد بسرعة بتوجيه مشيرة ووالديها وإخوتها وطلب منهم أن يتجمعوا بغرفة ما ولا يتحركوا وطلب من محمود أن يظل معهم لحمايتهم بينما تأهب هو لاستقبال الضيف. شعرت الأسرة بالخوف ولكن محمود طمأنهم أن حضورهم كان خطة لاصطياد الجاني وهناك قوات حماية تحيط بالمنزل ولا قلق إطلاقا وان هذه إجراءات وقائية لا أكثر.

لم يكد ينتهي من كلامه حتى ارتفع رنين هاتفه وأخبرته المراقبة أن الضيف شعر بقلق وركض بعيدا وخلفه العقيد خالد فطلب منهم أن يحضروا إلى الشقة لحماية مشيرة بينما ذهب هو لينضم لخالد وما هي إلا دقائق إلا واتصل محمود بمشيرة يطمئنها أن خالد قبض على جابر وأن الحراسة ستظل أمام المنزل للحماية. تعجبت وقالت له كيف تم القبض على جابر سريعا هكذا فقال لها إنه بمجرد إن خرج من المنزل شاهد خالد يمسك بجابر من ملابسه ويجره على الأرض وملامح جابر لا تظهر من كثرة الدماء على وجهه. ابتسمت مشيرة بعد أن اطمأنت وأخبرت والدها أن جابر هو القاتل وكان يحوم حول المنزل لأنه يريد أن يتزوجها وظن أنهم لم يكشفوا أمره وطمأنته أن جابر تم القبض عليه. اتجهت إلى غرفتها بعد أن تأكدت من أن كل شيء أصبح على ما يرام ثم وقفت أمام المرآة و اقتربت منها، تحسست بشرتها، خلعت وعيناتها، أطلقت العنان لشعرها وظلت تهزه يمينا ويسارا. المرأة هي المرأة، وسط كل هذه العواصف وجدت نسيم كبريائها كأنثى يجري ورائها أحدهم ويلاحقها آخر بنظراته إلا أنها اختارت من طرق قلبها وتنفست عبير حبه ولم تمنعها العواصف عن الشعور بتلك الأنفاس الباردة التي تداعب

قلبها في تلك الليلة. ابتعدت قليلا عن المرآة وتمتمت لماذا أنا سعيدة هكذا، هل بانتهاء الكابوس الذي ظل يطاردني لفترة طويلة أم لأنني وجدت فارسي. توقفت عن الكلام و اتجهت إلى المرآة مرة أخرى ثم تمتمت احذري يا مشيرة، ربما هو فارس حقا ولكن ربما أنت لست جواده. أنا لا احلم بفارس يخطفني بل أحلم برجل يحتويني.

★★★

٢٢
«رفقًا مولاني رفقًا إني أتنفس عشقًا»

اعتادت دينا أن ترى عصام كل يوم وتناقشه في أمور المدرسة وما طرأ عليها من تغيرات حتى استقر الأمر وساد الهدوء نسبيا وهنا وجد عصام فرصة مناسبة يتكلم معها في أمر كان يؤجله لوقت مناسب. كانت دينا قد انتهت من عملها وكذلك هو فانتظرها أمام المدرسة وعندما خرجت وصافحته قال لها.

- هل تُحِبّ تغيير الروتين المعتاد اليوم ونذهب لتناول الغداء سويا في أي مطعم ؟

ابتسمت دينا وقالت

- وما الجديد باليوم فنحن نفعل نفس الشيء كل يوم منذ بداية الدراسة

- الجديد اليوم أنني أريد التحدث إليك في أمر هام

- ما هو؟

- ألا تعلمين حقا؟

- أريد أن اسمع منك

ألا تلاحظين انجذابي إليك، ملاحقتي لعينيك عندما أراك، شغفي برؤيتك، دينا، أنا أحبك

ابتسمت دينا حتى ظهرت عليها علامات السعادة والخجل في آن واحد وقالت

- ألا تلاحظ أننا أمام المدرسة والكل ينظر إلينا

- إذن تو افقين على الجلوس في مكان هادئ لنتحدث

- حسنا بشرط ألا نتأخر

هز رأسه إيجابا و ابتسم علامة على المو افقة. سارا سويا جنبا إلى جنب وقرب

عصام يده من يدها وامسكها برفق فلم تمانع دينا ونظرت إليه و ابتسمت، تأكد عصام أن دينا تقبل حُبه وتبادله نفس الشيء مع أنه كان يشعر بذلك ولكنه أراد أن يتأكد. وصلا إلى أحد المطاعم وجلسا سويا ثم بدأ عصام الحديث بابتسامة وقال:

- أحبك، منذ رايتكِ و أنا أشعر كأنني اختطفت، ليس قلبي فقط كما يقولون بل كلي، قلبي، عقلي، وجداني

ابتسمت ونظرت إلى الأسفل بعد أن كانت تنظر إلى عينيه وقالت:

- بهذه السرعة شعرت بكل هذا

- شعرت بذلك منذ أول يوم رايتك فيه، و انتظرت كل هذه الفترة لأتأكد من مشاعري وقد تأكدت، وألان أريد أن أتأكد من مشاعرك

- ألا تعلم أنني أبادلك نفس المشاعر، منذ أن رايتك تائها في عيني تبتغي شاطئا و أنا وجدت شاطئي عينيك، رايتك تنظر إلى ونحن في مكتب المدير وقد تملكتني نظراتك. حاولت الصمود ولم أستطيع ويوم بعد يوم تأكدت من صدق مشاعري تجاهك.

- حقا، لم أشعر إلا و أنا غارقا في حبك، أرجوك دعيني أغرق حتى الثمالة.

مد يده فامسك بيدها ولكنها أفلتتها وقالت لِتُغيِرَ الموضوع

- الن نطلب شيئا نشربه

ابتسم وقد أدرك أنها تريد تغيير الموضوع، ربما لشدة خجلها ثم قال:

- لا، سأطلب طعام الغداء

أشار عصام إلى النادل فأحضر قائمة الطعام واختارا منها ثم انصرف. عاد عصام يعبر عن حبه لدينا التي بادلته نفس الشيء ثم طلب منها أن تحدد موعدا له مع والدها ولكنه تفاجئ بردها

- لننتظر بعض الوقت

- لماذا، أما زلت تريدين وقت للتأكد من مشاعرك؟
- لا ولكن لان والدي قد انتهى لتوه من زواج أختي الكبرى ولا أريد أن أثقل عليه بتكاليف زواجي الآن
- ازداد احترامي وحبي لك، فالإنسان لابد أن يراعي ظروف ومشاعر الآخرين وخاصة المقربين منه. أشعربان حبي لك يزداد يوما بعد الآخر، لا أرى منك إلا جميلا،
- عينيك هي الجميلة يا عصام فترى كل شيء جميل
- متى إذن أتقدم إليك
- بعد انتهاء العام الدراسي تكون الظروف تحسنت
- حسنا ولكن حتى هذا الوقت ارفقي بي فأنا أتنفس عشقا

رفقا مولاتي رفقا أني أتنفس عشقا

ويذوب كياني وجدا

ويذوب فؤادي شوقا

قالت دينا وهي تبتسم

- وماذا فعلت أنا

فعلت عيناك كل شيء.

ظلت القلوب تنبض بالحب وتحاول الحروف أن تعبر عنه حتى مر الوقت سريعا و انصرفا وقد تشابكت الأصابع كما تشابكت القلوب.

لاقى تأخير موضوع الارتباط هوى في نفس عصام حتى تنفيذ مشروع المركز الاجتماعي مع حاتم الهمشري وحل مشكلات الحي الذي يسكن فيه وكذلك حل مشكلة نصر ولكنه أراد أن يثبت حُسن نيته لدينا للتأكد من جديته.

★★★

٢٣
الندم هو إدراك الحقيقة بعد فوات الأوان

تناول خالد آخر رشفة من فنجان القهوة الذي أمامه على المكتب ثم قال لمحمود

- لماذا تنظر إلى هكذا وتبتسم؟

- أتذكر مشهد جابر وسيادتك تجره جرا في الأرض

- لقد ركضت خلفه ولم يتوقع سرعتي ولما وصلت إليه ابتسم وظن أنه انفرد بي و أنني فريسة له ولسان حاله يقول لماذا جئت وحدك ولم يكمل ابتسامته حتى أخذ القاضية باليمنى، وقد أفرغت كل شحنة غضبي منه في هذه اللكمة.

- هذا من سوء حظه

ضحك الاثنان ثم ضغط خالد زر على مكتبه فدخل أحد الحراس فطلب منه أن يأتي بجابر من غرفة الحجز. وصل جابر أمامهم، ظل صامتا ثم قال

- لن أتكلم إلا أمام محامي

رد عليه خالد بابتسامة

- هذا الكلام في النيابة، لا تتعجل، تنتظرك أكثر من عشرين قضية، لا تتعجل

تغيرت ملامح جابر وقال بشيء من الاستهتار

- عشرين قضية، ألا يوجد غيري تحملوه قضاياكم

ابتسم خالد وأشار بيده إلى محمود أن ينتظر وكان قد هم بضربه

- سأوضح لك الأمر حتى تستعد لارتداء البذلة الجديدة

- أي بذلة

- البذلة الحمراء، قضايا نصب على أكثر من خمسة أشخاص، قتل الحاج

إبراهيم العامري، قضية إيصالات أمانة، سرقة مخازن شركة العامري هم جابر أن يتكلم ولكن خالد لم يعطيه الفرصة

- تحرش بمشيرة و إيذائه نفسيا بنشر مقاطع خاصة على الإنترنت قمت بسرقتها من هاتفها مما يعد ابتزازيعاقب عليه القانون، شروع في قتل مشيرة ومقاومة ضابطا أثناء تأدية مهمته، قتل شخص مجهول وتشويه جثته ووضع أوراقك الرسمية بملابسه لتضليل العدالة.

- لا، لا لم أقتله

- لقد وجدنا أوراقك الشخصية بداخل ملابسه، إذا كيف لم تقتله؟

- لقد رأيت سيارة تصدمه وتلقي به بجوارحافة الترعة، أسرعت إليه وفكرت بان أضع أوراقي الشخصية داخل ملابسه حتى تعتقدوا أنني من مات، فوضعت بطاقتي الشخصية داخل ملابسه وألقيته في الترعة.

- حسنا، ولماذا شوهت وجهه وأطر افه بماء النار، فليس من الصدفة أن تحمل معك ماء نارو أنت تسير في أي مكان، هذا يدل على وجود نية للقتل والتشويه

- أقسم أنني لم أقتله، لقد كان حادث سيارة كما أخبرتك وشوهته حتى لا تعرفوا ملامحه

- وكيف حصلت على ماء النار، ولماذا كنت تحمله؟

- كنت ذاهب إلى منزل مشيرة لكي أهددها به

كاد محمود أن يهم لضربه ولكن خالد تحرك من مكتبه وقد توقع شيئا مثل ذلك من محمود فأمسك به بينما ابتعد جابربوجهه خوفا من بطش خالد أو محمود

زاد خالد من حدة صوته وارتفاعه وقال

- وإذا لم تستجيب لتهديدك تشوه وجهها انتقاما منها، كما انتقمت منها بوضع الصورعلى الإنترنت لتفضحها

لم يرد جابر واستطرد خالد

- أين الأوراق التي كانت مع الرجل الذي صدمته السيارة؟ لم تكن معك عند القبض عليك.

- أنها في شقتي التي كنت أقيم فيها

-لماذا قتلت المجني عليه، إبراهيم العامري؟

- لأنه يمنع عني مشيرة ويريد أن يظفر بها، كنت أحميها

- كيف تحميها وقد حاولت قتلها؟

- لا لم أحاول قتلها، كنت أريد رؤيتها فقط، أنا أحبها وهي تحبني ولكن إبراهيم يرى غير ذلك وحاول أكثر من مرة أن يبعدها عني.

- هذا يعني أنك قتلته لأنه يمنع عنك مشيرة، لماذا سرقته إذن؟

- حتى أغريها بالنقود فتو افق أن تتزوجني

- كيف تريد أن تتزوجها وقد فضحتها على الإنترنت؟

- فعلت ذلك بعد أن رفضت أن تساعدني فلا تستحق حبي لها

- ماذا كان نوع العمل بينك وبين المجني عليه؟

- تجارة الكمبيوتر

قال خالد وهو يبتسم ويخرج صورة تمثال وجدوه على لاب توب المجني عليه ويظهرها لجابر الذي ينظر إليها ويبتسم

- هل تقصد تجارة الآثار؟

-رد جابر وهو يبتسم

- هل وصلتم إليها، حسنا، كنت أحاول إغرائه لسحب نقود من البنك لكي استولى عليها بعد أن اقتله

- حسنا، هكذا أنت تتعاون معنا، أين النقود التي استوليت عليها؟

- في نفس الشقة وسوف أعطيكم العنوان وستجدونها ناقصة ثمن الشبكة التي اشتريتها لمشيرة

- الشبكة، ألا تلاحظ أن كلامك متناقض، كيف كنت تريد أن تتزوجها وفضحتها على الإنترنت؟ كيف أردت الزواج منها وكنت تريد أن تشوهها؟
نظر جابر إلى الأرض وصمت لفترة ثم ضحك بشكل هستيري، حاول أن يتمالك نفسه من الضحك ثم قال وهو يضحك أثناء الكلام
- وما هو غير المتناقض في هذه الحياة، رجلا صالح مثل الحاج إبراهيم، كما يرى الناس وكما يتظاهر، وهو في الحقيقة يقضي الليل أمام الدش والإنترنت ليرى ما يخفيه عن الناس، رجل دين أمام الناس وعندما يغادر مكان العبادة يتحول الى شخص اخر، يخرجون من دور العبادة ويغشون ويسرقون ويقتلون. الكل يخفي غير ما يبدي، ألا ترى تناقض في كل هذا. أخبرني لماذا تمنع عني مشيرة ما تعطيه لغيري، أليس هذا تناقض.
ظل يضحك كثيرا بصوت مرتفع ثم توقف تماما بشكل مفاجئ ونظر إلى الأرض وصمت تماما. أمر خالد الحراس بإيداعه الحجز بمفرده ثم كتب تقريره وقرار تحويله إلى النيابة مع توصية بالكشف الطبي عليه وعرضه على إخصائي نفسي.
نظر خالد إلى محمود و ابتسم وقال له
- الآن انتهت القضية

★★★

٢٤
الأشياء الجميلة لا تأتي فرادى، وكذلك دون موعد

ارتفع رنين هاتف عصام أثناء عودته من المدرسة في اليوم التالي وإذا به يجد رفعت يبلغه أن مجموعة من أهل الحي يريدون الاجتماع معه لحل مشكلة بعض من أولاد الحي وسكانه. عبر له عن سروره باستعدادهم للتعاون من أجل حل مشكلات الحي، ولكنه طلب منه الانتظار حتى يتم افتتاح المركز الاجتماعي في مقر مرشح مجلس الشعب كما وعده الرجل. و افق رفعت علي انتظار افتتاح المركز.

لم ينتهي نفس اليوم حتى هاتفه حاتم الهمشري يخبره بأن المركز جاهز للافتتاح. طلب الهمشري من عصام عمل أول ندوة لمناقشة موضوع التنمر والإعلان عن الندوة. بالفعل قام الهمشري بعمل دعاية كبيرة للندوة والمركز الاجتماعي. أنشأ الهمشري سرادق كبير لعقد الندوة أمام المركز الاجتماعي ودعا إليه كثير من أهل الحي أصحاب السلطة والنفوذ من القاطنين بالمنطقة. حضر الهمشري الندوة مع بعض من أصدقائه و أبدى إعجابه في نهاية الندوة بطريقة إدارة عصام للندوة وتنظيمها.

أدار عصام الندوة بطريقة رائعة حيث دار نقاشا بينه وبين أهل الحي وقد حركهم الحماس ودفعهم هدف واحد وهو التخلص من السلوك العدو اني الذي يعاني منه أبنائهم. بدأت الندوة بمقدمة عن أهمية العمل الاجتماعي والمشاركة الاجتماعية ثم انتقل عصام إلى الحديث عن التنمر وكان بعض الأهالي يناقشونه ويسألونه

- سوف نتحدث الآن عن التنمر وهو يعني الاستقواء من شخص على آخر

أو من مجموعة على أخرى وإلحاق الأذى بالطرف الآخر دون سبب؛ وسوف يتضح المعنى من الأمثلة التي سوف أوضحها لكم؛ من الممكن أن يكون التنمر مباشر بالإيذاء البدني أو اللفظي المباشر من طفل لآخر أو غير مباشر بإطلاق الإشاعات حوله. الإيذاء البدني كالضرب والمسك والدفع أما اللفظي كالسخرية والسباب

قال أحد الحاضرين

- ممكن أمثلة للإيضاح؟

- حسنا، سوف أحكي لكم بعض القصص الو اقعية التي واجهتني من قبل. بدأ عصام في سرد بعض قصص التنمر وقام احد الحاضرين بعض مشكلته وكانت ندوة ناجحة وتفاعل الجميع مع المشكلة.

. دعا عصام جميع الحاضرين إلى عرض مشكلاتهم بشكل فردي عليه في المركز الاجتماعي الذي تم افتتاحه بمقر الدعاية الانتخابية للأستاذ حاتم الهمشري. صفق الجميع مرة أخرى وكان حاتم الهمشري يبدو سعيد جدا بما حققته الندوة من نجاح وتفاعل أهل الحي مع عصام، كان عصام سعيد أيضا بما حققه من نجاح وتمنى أن ينجح المركز الاجتماعي في تحقيق هدفه. كان حاتم يدرك أن منافسيه في الانتخابات يتمتعون بشعبية جارفة وهم أصحاب سلطة ونفوذ وثراء، لذلك فقد فكر في كثير من الوسائل الجديدة التي يمكن أن تجذب الناس إلى صفه. كان مقتنعا أنه لن يستطيع مجاراة المنافسين في الإنفاق ببذخ على الحملة الانتخابية ولن يجد السلطة الكافية التي تقف بجانبه ليجتاز الانتخابات بنجاح. كانت هذه الفكرة هي الحل الذهبي له ليتقرب إلى الناس ويشاركهم مشاكلهم ويجعل اسمه يرتبط بأذهانهم. كان أيضا منافسيه على يقين أن هذه الفكرة تعد خطرا عليهم وعلي شعبيتهم فهي فكرة جديدة وتم تنفيذها بمهارة وزاد من يقينهم ما حققته الندوة من نجاح

فكان بعض من اتباعهم جالسون في الندوة يتابعون أحداثها وهذا ما زاد من قناعة المنافسين بضرورة إيجاد حل جذري لمشكلة توغل حاتم في صفوف أهل الدائرة الانتخابية.

★★★

٢٥
حين تنبت الفرحة وسط الأحزان

اتجه محمود إلى خالد بالسؤال

- هل يمكنني أن أسألك سؤال واحد؟

- تفضل

لماذا كنت تنظر لمشيرة وتدقق فيها عند زيارتها؟

توقعت أن تسألني هذا السؤال ولكنه جاء متأخرا، بعض الناس تبدوا أمامك ككتاب مفتوح يمكنك قراءته، يمكن أن تعرف إذا كان سعيدا أم حزينا، مهموما أو متصالحا مع نفسه راضيا بهمه. كنت أدقق فيها لأحاول فهمها، هل تخبئ عنا شيئا، هل تخفي أي معلومات عن جابر أم أنها مسألة وقت وتخرج ما بداخلها.

ترك خالد مكتبه ثم بدأ يتحرك في الغرفة ممسكا بقلم بين أنامله

وقد تحقق ما توقعت وأخرجت ما بداخلها، لقد تكلمت لترتاح، كانت خائفة، بل كانت مرعوبة، والآن بعد أن اتصلت بها أنت فليس من المستبعد أن تجدها تتصل بك وهي تنتشي من الفرحة لتشكرك على وقوفك بجانبها ومساعدتها

لم ينهي خالد كلامه حتى سمع طرقات الباب والحارس يبلغه أن إحداهن وتدعى مشيرة تريد الدخول إلى المكتب

نظر خالد إلى محمود الذي ابتسم وقال

- من الواضح أنك تقرأ الناس جيدا

دخلت مشيرة وهي تبتسم وترسم فرحة على شفتيها وليست مجرد ابتسامة. لقد كانت متألقة حقا. كان هذا الكم من الفرحة بداخلها كالمارد الذي يريد

الانطلاق وكأن سجانها يمسك بمفاتيح الأبواب بكلتا يديه، وها هو السجان قد ذهب بلا عودة فلا داعي للحزن.

كانت مشيرة تنظر إلى محمود وتركز بصرها عليه وهي تدخل من الباب، تريد أن تقول له أريد أن أتحدث إليك وحدك، تقول ذلك بعينها فقط، ورغم ذلك فهم خالد قصدها فتحجج بأن اللواء الأسيوطي أرسل في طلبه لينصرف ويتركها على راحتها مع محمود. نظر إليه محمود يستجديه أن ينتظر لأنه يخشى شيئا بداخله ولكن قد فات الأوان و انصرف خالد من المكتب ولكن قبل أن ينصرف همس في اذنه «أستضيفها في مكتبك وسوف أفهمك فيما بعد». تعجب محمود من طلب خالد ولكنه لم يجادله ثم أخبر مشيرة دعنا نكمل حديثنا في مكتبي. توجها إلى مكتبه ودعاها محمود إلى الجلوس، جلست مشيرة أمامه، نظرت إليه وتوغلت داخله، شعر بتوغلها وكأنها تلمس قلبه الذي لسعته نسمة باردة. حاول أن يبادر بالحديث ولكن عينها عقدت لسانه فلم يجد ما يقول. أراد أن يهرب إليها من خجله، يهرب إلى قلب ينبض بحياة مشتعلة، يهرب إليها ليحترق بحبها. توسل لها في داخلة لتتوقف عن اختراقه بعينها. أدركت هي أنه تعمد أن يوصل له رسالة وقد فهمتها، فهي لبيبة واللبيب بالإشارة يفهمُ. قالت وهي تحاول الابتسام:

- لقد جئت لأشكر سيادتك على المجهود الكبير الذي بذلته لحمايتي أنا وأسرتي، كما أشكرك على وأد الفضيحة التي كانت من الممكن أن تدمرني في مهدها.

- لا داعي للشكر، فهذا من واجبي، ولو كنت أخبرتني بهذا الأمر ولو بشكل شخصي كنا تداركنا الأمر وقبضنا على ذلك المخبول قبل أن يقدم على ما فعله ولكن الحمد لله على كل شيء.

- الحمد لله، ما أسعدني حقا هو وقوفك بجانبي ولم تتغير نظرتك إلى على الرغم مما حدث.

لم يستطع محمود أن يتحمل صمته أكثر من ذلك، فقال:

- أحبك، منذ أول يوم رأيتك واراكِ مختلفة عن كل فتاة رايتها من قبل، شعرت بشيء يخترق قلبي، سهام عينيك اخترقت كل حواجزي حتى استقرت في قلبي.

ظهر قوس قُزح على وجهها، فلم تتوقع أن يقول ذلك بهذه السرعة، لو انتظر قليلا، ربما كان قد سمعها هو، حاولت التماسك وقالت:

- ما أعرفه أنك ضابط وليس شاعرا أيضا

- الحب ينطق الحجر، و أنا لا أجد تفسيرا لحالتي إلا أنني غارقا في حُبك حتى الثمالة، منذ أن رأيتك و أنا أدعو الله أن تأتي اللحظة التي أعبر لك فيها عن مشاعري تجاهك.. (قاطعته مشيرة)

- ألا تشعر أن المكان هنا غير مناسب

- لا أرى ولا أشعر بغيرك و أنا معك ولكن اسمحي لي أن نذهب إلى أي مكان ونتكلم

- في الحقيقة أنا لا اخرج لأي مكان مع أي أحد

- وهل أنا أي أحد، فقط مرة واحدة، نتقارب ونقترب من بعضنا أكثر، أريد أن اسمع منك، أعرفك أكثر وهي فرصة تعرفيني أيضا

- حسنا، ولكن هذا وعد أنها الأولى والأخيرة

- أعدك المقابلة الثانية ستكون في منزلكم

ابتسمت ثم وقفت وهي تنظر إليه، بينما مد يده ليصافحها فمدت يدها فالتقطها ولثمها بتؤدة، فأحمر وجهها خجلا واستأذنته وخرجا معا.

★★★

٢٦
يأتيك النجاح ليس لشيئا إلا لأنك تحبه وتعمل من أجله

في صباح اليوم التالي، ذهب عصام إلى المدرسة في موعده كعادته وبدأ في ممارسة مهامه التعليمية والإرشادية. قدمت دينا تقريرا إلى عصام عن وجود بعض الطلاب والطالبات الذين يعانون من ضعف التحصيل الدراسي. وجد عصام بالتقرير تفسيرا لذلك وضحته دينا على أنه ضعف الثقة بالنفس وليس ضعف القدرات العقلية لهؤلاء الطلاب. ظل عصام يفكر في طريقة لتعزيز الثقة بالنفس لدى هؤلاء الطلاب دون أن يلفت انتباههم أن هناك تركيزا عليهم. برزت فكرة في رأسه ووجدها مناسبة جدا فبدأ يتنقل بين الفصول التي بها هؤلاء الطلاب والطالبات بشكل عادي كمعلم يأتي إليهم في الحصص الخالية (حصة احتياطية) وبدأ في تنفيذ الفكرة. كان عصام يدخل الفصل ويطلب من كل طالب أو طالبه أن يذكر اسمه ثم يطلب منه معرفة المهنة التي يريد أن يعمل فمنهم من قال طبيبا ومنهم من قال مهندسا وأخر قال مدرسا، ثم طلب من كل طالب أن يكتب اسمه وأمامه اللقب الذي يريده فمثلا الطبيب أحمد والمهندسة سارة. أحضر عصام عددا من الملصقات وكان كل طالب يدون اسمه ولقبه على بعض الملصقات ويقوم بتثبيت الملصق على مقعده (الديسك) ويضع على كل كتاب وكراسة ملصقا آخر. لاقت هذه الفكرة نجاحا وتحفيزا للطلاب وزاد معدل التحصيل الدراسي وكان كل طالب ينظر إلى الملصق ويقول في نفسه كيف لطبيب إن يهمل في دروسه. انتشرت الفكرة وقام المدير بتعميمها على كل الطلاب وفي كل الفصول وزاد هذا النجاح من سعادة عصام.

بعد انتهاء المدرسة في ذلك اليوم، عاد عصام إلى منزله، أخذ حمامه ولبى طلبات والدته واطمأن على ياسمين وان كل شيء يسير على ما يرام ثم ارتاح قليلا. كان عصام قد خطط أن يقسم وقته بين المدرسة والمركز الاجتماعي على أن يكون في استقبال مشكلات أهل الحي في المركز يوميا في تمام الخامسة مساء. التزم بمعاده في المركز وما أن دخل إليه حتى لحقت به سيدة في أواخر العقد الرابع وقد بدا عليها الحزن الشديد وما أن جلست وتكلمت حتى بدأت في البكاء. هدأ عصام من روعها وطلب منها سرد مشكلتها من البداية لان كلماتها متفرقة. استجمعت السيدة قوتها وتماسكت واحضر لها عامل في المركز كوب من الماء وكوب من عصير الليمون بناء على طلب عصام. بدأت السيدة حديثها وقالت لي ابنة وحيدة في المرحلة الجامعية تعثرت في الثانوية العامة وحصلت على مجموع متوسط ودخلت كلية التجارة وهي في الصف الأول، مثل معظم الفتيات تجلس لوقت متأخر أمام الإنترنت. زوجي يعمل في دولة خليجية منذ فترة كبيرة بعد أن ترك شركة خاصة كان يعمل فيها واستغنت عنه فجأة فاضطر إلى البحث عن فرصة للسفر بعد أن ضاق به الحال هنا ولم يجد فرصة عمل مناسبة. أنا اعمل نهارا في شركة خاصة حتى الخامسة مساء واضطر للنوم مبكرا لكي أستطيع الذهاب مبكرا إلى عملي ولا يمكنني السهر لوقت متأخر مثلها ولم أتابعها في الفترة الماضية. منذ فترة لاحظت على ابنتي القلق وبدأت تذبل كالزهرة أمامي ولا تهتم بملابسها و أناقتها كما اعتادت. كنت اسألها عن سبب ذلك فلا تجيب، حاولت التواصل مع صديقاتها فلم أصل لشيء. بدأت افتش تليفونها المحمول خلسة دون علمها، لم أصل لشيء. ظللت هكذا بين قلقة وحائرة من حال ابنتي إلى أن دخلت عليها ذات يوم وجدتها قد تناولت دواء القلب الخاص بي مرة واحدة. لا استطيع أن اصف حالتي وقتها ولم أدري بنفسي إلا و أنا في المستشفى ومعي

جارتي العزيزة وهي تهدأ من روعي. ظلت ابنتي في غرفة العمليات لفترة كبيرة كنت اشعر بالموت كل ثانية تمر علي و أنا انتظرها خارج غرفة العمليات إلي أن خرج الطبيب ثم طمأنني أنها قد نجت ولكنها ستظل بالعناية لفترة طويلة. انتظرت حتى عادت إلى البيت واستردت عافيتها قليلا ثم حاولت ان اعرف سبب كل هذا وبعد محاولات كثيرة بين استجداء وتهديد ان اخبر والدها بالأمر اعترفت لي بمشكلتها. لقد وجدت رسالة تهديد من شخص يطلب منها ان تذهب اليه وسوف ينتظرها في مكان ما ليصحبها إلى شقته بسيارته او سيقوم بنشر صورا لها ومقاطع فيديو وهي بالملابس الداخلية، وحتى لا تظن انه لا يملك تلك الصور قام بإرسال بعض منها وتأكدت بالفعل انه يملكها. انهارت ابنتي عندما طلب منها ذلك وكان يعطيها فرصة يومين، فلم تجد حلا إلا الانتحار وهي لا تعرف كيف حصل على تلك الصور ومقاطع الفيديو. ظل عصام يفكر لوهلة ثم قام بالاتصال بمحمود ولحسن الحظ كان في إجازة من عمله ووجد عنده استعداد للمساعدة فطلب عصام من السيدة أن يتحدث مع ابنتها برفقة صديقة الضابط لإيجاد حل للمشكلة، و افقت السيدة وعلى الفور فاتصل عصام بمحمود مرة أخرى وأعطاه عنوان السيدة وطلب منه أن يتقابلا هناك بعد نصف ساعة. ر افق عصام السيدة إلى منزلها فوجد محمود ينتظره بسيارته أمام المنزل فصعدوا جميعا وخرجت الفتاة إليهم وبدأ عصام ومحمود يحاورانها حتى وجد نقطة البداية التي من الممكن أن توصلهم إلى المتنمر. سألها محمود وعصام عن الصور ومقاطع الفيديو فأجابت الفتاة أنها كلها في غرفتها. كانت الصور تعرض لقطات لها أثناء تغيير ملابسها ومقاطع فيديو تظهرها بملابس النوم الشفافة وهي جالسة أمام جهاز الكمبيوتر المحمول (اللاب توب) وأحيانا وهي نائمة وأحيانا وهي ترقص بمفردها في غرفتها واخطر ما في هذه المقاطع ما

يظهرها وهي خارجة من الحمام صيفا وترتدي ملابسها في غرفتها. استنتج محمود وو افقه عصام على استنتاجه أن المتنمر استطاع اختراق جهاز اللاب توب الخاص بها واستطاع أن استخدام الكاميرا لتصويرها في هذه الأوضاع. تحدث محمود من خلال هاتفه مع زميل له بمباحث الإنترنت كما يطلقون عليها ولكنه اخبره انه بالتأكيد هذا الشخص يستخدم برنامج يقوم بتغير أرقام معينة تسمي (عنوان الاي بي)، مما يجعل من الصعب الوصول إلى مكان هذا الشخص. توصل عصام ومحمود بعد مناقشات أن تتظاهر الفتاة بأنها تو افق على طلبه ولكن بشرط أن يحافظ على عذريتها ويحضر لها قميص نوم جديد (لانجيري) ولا يؤخرها حتى لا يشعر أهلها بشيء. اتصلت الفتاة بذلك الشخص وقالت وهي تتصنع المو افقة على أن تقابله وقالت له شروطها فو افق على الفورو أبدى سعادته لذلك ووعدها بأنها ستقضي ليلة لن تنساها. تظاهر بالسعادة وأغلقت الهاتف وانهارت باكية وأخبرتهم وهي تبكي أنه طلب منها أن تقابله في تمام العاشرة مساء أمام مطعم (---) بمنطقة (---). طلب محمود منها أن تخرج بمفردها وتتوجه إلى المكان الذي أبلغها به خشية أن يكون هذا الشخص ير اقبها وأخبرها أنه سيتبعها حتى ميعاد المقابلة ويقوم بالقبض على هذا الشخص. تحدث محمود إلى أحد أصدقائه من الضباط التابعين للقسم الذي يقع ذلك المطعم في دائرته و أبدى سعادته بالمساعدة. طلب محمود من صديقة الضابط أن يحضر إلى المكان بسيارته الخاصة ويقابله أولا ليضعا خطة للقبض على ذلك المتنمر. وصلت الفتاة إلى المطعم الشهير وقفت تنتظر، ظل المتنمر ير اقبها من بعيد خشية أن يكون أحد برفقتها وعندما اطمأن لذلك وقف أمامها بالسيارة ثم حدثها على الهاتف و أفصح عن شخصيته و أنه ينتظرها بالسيارة الو اقفة أمامها وكان شابا في العقد الثالث من العمر حسن الهيئة. بينما تهم الفتاة بفتح

باب السيارة ظهر محمود وصديقه وتم القبض عليه ولسوء حظ المتنمر كان معه اللاب توب الذي يستخدمه في الإيقاع بضحاياه. اعترف المتنمر في قسم الشرطة بجريمته وأنها ليست الأولى و أنه قد قام بتكرار الأمر من قبل كثيرا ونجح في استدراج ضحاياه. كان عصام ومحمود والضابط الآخر يستمعون إليه وهو يسرد قصته أمامهم وهو يبكي وقد انهار بعد القبض عليه، قال: نشأت في أسرة تتمتع بثراء فاحش، كنت أجد ما أريده حتى قبل أن اطلب، عشت مدللا بدرجة مبالغ فيها، لي أخ وأخت. أخي يعمل بالخارج وقد سافر بعد أن أنهى دراسته وأختي تزوجت من شخص ثري وسافرت معه إلى الخارج بعد وفاة أمي بعامين وقد توفى أبي قبلها بثلاثة أعوام. أعيش وحدي ولدي ما يكفيني من أموال حتى بعد أن تم تقسيم الميراث بيني وبين إخوتي. كنت أسير في دراستي بخطى ثابتة حتى المرحلة الجامعية > في المرحلة الجامعية التحقت بجامعة خاصة وبالطبع لم أشغل بالي بالنجاح أو الرسوب. اختلطت بطلاب وطالبات من طبقات مختلفة، و أقمت علاقات كثيرة مع طالبات. بعد فترة شعرت أنني اكتفيت من هذه العلاقات ولم أجد لذة فيها لأنها سهلة ولا متعة فيها. رأيت في أحد المسلسلات شابا يُعجب بفتاة ولكنها لا تنجذب إليه، فما كان منه إلا أن أنشأ حسابا مزيفا على الفيسبوك وبدأ يتحدث إليها حتى استطاع اختراق جهازها بطريقة ما. أعجبتني هذه الطريقة فحضرت الكثير من الدورات التدريبية التدريبية لكني لم أستفد منها ربما لعدم قُدرتي على احتمال النمط الأكاديمي، ظللت هكذا حتى تعرفت على شاب معروف بشيطان الإنترنت وتقربت إليه وطلبت منه أن يعلمني كيفية اختراق أجهزة الكمبيوتر والهاتف المحمول. طلب مبلغا كبيرا فلم أمانع وبالفعل عرفت الكثير في هذا المجال. شعرت بمتعة كبيرة عندما استدرجت أول فتاة، أرسلت إليها صفحة غير حقيقة لبرامج مسابقات وصفحات خاصة بالجمال والموضة

حتى حصلتُ علي حساب الفيسبوك الخاص بها البريد الإلكتروني واستطعت الوصول إلى عنوان جهاز الحاسب خاصتها واخترقته وحصلت على صور لها كثيرة وتحكمت في الكاميرا المتصلة بالجهاز وصورتها في أوضاع كثيرة، ثم هددتها ولم تصمد كثيرا وكانت أول تجربة. تعددت المحاولات وكانت لذتي تزداد كلما كانت الفتاة صعبة. كنت أحيانا لا احتاج إلى استخدام الكاميرا مع بعض الفتيات فكنت أجد صورا فاضحة لهن وأحيانا اكتشف أنهن يقمن علاقات مع شباب بالفعل، هذا النوع كان يرضخ لي بمجرد تلقي أول رسالة تهديد مع بعض الصور أو مقاطع الفيديو، حتى وصلت إلى الفتاة خاصتكم ولم أكن أعلم أن نهايتي على يدها.

انتهت أول مشكلة وكان عصام سعيدا لأنها انتهت بشكل سعيد بالنسبة للسيدة المسكينة والفتاة البائسة.

ذهب عصام في اليوم التالي إلى المدرسة فوجد دينا حزينة جدا فسألها عن سبب هذا الحزن، أخبرته أن هناك طالبا حضر إليها في الغرفة الاجتماعية واشتكى إليها أن كل الطلاب يقولون عليه إنه غبي ولا يفهم شيئا ويضحكون عليه وكذلك المعلمين يفعلون مثل ذلك. ثم قالت بحزن

- لم احتمل بكاؤه وصعدت إلى فصله بمفردي. سالت زملائه ومعلميه فأخبروني جميعا برد واحد ليس له قدرة على الاستيعاب، إلا معلم مادة التربية الفنية (الرسم) فقد أشاد به وبموهبته وحسه الفني المتميز.

- لدي حل للمشكلة وهو أن نتفق مع معلم إحدى المواد الصعبة ويقوم بشرح الدرس له وطرح أسئلة وأجابتها على هذا الطالب وَيَطْلُب منه أن يحفظها عن ظهر قلب ثم يشرح الدرس بطريقة عادية في الفصل ويطرح نفس الأسئلة في اليوم التالي. من الطبيعي أن يقوم هذا الطالب ويجيب على الأسئلة فتزداد

ثقته بنفسه. نكرر نفس الأمر عدة مرات حتى يكتسب الطالب ثقة بنفسه.
-فكرة جميلة وسوف أطبقها على الفور
- أيضا من الممكن أن نطلب من معلم التربية الفنية أن يقوم بعمل مسابقة في الرسم ويشترك فيها الطالب فإن اشتراك الطلاب في الأنشطة المدرسية وتكريمهم علي تميزهم فيها يزيد من ثقتهم في أنفسهم ويحسن نظرة زملائه فيه ويزيد من ثقته في نفسه وهذا شيء مهم جدا
-فكرة رائعة يا عصام، وسوف أطبقها أيضا على الفور فسوف تحل كثير من المشكلات وليست مشكلة هذا الطالب فقط.
طبقت دينا هذه الأفكار مع كل الطلاب الذين يعانون من مشكلات مشابهة ونجحت بالفعل.
بينما عصام ودينا يتناقشان في أمور المدرسة دخل أحد الموظفين الإداريين عليهما وتوجه إلى دينا بالحديث
- أرجو أن تتوجهين إلى فصول المرحلة الابتدائية وتحصين عدد الطلاب الأيتام لإعفائهم من المصروفات الدراسية
ردت دينا وكيف لي أن اعرف؟
- توجهي إلى كل فصل واطلبي من كل طالب يتيم أن يقف و اكتبي اسمه
ظهر الغضب على وجه عصام ولكنه تمالك نفسه وقال
- عفوا أستاذي ولكن هذا يُعرض الطالب للإحراج بين زملائه ويسبب له والألم النفسي
رد الموظف باقتضاب
إذن كيف نحصيهم؟
رد عصام بابتسامة
-من الممكن أن نقوم بعمل استبيان ورقي ونقوم بتوزيعه على الطلاب في

كل الفصول ونضع فيه سؤال اختياري هل الأب متوفي أم على قيد الحياة ويمكننا إضافة سؤال إذا كان علي قيد الحياة فما هي وظيفته او عمله
تحمست دينا لفكرة عصام وقالت
-حسنا، هذه فكرة جيدة ويمكننا بذلك الحصول علي معلومات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطلاب دون أن نسبب لهم إحراجا
اقتنع الموظف وقال
-حسنا، هذا افضل، ما يهمني أن يتم عمل ذلك في وقت سريع جدا
انصرف الموظف فابتسمت دينا وقالت
-أعجبتني الفكرة جدا وكذلك سرعتك في طرح الحل، فكيف فكرت فيها بهذه السرعة؟
-انت السبب
قالت وهي تبتسم
-كيف؟
قال عصام وهو ينظر إليها
-تأتيني الأفكار الجديدة وأستطيع التحكم في عقلي فقط عندما أراك، بشرط ألا انظر إلى عينيك، فأنا أغرق فيهما حتى الثمالة.
ضحكت وقد رُسمت السعادة على وجهها
- لن أتحمل كلامك الجميل هذا، ولا تنظر إلى هكذا، قلبي يرتعش كأنما إصابته رعشة تيار كهربي.
ظلا يتهامسان قليلا ثم اتجه عصام إلى مكتب المدير. قابل المدير وأطلعه على ما أنجزه ثم انصرف ليلحق بمعاد بينه وبين محمود وخالد في أحد المطاعم.

★★★

٢٧
كُن أنتَ الفرحة طفل حولك وخاصة من تبادله الحب

بعد دقائق، عاد خالد إلى المكتب وهو يبتسم

- أظن أنني فعلت معك معروفا لتستطيع أن تتكلم، فالبنت كانت تنتظر منك كلمة، هذا نوع صادق من النساء، لن تهدأ حتى تتأكد من مشاعرك، ولكن احذر أن تخدعها فعلي قدر الحب يأتي الغضب.

- هذا بالضبط ما قالته، لن تهدأ حتى تتأكد من مشاعري، من أين لك كل هذه الخبرة بالنساء؟

- الحياة هي خير معلم، لا تنظر إلى المرأة على أنها جسد فقط، لاحظ كل تفاصيلها ستعرفها ومشيرة كتاب مفتوح لكل من يريد القراءة. ليس مشيرة فقط، بل كل النساء كالكتب منها الصعب ومنها السهل والأمر يتوقف عليك، اما أن تجيد القراءة في تملكها أو لا تجيدها فتخسرها وهذا شيء صعب جدا في عالم النساء.

- ليتني أتمتع ببعض حكمتك

- ما زلت صغيرا يا سيادة الرائد

- هل شعرت بالحب من قبل؟

- وهل كنت لأفهم من يحب إلا لو جربته، الحب كالاحتراق لا تشعر به إلا إذا احترقت.

- فعلا، لا يعبر عن الحب إلا من مر به.

- حسنا، دعنا من الكلام في الحب، وهيا نذهب لصديقك لنشكره على فكرته الرائعة

- حمد لله أن القضية قد انتهت.

- لكن أخبرني، لماذا طلبت مني أن أكمل حديثي مع مشيرة في مكتبي؟

- لأنني كنت أحتاج لمكتبي للاطلاع على بعض المستندات الهامة، ومن غير المعقول أن أفصح لك عن هذا فتخرجا من المكتب و أنا أنتظر حتى لا أسبب لكما إحراجا، لكن عندما أخرج من المكتب وتدعوها لمكتبك فهذا يعد طبيعيا. وبعد خروجكما عدت إلى المكتب.

- حسنا، الآن فهمت.

خرجا من باب المكتب ثم قال خالد لمحمود نصيحتي لك إن تكون جادا مع مشيرة، فأنا متأكد أنها تبادلك مشاعر صادقة نظيفة وهي كانت في محنة وتحتاج إليك

- لماذا تقول لي ذلك الآن

لان قلبها يتألم مما جرى وتريد أن تداويه بفرحة صادقة، فكن أنت الفرحة

لم يتكلم محمود ولكن ابتسم بينما ربت خالد على كتفه وتصافحا ثم انصرفا في اتجاههما إلى عصام.

وصل خالد إلى أحد المطاعم مع محمود وكان محمود قد رتب ميعاد مع عصام لينتظرهما في المطعم وبالفعل كان عصام في انتظارهما. تصافحوا ثم جلسوا؛ بادر محمود بقوله:

- أنا صاحب العزومة اليوم احتفالا بانتهاء القضية ومو افقة سيادة العقيد على إجازتي

قال خالد وهو يبتسم بينما النادل يحضر الطعام

- الحمد لله أنها بعد أن و افقت على الإجازة فلو كانت العزومة قبل المو افقة لكانت رشوة

ضحكوا ثم قال خالد وهو يتوجه بالحديث إلى عصام

- أشكرك على تفكيرك في القضية ومساعدتنا في حلها ولكن لماذا كنت متأكدا أن ارتباط مشيرة ومحمود سيدفع جابر إلى الظهور ومحاولة قتلها أو قتل محمود؟

- لأنني أعتقد أنه يعاني من مرض الهوس الشبقي وهذا ما توصلت إليه وسيادتك أيضا أكدت لمحمود شيئا كهذا، وهذا يدفعه إلى الانتقام من كل من يمنعه عن حبيبته أو ينتقم منها هي شخصيا.

- حسنا، ولكن كيف استنتجت أن جابر سيحضر إلى منزل مشيرة بهذه السرعة؟

- مثل هذا الشخص مشوش الأفكار ويحركه دافع داخلي يسيطر عليه فلا يفكر مسبقا فيما يفعل، وفي أحيانا كثيرة يجد الشخص نفسه متورطا في جريمة ما ولم يقصد أن يفعل ذلك بهذا الشكل

- من الواضح أنك درسته جيدا؟

- كان تحليل سلوكه هو شغلي الشاغل في الفترة السابقة. كانت خطتي تعتمد على استفزازه للخروج من مخبأة وساعدتني سيادتك بنشرك بين المخبرين خبر يُريحه من جهة وخبر آخر يستفز مشاعره من جهة أخرى، خبران متضادان في آن واحد - مثل خبر انتهاء القضية بموت الجاني، وخبر زواج الضابط محمود الذي كان يتابع القضية من مشيرة – كافيان لزيادة تشوش أفكاره وادفعه للخروج من مخبئه للانتقام

ابتسم خالد ونظر إلى محمود الذي بدأ في تناول الطعام ثم نظر إلى عصام وقال

- كيف كنت على يقين أن الأخبار ستصل إليه؟

- بالتأكيد هناك من ينقل إليه الأخبار من المخبرين مقابل نقود. لقد شعر بالارتياح بعد أن اعتبرناه ميتا وراقب منزل مشيرة وحين علم بالزيارة أعد

عدته ورسم خطته للتخلص منها.

قال محمود وهو مازال يأكل

- يجب أن نعرف المخبر الخائن بيننا،

لاحظ محمود أنهما يبتسمان من طريقة كلامه وهو يأكل فأضاف

- اعذروني، فأنا لم أتناول طعاما منذ ظهر أمس.

رد عليه خالد وهو ينظر إليه ويبتسم

- لا تقلق سنعرف الخائن

قال عصام مبتسما

- أضيف لسيادتك انك لن تتعب نفسك وتسأله عن المخبر الخائن لان جابر سيخبرك باسمه دون أن تسأله لأنه لن يرضى أن يكون الخاسر الوحيد.

استمروا في الحديث عن القضية ثم انتقلوا للحديث عن أفكار عصام التي بدأ يطبقها في منطقته و أبدى خالد استعداده للمساعدة بأي شكل مناسب.

★★★

٢٨
العنف يبدأ عندما يغيب الكلام واليأس يظهر عندما يختفي الاهتمام

عاد عصام إلى منزله ليستريح قليلا ويطمئن على حال أسرته ويتناول طعام الغداء ثم يستكمل مهمته اليومية في استقبال شكاوى أهل المنطقة من أولادهم، عندما وصل إلى المركز، لم تكن السكرتيرة قد حضرت بعد وقد وعده الهمشري بتوفير سكرتيرة تتفهم طبيعة العمل، وكانت في استقباله مشكلة أخرى. حضرت سيدة إلى المركز وكانت في حالة يرثى لها وقالت وهي تكاد تبكي، وقالت

- لقد حضرت ندوتك عن التنمر وفهمت أن الطفل المتنمر أيضا يُعد حالة مرضية ويجب علاجها.

قال عصام باهتمام

- بالتأكيد، فإن سلوك التنمر ناتج عن تعرض الطفل المتنمر إلى مؤثرات خارجية

استكملت السيدة حديثها

ابني حازم في الصف الأول الإعدادي، يعود من المدرسة كل يوم تقريبا وقد تشاجر مع أحد زملائه في المدرسة دون سبب، ابني هو الطرف المتنمر، عنيف في حركاته ومشاكساته مع الآخرين. حاولت أن أتعامل معه لحل مشكلته بكل ما أوتيت من وسائل ولكن لا فائدة. حاولت كثيرا معرفة سبب هذا السلوك العدواني ولكن لم أصل لشيء

رد عليها عصام

-أخبريني عن يومه، كيف يقضيه، سواء اليوم الدراسي أو يوم الإجازة، وكذلك حال الأسرة؟

- أن زوجي مسافر لدولة خليجية للعمل و أنا أقوم بدور الأب والأم معا. أما عن كيفية قضاء يومه، ففي اليوم الدراسي يستيقظ في معاده ويذهب للمدرسة ثم يعود يستريح قليلا ويعمل واجبه المدرسي ثم يأخذ وقت للراحة يقضيها في اللعب على البلاي ستيشن أو الكمبيوتر أو الهاتف المحمول ثم يستأنف المذاكرة حتى معاد نومه. أما يوم الإجازة فتقريبا يقضي نصفه في اللعب ومشاهدة الأفلام والنصف الآخر في المذاكرة، وأحيانا يكون يوما للعب ومشاهدة الأفلام ويوم آخر للمذاكرة.

- ما نوعية هذه الأفلام والألعاب؟

- الأفلام كلها من نوع الأكشن الأمريكي، صراعات وقتل وكذلك الألعاب

- إذن هذه الأفلام والألعاب لها دور كبير في التأثير على سلوكه، ماذا تنتظرين من طفل يشاهد العنف في الأفلام التي يتابعها ويطبقه في الألعاب التي من المفروض أنه يتسلى بها.

اعتدل عصام في جلسته ثم أضاف

- كيف تعامليه بعد كل مشكلة؟ وبشكل عام ما مدى العلاقة بينكما، هل يغلب عليها العصبية مثلا؟

- وماذا تظنني أفعل بعد كل ما يسببه من مشكلات؟ بالتأكيد لا يجد مني غير التوبيخ واللوم وكثيرا الضرب ويسبب لنا كثيرا من المشكلات وبسببها تتسم علاقتي به بالعصبية. أشعر أنه طفل غير طبيعي.

- اعذريني سيدتي، المشكلة عندك أنت أولا

أصابتها الدهشة وقالت

- أنا؟

رد عليها عصام بابتسامة

- نعم، ارجوا ألا تغضبي، نحن نحاول سويا أن نصل لحل لهذه المشكلة.

استمرت السيدة على حالة الصمت وقد ألجمتها الدهشة التي أصابتها، بينما استمر عصام في حديثه

- سنحاول التفكير سويا بطريقة منطقية، طفل يشاهد أفلام العنف، مليئة بالقتل والعنف والدماء ويلعب نفس الألعاب ويطبق ما شاهده في الأفلام في هذه الألعاب، ثم يذهب إلى المدرسة فيجد أرضا خصبة من عدم المتابعة من المشرفين ليتنمر على زملائه من الأطفال. يعود إلى البيت فلا يجد منك رعاية إلا أثناء المذاكرة وتتركيه يشاهد ما يشاء ويلعب ما يشاء دون متابعة أو توجيه. هذا الطفل مجني عليه وليس جانيا.

- حسنا لقد اقتنعت أنني مخطئة ولكن ما الحل؟

- ما يناسب ابنك من علاج هو أن تشغلي له كل وقته، أقصد بوقت الراحة. اشغلي له وقته بالأنشطة الرياضية، ما يناسبه في هذه الحالة هي الرياضات العنيفة كألعاب الكاراتيه، الكونغ فو، التايكوندو، يناسبه أيضا ألعاب القوى. اشتركي له في الأنشطة المدرسية، أنشطة الكشافة في مراكز الشباب والأندية؛ اصطحبيه معك في رحلات كثيرة؛ اجعليه يشعر منك بالاهتمام والرعاية مع احتوائه دون تدليل زائد. حاولي سؤاله عن الألعاب الرياضية التي يريد أن يلعبها، أي لعبة جماعية ستؤثر فيه وتغير من سلوكه إلى الأفضل وان كنت أفضل ألعاب القوى لإخراج كل طاقته فيها دون عنف.

- لم أكن أتصور أن تكون مشكلة ابني هي أنا، لم أكن أتصور أن عدم متابعتي لما يلعب ويشاهد يمكن أن يكون السبب في تحوله إلى طفل عدواني السلوك.

- لا تكوني قاسية مع نفسك، فقسوة الحياة كافية. حاولي فقط معالجة المشكلة وسوف يكون حلها سهلا بإذن الله

أكملت السيدة وكأنها لم تسمع عصام

- أنا لا أصدق ما أسمع، لقد شغلتني مشكلات الحياة ورعايتهم جميعا في مأكلهم ومشربهم ومسئوليتهم. ذهب والدهم إلى العمل في الخارج وتركني وحيدة أتحمل مسئوليتهم. لم انتبه إلى هذه النقطة، انشغالي عنه أدى إلى مشكلة

- الحمد لله أنك فطنتي إلى المشكلة قبل أن تتفاقم، ما زال صغيرا ويمكن علاج مشكلاته بسهولة.

- أشكرك على وقتك وتوجيهاتك

- لا شكر على واجب، أنا موجود لأي مساعدة ويمكن أن أتكلم معه، ولكني أفضل أن تحدثيه أنت أولا وتحاولين معه لأنك الأقرب إليه.

شكرته السيدة مرة أخرى و انصرفت وهي حزينة لا تصدق أنها أحد أسباب مشكلة ابنها أو هي السبب الرئيسي في مشكلته بعدم متابعتها له وبعدها عنه.

طرقت السكرتيرة (وهي فتاة تعمل لدى الهمشري وفي نفس الوقت تعمل كسكرتيرة في المركز الاجتماعي) باب مكتب عصام ودخلت بعد أن أذن لها.

قدمت له كوب من الشاي تطوعا وقالت

- أنا السكرتيرة الجديدة، وقد أعدت لك كوب شاي، أشفق عليك من هذه المشكلات التي تحاول حلها يوميا، كثرة سماع المشكلات يصيب الإنسان بالاكتئاب.

قال لها عصام

- لم أكن أعلم أن السيد حاتم لديه ذوق مرتفع هكذا في اختيار من يعملون معه

- شكرا أستاذ عصام

- وشكرا لك على كوب الشاي، لقد جاء في وقته، كما أشكرك على شعورك

الرقيق، بالفعل كثرة سماع المشكلات يضفي حالة من الحزن على الشخص، هل كان علم النفس مجال دراستك أم مجرد ثقافة عامة

- لقد درسته في المرحلة الثانوية، وأحببته كعلم فقرأت كتبا كثيرة عنه، ولكني تخرجت من كلية الآداب قسم الاجتماع، ثم أخبرته عن وجود رجل يُدعى الحاج مصطفى في حالة حزن شديد ينتظر السماح له بالدخول، طلب منها عصام أن تسمح له ليدخل على الفور. دخل الرجل فإذا به الحاج مصطفى صاحب ماركت المصطفى.

كان الرجل في حالة يُرثى لها من الحزن الشديد، فهرع إليه عصام وأحسن استقباله ومصافحته وقد شعر عصام بالدهشة وقال له

- مرحبا يا حاج مصطفى، هل هناك مشكلة ما جعلتك تأتي هنا بدلا من انتظار عودتي للمنزل أو تحدثني عن طريق الهاتف

- أن الأمر هام يا بُني، أن ابنتي هناء أصيبت بانهيار عصبي أمس وسقطت أرضا بعد أن أصيبت بحالة إغماء، ونصحني الطبيب بان أتابع حالتها مع طبيب نفسي ولا أعرف غيرك يفيدني في هذا الموضوع.

حاول عصام تهدئته ثم قال له

- حسنا، أخبرني ما الأمر بالتفصيل وما دفعها إلى هذه الحالة؟

- عندي أربعة أبناء، ثلاثة بنات وولد وحيد، ابنتي هناء متفوقة في دراستها في الصف الأول الإعدادي ولا أعرف سبب انهيارها، ما أعرفه أنها كانت تتحدث مع أخيها وقد أخذ منها شيئا فظلت تصرخ كثيرا ثم انهارت، هذا ما قالته والدتها

- حسنا، هل يمكن أن أراها و أتحدث معها

على الرحب والسعة، تفضل معي الآن إن كان وقتك يسمح بذلك.

ترك عصام المركز و انطلق مع الحاج مصطفى متوجها إلى منزله، أثناء الطريق

سأله عن بعض المعلومات عن ابنته مثل الطعام المحبب لها، المسلسلات التي تحب متابعتها، المادة الدراسية المحببة إليها، المعلم أو المعلمة المقربة إليها، الهواية التي تحبها وهكذا. دخل عصام شقته فوجد أثاثها من النوع المتوسط وشعر بحالة حزن تخيم على جميع أفراد الأسرة، تعرف على الأسرة كلها وطلب أن يجلس منفردا مع هناء ليسمع منها وكذلك أن يجلس للحديث مع أخيها ليتحدث معه.

قامت الأم بتقديم كوب من العصير إلى عصام وقد لاحظ الحزن الذي تحمله بداخلها فطمأنها وأخبرها أن كل شيء سيكون على ما يُرام. قام الرجل بمساعدة ابنته واصطحبها إلى غرفة الاستقبال(الصالون) وقد استردت صحتها قليلا، كان عصام ينتظر في الصالون. ظل الرجل ينتظر قليلا وقال لابنته جارنا الأستاذ عصام يريد التحدث معك أشارت الفتاة برأسها موافقة ويبدو أن والدها كان قد حدثها عن الأمر قبل أن تحضر إلى الصالون.

قام عصام ببعض محاولات التودد إلى هناء وسؤالها عن دراستها وعن حبه لمادة الدراسات الاجتماعية، ثم حدثها عن أحد المسلسلات التلفزيونية التي تتابعها وكيف أن هناك مفاجأة في نهاية المسلسل لن تتوقعها. بدأت الفتاة تستجيب لحديثه، وحدثها أيضا عن فيلم جديد للمثل (--) الذي تحبه وتتابع أخباره وكذلك أحدث الأغاني للمطرب (--) التي تفضل الاستماع له. بالطبع كان عصام قد بحث عن هذه المعلومات على الإنترنت حتى عرفها قبل أن يحدثها. بدأ عصام يكتسب ثقتها وكان قد اتفق مع والدها أن يجلس بمكان يسمح له برؤيتهم دون أن يسمعهم وأن يخبر ابنته بذلك حتى لا تكون قلقة وهي جالسة معه. سألها عصام، بعد أن اطمئن، عن سبب صراخها بينما كانت تتحدث مع أخيها فقالت:

- أن حسام أخي يأخذ كل شيء أحبه مني، يأخذ كتبي التي أحب قراءتها، ويعبث

في حاجاتي الخاصة. يحاول دائما أن يضايقني بكلماته، يخطف الهاتف المحمول مني و أنا أستمع إلى الأغنية التي أحبها، أو العب اللعبة التي أحبها، يضربني رغم أنه أصغر مني بعام؛ وفي ذلك اليوم أصر على أن يأخذ هاتفي بعد أن أتلف هاتفه فلم احتمل وشعرت بالضعف أمامه وبقلة حيلتي فأبي وأمي يُدللانه لأنه الولد الوحيد ولا يعاقبانه على شيء يفعله وإذا اشتكيت أنا أو إحدى إخوتي منه لا نسمع إلا جملة (وماذا جرى، أنه أخيك الصغير).

قالت الفتاة ذلك وانهمرت الدموع من عينيها. هدّأ عصام من روعها ووعدها بحل هذه المشكلة وطلب منها أن تنسى ذلك وتبدأ فترة جديدة وأن تتفوق في دراستها.

أشار عصام إلى الحاج مصطفى فدخل إليه بينما خرجت ابنته ووالدتها تساعدها على العودة إلى غرفتها. جلس الرجل مع عصام ليعرف منه ما توصل إليه فسرد عصام عليه ما قالته ابنته. فسر له عصام سلوك ابنته على أنه شعور بالقهر وقلة الحيلة أدى إلى انهيارها عصبيا. وقال له

- سأشرح لك ببساطة ما حدث لابنتك، ماذا يحدث لزجاجة المشروبات الغازية عندما ترُجها بقوة وهي مفتوحة؟

- يفور السائل وتندفع منها للخارج

- هكذا ابنتك، ظل ابنك يرجها بشدة ويضغط عليها فانفجرت، و انفجارها جاء على شكل انهيار عصبي خاصة ولم تجد منك أنت ووالدتها إلا اللامبالاة بما يفعل ابنكما بها هي وإخوتها. كان من الممكن أن يخرج انفجارها هذا في أشكال عديدة، كانت من الممكن أن تنتحر أو تقذفه بشيء ولكن لضعفها الشديد ورهافة شعورها استسلمت للانهيار العصبي

- هل إلى هذا الحد الموضوع خطير؟

- ابنك أيضا يعاني من سلوك التنمر بإخوته، هو يستقوي على إخوته البنات

بك أنت ووالدته، لا يجد منكما إلا التدليل ولا تُعاقباه على أي سلوك خاطئ يقوم به؛ يأخذ الأشياء الخاصة بإخوته ويتلف أشيائهم الخاصة ويعتدي على خصوصيتهم.

نظر الحاج مصطفى إلى الأرض وهو يفكر في كلام عصام وقال

- أدركت الآن خطأي والحمد لله أنني تنبهت قبل أن تحدث كارثة

- بالفعل يجب أن نحمد الله أن تنبهنا إلى هذه المشكلة قبل أن تحدث كارثة أكبر من ذلك، أحذرك من عواقب إهمال هذا الأمر، والآن أريد أن أتحدث مع الولد منفردا

ظل الرجل صامتا وهو ينظر إلى الأرض وكأن الهموم قد أثقلته فلم يتحملها فوق رأسه، خرج ثم دعا ابنه إلى التوجه إلى الصالون والجلوس مع عصام ويتكلم معه. أطاع الولد أبيه دون تأخير لما وجده من حزن وصرامة على وجوه الجميع فخشي أن يطوله بطش أبيه خاصة وقد انهارت أخته وهو يشاكسها. دخل إلى الصالون فوجد عصام ينتظره فصافحة وجلس. فعل عصام معه مثلما فعل مع أخته، تودد إليه حتى يستطيع أن يحدثه دون تحفظ ونجح في ذلك.

- هل تعلم حجم المشكلة التي تمر بها أسرتك؟

- نعم أختي مريضة

- أنها ليست مريضة ببعض الصداع أو البرد أو الإنفلونزا، أنها مريضة لأن أعصابها لم تحتمل أن تأخذ منها أشيائها وتظل تشاكسها، أبيك يعلم ما فعلته بها ولكني طلبت منه ألا يعاقبك لأنك لم تكن تعلم أن مشاكستك لأختك من الممكن أن تتسبب في أن تصاب بأذى.

- بالفعل لم أكن أعلم، أنا أفعل ذلك مع الجميع وكل شيء يمر بهدوء.

- لا، لكل شيء حدود، ضع نفسك موضع إخوتك، ماذا ستفعل إذا أخذوا

منك الأشياء التي تحبها، ماذا لو أخذوا منك الهاتف الذي تلعب به أو الكمبيوتر الذي تشاهد عليه الأفلام التي تحبها. ماذا ستفعل لو أخذت أختك الكبرى هاتفك و أتلفته لك؟ هل فكرت في ردة فعلك لو شكوت إلى أبيك ولم يفعل لك شيئا.

- أنا بالفعل أشعر أنني مخطئ.

- أعتقد أن سلوكك الفترة القادمة سيدل على اقتناعك بخطئك من عدمه، كلمة أخيرة أحب أن أقولها لك، اعلم أن أسرتك هي أقرب الناس لك وهم الأولى بحبك ورعايتك ومن الممكن أن تحصل على ما تريد بالحب والسلوك الجيد وليس كما تفعل.

انتهت جلسة عصام مع الابن المدلل واستأذن في الانصراف وخرج معه الحاج مصطفى ليستمع إلى نصيحته بعد أن جلس مع ابنه فقال له عصام كلاما أدهشه

- أن ابنك من النوع الذكي، بل ذكائه يفوق سنه، لقد علم أن المجادلة معي لن تُجدي في شيء فقرر أن يتظاهر أنه اقتنع بكلامي. ما أرجوه منك ومن والدته أيضا أن تتوقفا عن تدليله الزائد حتى لا يفسد وأن تعاقبه على أخطاءه بلا قسوة، فالأفضل أن يكون العقاب على قدر الخطأ، وأن يكون هناك تدرج في العقاب، وإذا قام بخطأ ما ووجدت صعوبة في تحديد العقاب المناسب فاتصل بي سرا وسوف نتناقش سويا فيه.

شكر الرجل عصام على استجابته ومجهوده معه و اتجه عصام إلى منزله ليرتاح وينام مبكرا للذهاب في اليوم التالي إلى المدرسة.

★★★

٢٩
حسن النية مع الحذر هما سبيلنا للسلام الاجتماعي

تعاقبت الأيام وعصام يزداد نجاحا في عمله في المدرسة وفي المركز الاجتماعي وبدأ مجهوده يأتي بثماره ولكن أعداء النجاح لا يهدؤون، من يعتبرون الحياة فرصة لجني الأموال حتى على حساب مستقبل الأمة بأثرها. كان عصام علي وشك الخروج من المنزل للذهاب إلى المركز الاجتماعي للقيام بما يفعله يوميا من استقبال المشكلات وحلها، وإذا بجرس الباب يرن ففتح الباب ووجد جارا له قد سكن في الشقة المقابلة له حديثا منذ أسبوع مع زوجته، كان الرجل و اقفا مبتسما أمام باب الشقة وقال

- آسف للإزعاج ولكني أصبت في حادث منذ يومين وكسر زراعي كما ترى واضعه في الجبس وأصيبت راسي بجرح بسيط.

- لا عليك، شفاك الله وعافاك، أنا في خدمتك، تفضل بالداخل

- أشكرك، لكني أريد قطع بعض حبات الجو افة لعمل عصير حيث نصحني الطبيب بشرب كميات كبيرة من العصير لتعويض الدم المفقود وزوجتي عند أهلها لأنها مصابة هي الأخرى.

- أسف على التطفل، ولكن لماذا لم تمكث معها عند أهلها؟

- فعلت ذلك ليوم واحد ولم أتحمل لان المكان هناك غير مريح بالنسبة لي ففضلت الإقامة بمفردي. أريد فقط مساعدتك لأن الخلاط لا يستوعب حبات الجو افة كاملة و أنا لا أستطيع قطعها لان زراعي الأيمن الذي استخدمه هو الذي أصيب بالكسر.

- على الرحب والسعة

ذهب عصام إلى شقة جاره فوجده يجهز له السّكِينة وحبات الجو افة في صالة الاستقبال فقام بتقطيع حبات الجو افة له
شكره الرجل و انصرف عصام. خرج عصام من باب العمارة فوجد الأستاذ رفعت والحاج مصطفى يقفان مع شخص آخر وهو صاحب أحد محالّ البلاي ستيشن في المنطقة، ذهب إليهم وصافحهم فقال له الأستاذ رفعت
- أعرفك يا أستاذ عصام بالسيد حمودة المشهور بـ حمو اكشن صاحب محل البلاي ستيشن ويبيع أيضا أسطو انات الأفلام الأجنبية الحديثة قبل أن تنزل بالسوق
- مرحبا سيد حمو
- السيد حمو يشكوا أن عمله قد تأثر بندو اتك وما تقوله للناس بإبعاد أولادهم عن لعب البلاي ستيشن ومشاهدة أفلام الاكشن
- أولا أنا لم أمنعهم، أنا نصحتهم بمتابعة أولادهم ومتابعة ما يشاهدونه والابتعاد عن قضاء أوقات كبيرة في اللعب والابتعاد عن مشاهدة أفلام العنف والدم.
رد حمو اكشن بعصبية
- هذا هو مجال عملي، وهذه هي الألعاب والأفلام المنتشرة
رد عصام وقد حافظ على هدوءه
- إذا كان مجال عملك هو أذى الأولاد وفساد عقولهم فيجب عليك تغييره وألا تُعتبر مشاركا في جريمة إفسادهم.
رد حمو وقد ازدادت حدة صوته
- هذا عملي ولا أعرف غيره وعليك أن تتوقف عن حث الناس عن الابتعاد عن الأفلام والبلاي ستيشن
- إذا كان الناس قد استجابوا فهذا يعني أنني نجحت في إقناعهم بشيء صحيح، وأن ما تفعله هو الخطأ.

- أنت لن تعلمني ما افعل وما لا أفعل، أنصحك أن تتوقف عما تفعل أو تذهب لمكان آخر

- أنا لا اقبل تهديدك هذا

- إذن أنت الجاني علي نفسك

قالها حمو اكشن و انصرف وهو يتوعد عصام ببعض كلمات التهديد بصوت مرتفع. قال الأستاذ رفعت

- أن هذا الشخص عدو اني فاحذره يا عصام، لقد تأثر بعدم ذهاب أبناء الحي إلى محله، رعاية الآباء لأبنائهم يضره لأنه لا يكتفي بتصدير العنف إلى الأولاد عن طريق الأفلام والألعاب فقط، ولكنه يجذبهم إلى طريق الحبوب المخدرة، كثير منا يعلم ولكن لا دليل على هذا الكلام و أيضا يخشى الناس بطشه.

- لماذا لم تبلغوا الشرطة عنه؟

- بالفعل حدث ذلك أكثر من مرة ولكن في كل مرة لا يجدوا أي دليل على اتجاره بالمخدرات ولا يتكلم أحد ممن أخذهم في طريق المخدرات خوفا من بطشه وحتى لا يتوقف عن تمويلهم وربما استغل أحدهم في الترويج له فلن يورط نفسه.

- أنا أفعل الشيء الصحيح ولا أهتم بمثل هؤلاء

- وفقك الله يا بني في طريق الخير

دعاه عصام إلى منزله لتناول فنجان قهوة ولكن الأستاذ رفعت اعتذر لانشغاله وتصافحا و انصرفا كلا إلى مقصده. ذهب عصام إلى المركز الاجتماعي فلم يجد أحدا من أصحاب المشكلات ينتظره، فمكث قليلا يتكلم مع السكرتيرة ثم آثر أن ينصرف لما وجدها تتطرق إلى أمور شخصية فخشي أن تتدخل في شئونه فانصرف. اخرج بطاقة تعارف من جيب سترته واخرج هاتفه وطلب رقما و انتظر حتى سمع صوت الطرف الآخر فقال عصام

- مرحبا أستاذ هشام، أنا عصام أستاذ الفلسفة الذي قابلتك في الميكروباص في شارع فيصل

انتظر قليلا حتى سمع صوت الطرف الآخر ثم قال
- حسنا، بالفعل أود مقابلتك، سأحضر إليك الآن في المقهى.

أنهى عصام المكالمة وذهب إلى أحد المقاهي سيرا وكان المقهى يقع على شارع فيصل الرئيسي. دخل فوجد هشام جالسا مع صديق فأشار إليه وعندما وصل إلى المنضدة وقفا لمصافحة عصام ثم انضم إليهما، أشار هشام للنادل فحضر وطلب عصام كوب من الشاي ثم قام بتقديم عصام للضيف وكذلك تقديم الضيف لعصام. قال هشام موجها كلامه للضيف
- هذا الأستاذ عصام، معلم مادتي الفلسفة وعلم النفس وجاري
يهز الرجل رأسه ترحيبا ثم يقول
- مرحبا بك أستاذ عصام
ثم أكمل رفعت
- وهذا أستاذ محمود سالم، صديق عزيز وزميلي
- رحب عصام به بابتسامته الجميلة ثم أضاف
- لقد تحدثت مع حضرتك في مقابلتنا السابقة عن عزمي نشر كتاب عن التنمر
- عظيم، و أنا في خدمتك، هل أحضرت مسودته معك؟
- نعم، هذا هو
ثم أخرج ملف به أوراق كثيرة كان قد أحضره معه وأعطاه إياه. أخذه هشام ثم نظر فيه سريعا وأضاف
- الكتاب جيد من الناحية اللغوية والتنسيق ولكن المحتوى تحكم عليه لجنة

الاطلاع والقراءة بالدار لإبداء المو افقة من عدمها على نشر الكتاب وسوف أبلغك قرار اللجنة في أقرب وقت بإذن الله.
- أشكر اهتمامك وفي انتظار رد حضرتك

حضر النادل وأحضر الشاي الذي طلبه عصام، تناوله أثناء مناقشته لبعض نقاط الكتاب بناء على طلب هشام. عبّر هشام عن إعجابه بفكرة الكتاب وقصص التنمر التي ذكرها عصام والتي يحتويها الكتاب وكذلك الحلول العملية التي وضعها عصام للتخلص من التنمر في الشارع والمدرسة بناء على دراسة و اقعية للمجتمع ومشكلاته و أيضا حلول عملية تم تطبيقها والتأكد من أنها تناسب المجتمع وقابلة للتطبيق. تبادلوا أطراف الحديث قليلا بعد ذلك ثم شكرهم عصام مرة أخرى و انصرف.
شعر عصام بسعادة تغمره لأن أحد أمنياته أوشكت أن تتحقق و انعكست هذه السعادة على تعبيرات وجهه. تمتم في نفسه أوشك أول أبنائي على الظهور للدنيا، كم هي سعادتي بأن تتحقق أولى أمنياتي، حمد لله أنني قابلت ذلك الرجل الذي شجعني على أن تخرج أمنيتي إلى حيز التنفيذ فتتحول من حبر على ورق ملقى في درج مكتبي إلى أفكار يتناولها الناس ويستفيدون بها، ظل يفكر في خطوته التالية حتى وصل إلى منزله، وجد سوبر ماركت المصطفى مغلق فدخل مباشرة العمارة وصعد إلى شقته. أراد أن يطمئن على جاره وعلي يده المكسورة فتوجه إلى شقته ولكنه وجدها مغلقة ولاحظ أنها مغلقة منذ يومين أو أكثر لكثرة الأتربة على باب الشقة. عاد إلى شقته ودخلها فوجد والدته تنتظره فقبل يديها ورأسها وتوجه إلى غرفته ثم جلس يتناول طعام أعدته والدته وسألها عن جارهم فأخبرته أنها رأته مرة واحدة فقط وبعدها شقته مغلقة دائما. تعجب عصام ولكن لم يلقي للموضوع بالا.

★★★

٣٠
الحب كالاحتراق لا يشعر به إلا من احترق

في صباح اليوم التالي، كعادته اليومية، استيقظ من نومه وبدأ في مشاكسة والدته ثم أخته الصغيرة؛ تناول إفطاره ثم استعد للنزول، وطلبت ياسمين منه أن يصحبها في طريقه، بينما يحدثها أصدر تليفونه المحمول نغمة موسيقية مميزة تدل على وصول رسالة معينة، فتح عصام الرسالة ثم ابتسم ونظر إلى ياسمين التي كانت تركز اهتمامها على تعبيرات وجهه وعينيه ثم همست إليه يبدوا أنك اُختطفت فأجابها بابتسامة يبدوا ذلك. تركته ياسمين لتستعد للنزول معه بينما جلس يراجع جدوله اليومي لينظم وقته. خرجت ياسمين وهي تبتسم ثم تأبطت زراعة ونزلت معه وقبل أن تتحدث أجابها قائلا

- تريدين سؤالي عنها

قاطعته ياسمين

- قبل أن تخبرني من هي، أريد أن أسألك كيف عرفت أنك تحبها؟

شرد عصام قليلا ثم أجابها وهو ينظر إلى نقطة ما في الأفق

- أشعر بالسعادة بمجرد التفكير فيها وكأنها أصبحت مصدر سعادتي، عندما أراها لا أتوقف عن النظر إليها وتتعلق عيناي بها وتأبى أن تبتعد، بل وأصبح كأني تحت تأثير مُخدر؛ أسرح فيها و أنا معها، أشعر بصعوبة بمجرد محاولة التوقف عن التفكير فيها.

قاطعته ياسمين

- هذا يكفي، هذا يكفي، أنك لم تحبها فقط، أنك تعشقها، لقد تملك الحب منك يا حبيبي. لكن متى حدث كل هذا؟

- منذ أول يوم دراسة، ولكن أخبريني كيف وصفتي حالتي بأنني تجاوزت مرحلة الحب، هل جربتِ الحب يا صغيرتي؟

أومأت برأسها إيجابا ثم قضت باقي طريقها مع عصام تبثه عن أسرارها.

وصل عصام إلى المدرسة وقد بدت أكثر هدوءا، توجه مباشرة إلى حيث يجد دينا، ابتسمت عندما أطل عليها، اتجهت إليه وظلا يتهامسان ثم أطلعته على تقرير عن المدرسة. درسا التقرير سويا ثم اتجه عصام ليباشر عمله.

انتهى اليوم الدراسي، وكعادتهما كل يوم، تقابلا وتهامسا ثم استقلا سيارة الأجرة لان دينا تعللت بمرض والدتها وتريد أن تكون بجوارها، ودعها عصام بعد نزولها من السيارة ثم ابتسم عندما تذكر هشام فهمي وما قاله له بعد أن نزلت دينا من السيارة في أحد الأيام. تذكر عصام أنه نسى موضوع نصر تماما و انشغل بالمدرسة ومشكلات الحي. نزل من السيارة ثم أخرج هاتفه وطلب رقما ثم انتظر رد الطرف الآخر الأستاذ رفعت وعلم من المكالمة أنه بالمكتبة فقرر التوجه إليه. عندما وصل إليه وجده ينتظره مبتسما وبعد أن صافحة جلس معه بداخل المكتبة وقال

- لقد نسيت موضوع نصر تماما وقد وعدتني بأن تقص على قصته

- نعم بالفعل نسينا هذا الموضوع، لكن الأهم من سرد قصته أن نجد له عملا لان حاله سيئ جدا

- حسنا، بالفعل لقد فكرت أثناء طريقي إليك في أن يعمل بواب للعمارة التي أسكن بها وسوف أتحدث للسكان وأعتقد أنهم لن يمانعوا في ذلك

- حسنا، لقد جمعت له أيضا بعض المال من أهل الخير و ابحث عن مشروع يساعده في معيشته. إن حالته تتحسن كثيرا إذا وجد عملا مناسبا ولكن من الأفضل البعد عن التعامل مع الناس.

- لا فمن الأفضل أن يتعامل مع الناس وهذه فرصة سانحة الآن لأن هناك وعي كبير بمشكلة التنمر حتى الأولاد الذي كانوا يضايقونه ابتعدوا عنه.

- بارك الله فيك يا بني، هل لديك فكرة لعمل مشروع له بجانب عمله كبواب للعمارة.

- نحن على أبواب فصل الشتاء، من المشاريع الجيدة المناسبة الآن مشروع سيارة متنقلة يقدم فيها مشروبات ساخنة مثل حمص الشام وبعض الحلوى مثل الكنافة والزلابية، إلى آخره.

- فكرة جيدة جدا وسوف أكلف أحد الأصدقاء بهذا الأمر

- و أنا سأتحدث مع سكان العمارة والله ولي التوفيق

استمر عصام في الحديث مع الأستاذ رفعت ثم استأذن و انصرف.

أثناء طريقه إلى المنزل، قابل شريف (قائد المجموعة التي كانت تتنمر بنصر وتلاحقه في الشارع) وأخبره أنه اتفق مع مدير مركز شباب (-) في منطقتهم أن يتركه يلعب مع أصدقائه في ملعب كرة القدم لمدة أربعة ساعات يومي الجمعة والسبت. تهلل وجه الفتى شريف وقال له:

- ظننتك نسيت وعدك لي

- لا لم أنسى ولكن كنت مشغولا، وما جعلني معجبا بك وبأصدقائك أنكم التزمتم بوعدكم لي و ابتعدتم عن نصر

- ونحن سعداء لأننا توقفنا عن التنمر بهذا الرجل المسكين

- وهل تدرك معنى التنمر حقا

- نعم فكنت أحضر مع أبي الندوات التي كنت تقيمها لأهل الحي وكذلك كنت أسمع أبي كثيرا يتكلم مع أمي عن هذا الموضوع

- بارك الله فيكم، حقا إني سعيد بكم جميعا.

قالها عصام وتركه وهو منتشيا لأنه لمس بنفسه ثمرة من ثمار مجهوده على أرض الو اقع.

★★★

٣١
ينتابنا أحيانا شعور بالقلق لا نعرف له سببا

بعد أن ترك شريف، خطر ببال عصام أن يذهب إلى المركز الاجتماعي ليرى أن كانت هناك أي شكاوى قبل أن يذهب إلى المنزل. ذهب إلى المقر فوجد الباب مفتوحا وسمع أصوات بالداخل، دخل إلى المقر ففوجئ بالهمشري جالسا كالمخمور يهذي ببعض الكلمات وأمامه زجاجات خمر، نهره عصام بشدة ولكن لم يلقى أي استجابة من الهمشري إلا أنه ظل يترنح كلما حاول الوقوف ثم اقترب من عصام ودفعة بشدة في صدره فعاد إلى الخلف واصطدم بالحائط، أراد عصام أن يرد له دفعته ولكنه تركه و انصرف لأنه لم يكن في كامل وعيه.

تركه عصام وهو لا يكاد يصدق ما حدث، لم يستطع الذهاب إلى المنزل فتوجه إلى مكتبة الأستاذ رفعت فلم يجده ولكن وجد ابنته مشيرة فسألها عنه فأخبرته أنه في طريقه الآن إلى المكتبة. لم يمكث وقت طويل حتى وصل الأستاذ رفعت إلى المكتبة. جلس عصام معه وأخبره بما حدث، عبر الأستاذ رفعت عن استيائه الشديد من تصرف حاتم الهمشري و أثنى على تصرف عصام ولأنه لم يتمادى في الشجار عندما أدرك أن الهمشري ليس في كامل وعيه. أضاف عصام

- دعنا نغير الحديث إلى حديث آخر، أرجو أن تُخبرني بقصة نصر حتى أتمكن من مساعدته بطريقة صحيحة

- حسنا، قصة نصر باختصار هي أنه كان يعاني من التلعثم في صغره ولذلك لم يحصل على فرصة تعليم لان كل المدارس رفضته. ظل يتنقل بين الورش

لتعلم حرفة ولكنه لم يستطيع ولم يتحمله احد، بعد ان موت والدته تدهورت حالة نصروجمع له بعض الصالحين بعض المال واشتروا له بعض الإكسسوارات التي يتجول بها في الشوارع ليبيعها حتى الآن.

أضاف عصام

- إذن هو يستطيع التعامل مع الناس ولكن تنقصه الثقة.

- بالفعل، تنقصه الثقة فقط، وأعتقد أن الوقت مناسب وسيساعده العمل على بدء حياة جديدة

أكمل عصام كلام الأستاذ رفعت وقد شعر ببعض الارتياح

- والاندماج في الحياة رويدا رويدا ويتغلب على مشكلته

- أو يتأقلم معها، فكثير منا لديه مشكلات ولكنه يتأقلم معها، بعض الناس يعيش بقدم واحدة ويتأقلم مع وضعه، البعض يعيش يعين واحدة ويتأقلم مع حياته

- صدقت يا أستاذي، والبعض يعيش بمرض مزمن ويتعايش معه، أهم أسباب سعادة الإنسان أن يتصالح مع نفسه، يقبلها كما هي، يحاول أن يطور منها ولكن الأهم أن يتصالح معها

- من ناحيتي، سوف أمضي في موضوع عربة الفول و أنت عليك موضوع السكان

- حسنا، اتفقنا

- ماذا ستفعل الآن مع الهمشري؟

- لا أريد أن أهدم ما بدأته وسوف أنتظر حتى يعود إلى رشده

- حسنا وهذا هو القرار السليم، التعامل بحكمة هو المطلوب في الوقت الراهن

استأذن عصام للانصراف ومضى في طريقه عائدا إلى منزله وهو يشعر بدمه

يغلي كالماء وتحته شعلة نار متوهجة ويزداد غضبه حينما يتذكر مشهد الهمشري وهو يترنح كالمخمور والأعجب أن هذا حدث قرب انتهاء النهار ولم ينتظر حتى قدوم الليل. ظل على هذا الحال حتى وصل إلى منزله فوجد والدته جالسة تعمل التريكو وياسمين بغرفتها، قالت له أمه بعد أن قام بتقبيل رأسها

- بالطبع تُقبل راسي بعد أن فعلت فعلتك

شعر عصام ببعض الدهشة وتساءل بابتسامة بعد أن جلس على الأريكة بجوارها

- وماذا فعلت يا حبيبتي؟

- حقا لا تعلم، حسنا سأخبرك، لقد دخلت الشقة بحذائك وتسببت في اتساخ السجادة رغم أنني حذرت كلاكما ألا تدخلا بأحذيتكما إلى داخل الشقة وأن تتركوها خلف باب الشقة

- أنا لم أفعل ذلك، ربما ياسمين

- لا، أنه حذاء رجالي

- حقا لم أفعل يا أمي

قام عصام وذهب حتى السجادة فلم يجد آثار الأقدام فعاد لوالدته وسألها

- لم أجد شيئا يا أمي على السجادة

وهل تظن أنني سأترك اثار الحذاء على السجادة حتى الآن

صمت عصام وقد دارت برأسه الظنون ولكنه احتفظ به لنفسه ولم يبثها إلى والدته حتى لا يثير قلقها. أضاف

- ربما كانت آثار حقيبة أو ما شابه ذلك، لا تشغلي بالك

- ربما (ثم حدقت النظر فيه) ما بك يا بُني، لماذا تبدوا مهموما؟

- هناك بعض المشاكل في العمل، لا تشغلي بالك، كله سيكون على ما يرام
- إن شاء الله يا بُني، سيكون كل شيء على ما يرام. لك عندي خبر سعيد، خالتك صفية ستاتي غدا لتقضي معنا بعض الوقت

رُسمت الفرحة على وجه عصام وقال

- حقا، خالتي صفية ستأتي؟
- نعم، ولكن لا تجلس بجانبها لتغني لك وتترك عملك

ضحك عصام والسعادة تغمره

- حسنا يا أمي لن أهمل عملي ولكن سأجعلها تُغني لي

ضحكت أمه وخرجت ياسمين تشاركهما الحديث، مر الوقت بهم وهو يتسامرون حتى قام عصام و اتجه إلى غرفته. توجهت ياسمين إلى والدتها بالحديث بعد أن تركهما عصام

- هل هناك شيء يا أمي، أرى شرودك و أنت تنظرين إلى عصام وهو يتوجه إلى غرفته؟
- قلبي غير مطمئن ولا أعلم لماذا؟، يُحدثني قلبي أن هناك شيئا، اللهم الطف بنا يا رب وقدّر لنا خيرا واحفظ أولادي من كل سوء واستعملنا في الخير واجعل كيد السيئين في نحورهم.

نظرت ياسمين إلى والدتها ثم آمنت ورائها وطمأنتها ببعض الكلمات ولثمت رأسها وقامت بمساعدتها لتدخل إلى غرفتها واطمأنت أنها تهيأت للنوم ثم تركتها وتوجهت إلى غرفتها.

★★★

٣٢
أشعر بدفء حياتي لأنك هنا

في صباح اليوم التالي، توجه عصام إلى المدرسة ولم يجد دينا كعادتها في غرفة الاختصاصي الاجتماعي فكلمها في الهاتف وعرف أن والدتها مريضة وهي لا تستطيع أن تتركها وطلبت منه أن يخبر المدير ويطلب إجازة لها. اتجه عصام إلى غرفة المدير وأخبره بما قالته دينا وو افق المدير على الإجازة. تحدث عصام إلى المدير قائلا

- ينبغي علينا تفعيل نشاط الرحلات كدور مكمل لبقية الأدوار التي تقوم بها المدرسة للقضاء على التنمر والعنف داخل المدرسة

- فكرة عظيمة يا عصام، عقلك لا يهدأ أبدا في التفكير في المدرسة والطلاب

- اقترح أيضا أن تكون الرحلات استكشافية للمتاحف والأماكن التاريخية وترفيهية للحدائق العامة والملاهي الكبرى وعلمية للأماكن البحثية ومعي قائمة بكل هذه الأماكن وسوف أنسق مع الأستاذ وليد والأستاذة رشا مسئولي النشاط الاجتماعي في المدرسة.

- حسنا، هذا مجهود عظيم منك يا عصام، أتعلم أن مدرستنا ستكون من ضمن قائمة المدارس المرشحة لنيل جائزة أفضل مدرسة من قبل وزارة التربية والتعليم

- حقا، هذا شيء رائع

- والأروع من ذلك أن الوزارة أرسلت بعض المر اقبين لاستيضاح الوضع في المدرسة بشكل مفاجئ وقد بدت السعادة والرضا على وجوه المر اقبين وهم يتابعون العمل داخل الفصول الدراسية

وهل قالوا أي شيء؟

- أخبروني أننا بنسبة كبيرة سنترشح لنيل جائزة أفضل مدرسة
- هذا خبر سار جدا، لدي فكرة أخرى سوف تميزنا عن المدارس الأخرى وهي ضرورة عقد ندوات بالمدرسة للطلاب في المرحلة الثانوية عن أهمية الوقت وكيفية الاستفادة منه، أهمية تحديد الهدف، وهذا سيساعدهم في الحياة الجامعية بشكل كبير
- أنها أفكار رائعة، أنت تستحق جائزة أفضل معلم
- أنا لا أفعل إلا الواجب ولكن هل هناك جائزة بالفعل بهذا الاسم؟
- نعم، هناك بالفعل كثير من المعلمين لا يعلمون عنها شيئا، جائزة أفضل معلم في مصر هي جائزة يشرف عليها الائتلاف المصري للتعليم للجميع التابع للمؤسسة الأهلية مصريون بلا حدود وهي النسخة المصرية من مسابقة أفضل معلم في العالم التي تُعلن نتائجها في منتدى التعليم والمهارات بدبي كل عام

رد عصام وقد أصابته الدهشة

- حقا، لقد سمعت عن المسابقة العالمية من قبل ولكن لا أعرف تفاصيل كيفية التقدم لها أو ما هي شروط التقدم للمسابقة
- مسابقة أفضل معلم في مصر هي المسابقة التي تؤهل الفائزين بها للتصعيد للمنافسة على اللقب دوليا، ابحث عنها يا عصام على الإنترنت وسوف تُرشحك المدرسة في المسابقة المحلية واعتقد بما بذلت وتبذل من مجهود ربما تنافس على الجائزة العالمية فأنت تستحق كل خير.
- تكفيني إشادة حضرتك، ولكن اسمح لي الآن أن أتوجه لأباشر عملي
- تفضل

صافحه عصام وانصرف وهو يفكر في المسابقة وأراد أن يتوجه إلى دينا ليخبرها بذلك ولكنه تذكر أنها لم تحضر ونظر حوله فشعر أن المدرسة

تنقصها روح الحياة دون دينا. انتهى اليوم الدراسي ما بين مباشرة العمل وحديثة إلى دينا في الهاتف وكأنه دواء مسكن بين الحصص وخرج من المدرسة متجها إلى منزله. اخرج هاتفه وقرر أن يقضي الطريق مع دينا يتحدث إليها حتى يعود للمنزل وقد فعلها. دخل إلى منزلة فشعر بدفء مألوف لديه فإذا بخالته صفية تهرول إليه ليحتضنها. كانت والدته تقف على مسافة منها فقالت

- ألم أقل لك إنه سينسى كل شيء عندما يراك، حتى أمه؟

رد عصام بابتسامة وهو يعرف أن والدته تمزح، هرول إليها ولثم يديها ورأسها

- أنت الخير والبركة ولكن خالتي وحشتني لم أتعود أن تغيب عنا كل هذه الفترة

- وقد حضرت لأمكث معكم أسبوع كامل

قالتها صفية وهي تتحرك تجاه عصام وتمسك بيده لتجلسه إلى الأريكة

- أسبوع فقط لا يكفي، امكثي معنا شهرا

- ليتني أستطيع، أولاد خالتك و افقوا على أسبوع بعد جدال

قالت والدة عصام وهي تجلس بجوار أختها على الأريكة

- لا تضغط عليها يا ولدي وسوف تكررها كثيرا بإذن الله

- وهذا وعد مني

- إذن غني لي أي أغنية لنجاة

- كنت أعرف أنك ستطلب مني ذلك، ماذا تريد؟

- القريب منك بعيد

ابتسمت صفية وقالت

-وهل حدث؟

- ما هو (قالها عصام وهو يبتسم قد فهم معنى ما قالته خالته)

- حسنا سأغني لك قطعة صغيرة منها ونستكمل باقي الألبوم غدا

ضحك عصام حتى رجع برأسه إلى الخلف وضحكت والدته، تمالكت صفية نفسها وبدأت تغني وهنا خرجت ياسمين تستمع وجلست بجوار خالتها على الأريكة

القريب منك بعيد، والبعيد عنك قريب

كل ده وقلبي اللي حبَّك، لسه بيسميك حبيب.

حبيب عينيّا، حبيب أحلامي، حبيب دموعي وألم أيامي

أهون عليك أسهر بألامي وَتَتُوه نجوم الليل في ظلامي

يا رياح للي فايتلي عيوني سهر انة ولا داري

أمانة أوصف له دمع عيوني طول ليلي ونهاري

آه مِنّي، آه منك

كل ده وقلبي اللي حَبَكَ، لسه بيسميك حبيب

غنت صفية وقد لمس صوتها الحنون أوتارا في قلبي عصام وياسمين وقد لاحظت على الصغيرين ذلك فضمتهما إليها.

انتهت صفية من الغناء ثم دعتهم إلى طعام أحضرته معها من المنصورة. تناولوا الطعام وهم يتجاذبون أطراف الحديث ثم قاموا والتفوا مرة أخرى حول صفية التي بدأت تحكي لهم ما حدث بالبلد بعد أن تركوها قادمين إلى القاهرة (مصر، كما كانوا يطلقون عليها). لم يكد عصام يتركهم ليدخل إلى غرفته حتى تلقى مكالمة من الهمشري يعتذر له عما جرى و أنه لم يكن في وعيه، كما قال شيئا تعجب منه عصام

- أنا لم أقصد أن أشرب الخمر في المكتب كما اعتقدت، لقد وضع لي عامل البوفيه حبوبا غريبة في القهوة

- إذا كيف عرفت ما تم؟

- عندما استيقظت صباح اليوم ووجدت نفسي في المكتب، أدركت أنني قضيت الليلة على الأريكة، استعدت وعيي وقمت بالاطلاع على كاميرات المر اقبة، وهذه عادة أحافظ عليها وهي أن ارجع دوما إلى كاميرات المر اقبة لفحص ما سجلت، وعلمت أن العامل هو من وضع لي الحبوب في القهوة ولا أعلم لماذا فعل هذا، وهو مختفي حتى الآن. يمكنك الحضور الآن لتطلع على كاميرات المر اقبة أن أردت ذلك

- أصدقك ولكن سأحضر حالا للتحدث معك، لكن عليك أن تخبر الشرطة بالأمر

- حسنا في انتظارك

★★★

٣٣
بينما أتغنى، تأتي الحياة بعكس ما أتمنى

أنهى عصام المكالمة ثم أخبر والدته أن حاتم يريد أن يقابله في المركز الاجتماعي واستأذنها وخرج ونسيا تماما موضوع الحذاء. وصل عصام إلى المكتب، شعر بالدهشة لان باب المركز كان مفتوح، دفع الباب ودخل، لم يرى أي شيء مريب، وجد ضوء قادم من غرفة المكتب، أعتقد أن الهمشري نسى الباب مفتوح، دخل إلى غرفة المكتب وأصابه هلع لأنه وجد الهمشري مُلقى على الأرض غارقا في دمائه وبجواره سكينة كبيرة كالمستخدمة ضمن أدوات المطبخ. اقترب من القتيل ولكنه كان حذرا أن يلمس السّكِينة، اخرج هاتفه وشرع يطلب النجدة ولكن ما هي إلا ثوان ووجد الشرطة تحيط به قبل أن ترد عليه النجدة، لم يستطع النطق من هول المفاجئة ولم يشعر إلا بالقيود الحديدية في يديه. خرج مع الضباط وهو في دهشة عقدت لسانه وعجز أن ينطق بأي. حاول أن يتمالك نفسه وفكر سريعا ثم أشار إلى أحد الضباط وقال له أريد أن اعرف، إلى أي قسم شرطة سأذهب وَأُرِيد أن أُبلغ سيادة الرائد محمود الشيمي أنني في القسم. تعاطف معه الضابط وطمأنه أنهم سيذهبون إلى قسم الهرم و أنه سَيُعْطِيه الهاتف للاتصال بأهله وبالرائد محمود.

تحركت سيارة الشرطة وشقت طريقها وسط الحشود التي أحاطت بالمركز. وصل عصام إلى القسم وظل شاردا ثم أعطاه الضابط هاتفه فطلب رقم ياسمين وأخبرها وطالبها بالثبات و إبلاغ كمال أنه بقسم الهرم. أنهى المكالمة وطلب رقم محمود وأخبره بالأمر. حضر محمود على الفور لكن الضابط كان قد كتب المحضر وأحال الموضوع إلى النيابة. وصل محمود لحظة ترحيله

إلى النيابة فطمأنه. وصل محمود معه إلى النيابة. لاحظ أن عصام في حالة ذهول فحاول أن يطمئنه وأن يستفسر منه عما حدث أثناء انتظارهم لوكيل النيابة؛ أخبره عصام بالأمر وكان كمال قد حضر فقص عليه أيضا ما حدث. دخل عصام وكمال ومحمود إلى وكيل النيابة ولحسن الحظ كان زميلا لمحمود ويعرف كمال بحكم العمل. أخبرهم وكيل النيابة أن موقف عصام لم يتضح بعد لكنه سيكون سيئا إذا كانت بصمات عصام على السّكِينة بجانب القتيل وهنا وجه محمود سؤالا إلى عصام عن السّكِينة فأجابه أنه لم يلمسها. وجه وكيل النيابة بعض الأسئلة إلى عصام ثم قرر سجنه على ذمة التحقيق ولحين وصول تقرير المعمل الجنائي سيتم وضعه في غرفة جانبية قبل ترحيله إلى القسم لتنفيذ السجن الاحتياطي فربما تتغير مدته طبقا لمحتوى تقرير المعمل الجنائي. حاول كمال أن يخرجه بأي ضمانات فرفض وكيل النيابة بحجة أنها جريمة قتل. اتصل محمود بالمقدم خالد لعله يرى جديدا فحضر بعد وقت قصير وجلس مع عصام بعد استئذان النيابة. دخل خالد ومعه محمود إلى عصام في الغرفة الجانبية المعدة لمثل حالته، جلس خالد أمامه وسأله بعض الأسئلة بينما اكتفى محمود بالاستماع:

- احكي لي الموضوع بالتفصيل وعلاقتك بالمجني عليه وماذا حدث بالضبط لحظة وصولك إلى مكان الحادث؟، كن على يقين أننا كلنا و اثقين أنك بريء

- أشكر سيادتك على اهتمامك (بدأ عصام يقص عليه الحكاية من بداية تعرفه على الهمشري في مكتب كمال وماذا واجه من مشكلات في المركز الاجتماعي إلى أن وجد رجال الشرطة يلتفون حوله وهو في حالة ذهول)

- إذن أنت لم تقترب من السّكِينة مطلقا

- لا

- هل تعرف حمو اكشن هذا

- نعم (ثم قص عليه الموقف الذي حدث أمام الأستاذ رفعت)

- هل حدث شيء غريب قبل الحادث بأسبوع مثلا، شيء جديد، شخص رأيته، موقف غير مألوف

صمت عصام قليلا وحاول أن يتذكر ثم قال

- نعم، عاتبتني أمي ظنا منها أنني دخلت بحذائي إلى داخل الشقة ووجدت آثار حذاء متسخة على السجادة؟

- وبالطبع لم تكن أنت أو أحدا من الأسرة قد دخل بحذائه

- لا يوجد غيري أنا وأمي وأختي

نظر خالد إلى محمود الذي سأله

- هل تعتقد أن أحدا دخل الشقة؟

رد خالد وقد رسم ابتسامة مصطنعة على وجهه وقد نظر إلى محمود

- بالتأكيد، لو ربطنا الأحداث ببعضها و آثار حذاء غريب في شقة عصام، فمن الطبيعي أن نستنتج أن يدخل أحدهم إلى شقة عصام ليضع له نقودا مثلا ليكون هناك دافع لدى عصام لقتل الهمشري

أضاف خالد:

- هل حدث شيء آخر؟ أي شيء يبدو صغيرا من الممكن أن يكون له دور كبير في الوصول للحقيقة

- نعم، أخبرتني والدتي و أنا أتسامر معها ذات يوم عندما سألتها عن جارنا الجديد إنها لم تراه إلا مرة واحدة وان شقته مغلقة ويبدو انه اعزب لأنه لم يحضر أثاث معه إلى الشقة.

قال خالد وقد بدا عليه الاهتمام

- ما الغريب في ذلك؟

- الغريب أن هذا الرجل (ثم قص عليه ما دار في ذلك اليوم) وصاح (عندما تذكر شكل السّكِينة) أنها هي نفس السّكِينة أو تشبهها.

- هل أنت متأكد؟

نعم

نظر خالد إلى محمود وقال

- لقد اتضح الأمر الآن، أحدهم أراد التخلص من الهمشري فرتب للجريمة على أن يُتهم عصام فيها، وبما أنه كان يبذل جهدا في حشد أصوات الناخبين وبالفعل ذاع صيته طبقا لما رواه عصام، فالمستفيد من التخلص من الهمشري وعصام في آن واحد هم المنافسين لكي يبدو الأمر سرقة، خططوا لوضع النقود داخل شقة عصام

- ولكنهم لم يضعوا شيئا

لم يكمل عصام كلامه حتى تلقى محمود اتصالا عرف منه شيئا جعله يزداد عبوسا فقال

- يبدو أن كلام سيادتك مضبوطا، لقد أصدرت النيابة أمر بتفتيش منزل عصام. وهناك قوة أمنية من القسم تحركت ووجدت نقودا بمنزل عصام.

قال خالد وقد ظهر عليه الحزن

- هذا شيء متوقع، هل هناك شيئا آخر تراه غريبا قد حدث؟

أضاف عصام بعد أن حاول أن يتذكر

- نعم، (ثم قص عليه عندما وصل إلى المركز الاجتماعي ووجد الهمشري في غير وعيه وما تم هناك ثم مكالمة الهمشري له وتفسيره لما حدث)

- إذن أمامنا ثلاثة أشخاص يجب الوصول إليهم وهم اكشن والجار وعامل البوفيه.

قال محمود

- اكشن هذا موجود

رد عليه خالد متصنعا الابتسامة

- سيختفي حتى انتهاء القضية

- أخشى هذا

ترك خالد ومحمود عصام بعد أن تأكدا أنه أفضى إليهما بكل ما يعلم ويتعلق بالقضية. كانت والدة عصام وأخته وخالته وكمال ينتظرون في الخارج وقد ظهر الحزن الشديد على والدته بينما كانت ياسمين منهارة تبكي وكمال يحاول أن يطمئنهم. سمح لهم وكيل النيابة بالزيارة بشكل استثنائي. دخلوا عليه الغرفة المحتجز بها فوجدوه باسما يطمئنهم، أخذ والدته وأخته وخالته في أحضانه ثم صافح كمال بحرارة وطمئنهم أنها مجرد إجراءات وسيعود اليوم أو غدا إلى البيت بإذن الله، سألته والدته عما حدث فقال لها ذهبت للمركز فوجد حاتم الهمشري مقتولا ثم جاءت الشرطة ثم أخبرته أن الشرطة حضرت وفتشت الشقة ووجدت نقودا فأخبرها أن من خبأها هو صاحب آثار الحذاء الذي شاهدتها على السجادة ولم يلقي بالا إلى الموضوع. أضاف عصام أن وكيل النيابة يثق ببراءته وكذلك المقدم خالد وسوف يساعدوه في البحث عن الحقيقة.

أراد أن يزيد من اطمئنانها فقال وكيل النيابة طمأنني إن موقفي جيد في القضية ولا تهمة موجهة إلى وأنها مجرد إجراءات. كان عصام يحاول أن يطمئنهم بينما يحاول أيضا أن يسيطر على إحساس الرعب الذي يتملكه فقد عرف من حديثه مع خالد ومحمود أن الجريمة مدبرة بإحكام للتخلص من الهمشري وإلصاق التهمة به وما يفعله هو مجرد محاولة لطمأنة والدته وهو متأكد تماما أنها لن تطمئن حتى تراه في أحضانها في البيت. أخبروالدته وأخته أنه ربما يتم استدعاء أي منهما لسؤالها عن أي شيء، ثم طلب من والدته أن تخبرهم عن اثار الحذاء الذي شاهدته على السجادة وعن الجار الغريب الذي مكث في الشقة لمدة يوم واحد وعن آخر مكالمة جاءت له من الهمشري.

طلب عصام من كمال أن يرعاهم في غيابه ثم حاول طمأنة ياسمين التي تملّكها الانهيار والبكاء وان حاولت التماسك قليلا وكانت ترتمي في أحضان خالتها المتماسكة قليلا وكان الدمع يتسرب من بين جفنيها لا يستطيعا منعه، طلب منها أن تتماسك من أجل والدته ولا تتركها بمفردها إطلاقا ثم طلب منها هاتفها وكتب لها رقم دينا وطالبها أن تبلغها بالموضوع وأن تأخذ له إجازة من المدرسة دون أن تذكر أي أسباب تحاشيا للقيل والقال. بعد قليل خرجوا جميعا من النيابة وقبل أن يتحركوا قابلوا الأستاذ رفعت ومشيرة فهرولت مشيرة إلى محمود تستوضح منه الأمر وكذلك فعل الأستاذ رفعت و اتجه إلى خالد الذي أخبره بمختصر المشكلة التي وقع عصام بها ثم طالبه أن يقف بجوار الأسرة ووعده أنه سيحاول إظهار الحقيقة.

استأذن خالد و انصرف وظل محمود وكمال مع الأسرة. عادوا جميعا إلى البيت إلى البيت وظل الحزن يخيم على الجميع. عادوا إلى المنزل وظلت الأم شاردة وهي تحتضن ابنتها وتلقي برأسها على كتف أختها حتى غلبها النوم بعد أن تناولت أدويتها، جلست ياسمين بجوارها وهي ترتدي ملابس الخروج حتى الصباح. وظلت صفية على نفس الحال حتى اليوم التالي، ظل عصام أيضا في الحجرة حتى غلبه النوم جالسا في مكانه.

★★★

٣٤
إحساس مؤلم أن تشعر بعجزك عن إنقاذ من تحب

في صباح اليوم التالي توجه أحد الضباط إلى عصام واصطحبه إلى المديرية ليكمل احتجازه هناك وعندما وخرج من الغرفة وجد محمود في انتظاره يشد من أزره. طمأنه محمود بأنهم لن يهدأو حتى يكشفوا الحقيقة فابتسم له عصام وذهب مع حارسه الذي يضع طرف من القيود الحديدية في يد عصام اليسرى ويضع الآخر في يده اليمنى. شعر محمود أنه عاجزا عن فعل أي شيء و أنه مشتت فذهب على الفور إلى خالد فوجده جالسا في المديرية خلف مكتبه يضع ورقة ويخطط فيها كعادته.

- ماذا سنفعل يا أفندم في قضية عصام

- في الحقيقة، القضية صعبة جدا ولن نتمكن من كشف الحقيقة إلا بالعثور على عامل البوفيه الذي كان يعمل لدى المجني عليه أو الجار الذي ورط عصام في بصمات السكينة

- بالفعل القضية صعبة فليس لدينا أية معلومات عنهما

- أملنا الآن في الله عزوجل أن يوفقنا للوصول إليهما، علينا إجراء تحريات سريعة للوصول إلى عامل البوفيه والجار.

تحرك خالد من خلف مكتبه متجولا في الغرفة ثم استكمل حديثه

- سنقوم بسؤال جميع العاملين لدى الهمشري عن عامل البوفيه و أيضا سؤال صاحب الشقة الذي استأجرها الجار المزيف عن بياناته وقد يكون معه صورة من بطاقته الشخصية، أيضا البصمات مهمة جدا

- حسنا، سأقوم بجميع التحريات بنفسي، الوقت يمروعلمت أن عصام قد تجدد له خمسة عشر يوما على ذمة القضية

- لا تقلق، فقد تحدثت مع المسئولين وهو الآن يقيم في حجرة خاصة كإجراء استثنائي

- أشكر سيادتك، عصام لا يستحق ما يجرى له

- تأكد يا محمود أن الله لا يقدر لنا إلا خيرا

- صدقت يا أفندم.

خرجا سويا من المكتب إلى الممر ثم اتجه محمود إلى مكتبه، بينما أخرج خالد الهاتف وقال بعد انتظار رد الطرف الآخر الخطة تسير حسب المطلوب يا أفندم

في غرفة داخل قسم الشرطة، جلس الأستاذ رفعت بعد أن استأذن لزيارته وبدأ يحدثه بابتسامة هادئة وعصام ينظر إليه بنفس الابتسامة بعد أن صافحه، بدأ الأستاذ رفعت حديثة قائلا

- كن مقتنعا بجملة أن الدعاء يغير القدر، وهذا يجعلك تدعوا الله و أنت على يقين أن الله لن يخذلك وسوف يستجيب لك حتى لو بعد حين. سيرسل الله لك دليل يوضح لك أن تسير على الخطى الصحيحة، وان الطريق نهايته جبر، أن الجهد الذي بذلته لن يذهب هباء، وان الحق سيعود وستراه بعينيك، وان الأحلام ستبقى ملموسة، وان الصبر نتيجته خير، وان الأمور المفتوحة المتعلقة آخرها حسم، وهذا الدليل لا ينتقص من الثقة في رحمة الله، ولا اليقين في عدله، لكن لكي يطمئن قلبك.

- أين هذا الدليل؟

- ألم تراه حتى الآن، لقد وقعت في مشكلة، انظر من يقف بجانبك، سجّانه هو من يوفر لك الراحة، هو من يبحث عن دليل براءتك هذا اختبار من الله لك فكن عند حسن ظن الله بك

- الحمد لله على كل حال

- ادعوا الله، لا تتوقف عن الدعاء، ألا تعلم أن سيدنا نوح أغرق الأرض كلها بدعاء من ثلاث كلمات أنّي مغلوبٌ فانتصرْ. وامتلك سيدنا سليمان الأرض كلها بدعاء من ثلاث كلمات وهَبْ لي مُلكاً، لا تحتاج إلى الكثير من الكلمات، لتُحدث الأثر والتأثير، بل تحتاج إلى اليقين أن الله لن يتركك.

- بارك الله فيك أستاذي العزيز، لقد نزلت كلماتك على قلبي كالنسمات الباردة في نهار صيف حار.

- إنّ اللهُ لا يضعُ ثماراً على غصنٍ ضعيفٍ لا يقدِرُ على حملها، ما دام حَمَلَك شيئاً فلأنه يعلم أنك تستطيع. لا يُكَلِّف الله نفساً إلا وسعها.

انصبّت كلمات رفعت الرقيقة على روحه المتخمة بالرتابة والضيق كقطرات الندى على ورقة شجر جافة، فهدأ قلبه عن خفقانه وبدأت ابتسامته تبدوا نابعة من قلبه وليس كما يتصنع. ظل باسما شاردا يترقب لحظاته القادمة في صباح اليوم التالي، نهضت والدة عصام وهي تتهادى في مشيتها تعبا وقد اعتادت أن تستند إلى عصام فنادت عليه وهنا ترقرقت الدموع في عينيها ثم لاحظت قدوم ياسمين فتصنعت الابتسامة فقالت على الفور وما زالت الابتسامة مرسومة على شفتيها

- هيا يا ياسمين، أيقظي خالتك وجهزي بعض الطعام لأخيك، لقد اتصل بي المقدم خالد وقال إنه من الممكن زيارة عصام وهو ما زال في نفس مكانه بغرفة داخل القسم

- حسنا يا أمي، أن دينا أيضا تريد أن تزوره

- دينا زميلته في المدرسة؟

- نعم، وقد طمأنتني أنها طلبت إجازة طويلة لعصام لظروف طارئة وقد و افق المدير على الإجازة. هل قال لك عصام شيئا عنها؟

- وهل يُخفي عصام عني شيئا، مثلك بالضبط، لقد حرصت على أن أكون

أقرب الناس إليكما وقد تم بفضل الله

- أنت أم عظيمة بمعنى الكلمة

- توقفي عن الثرثرة وهيا جهزي الطعام لأخيك و اتصلي بها لتأتي نذهب معا أو تسبقنا أن أرادت

- سيذهب لها كمال ليحضرها بسيارته ويأتي يصطحبنا

ثم نظرت إلى الهاتف وأضافت

- يقول إنه سيكون هنا بعد أقل من نصف ساعة

- حسنا، هيا نعد لأخيك الطعام

شعرت ياسمين ببعض الدهشة من حال والدتها، فلا يبدو عليها ذلك الحزن الشديد على عكس لحظة تلقيها الخبر، عساها استعادت رباطة جأشها، يا لها من من أم صلبة قوية تظهر عكس ما تُبطن، بل وترسم البسمة على شفتيها وتبدو غير قلقة. لم تُلقي بالا لهمساتها ثم استغرقت في تجهيز الطعام. وصلوا جميعا إلى القسم، وكان كل شيء ميسرا لهم لزيارة عصام مما أثار حفيظة دينا وتمتمت أينما حللت تيسرت أحوالي، حتى وإن ذكرتك خلسة في بالي.

استقبلهم عصام بابتسامة ثم جلسوا يتسامرون ويطمئنون عليه ثم قالت له والدته

- يا بني، مررأمانيك لرب السماء، فلن تجد أرحم منه بك، اطمئن وكن على يقين أن خالقك لم ولن ينساك

- دائما يا أمي ادعوا الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولكن ألوم نفسي كثيرا لأنني لم انتبه إلى مكيدة هذا الرجل الذي تصنع أنه جار جديد، كيف لم انتبه أنها مكيدة

قالت دينا على الفوروهي تقترب منه بعد أن كانت تجلس بعيدة عنه قليلا

- لا تلوم نفسك، أنت تجد سعادتك في مساعدة من حولك، ومن المؤكد أن الله لن يخذلك، حتى وإن بدت لك الأقدار مؤلمة، ثق أن في ثناياها رحمة من ربك.

قالت والدته وقد أظهرت سعادتها بكلمات دينا التي أطربتها

- لا فُض فوك يا ابنتي، أحسنتي

أحمر وجه دينا خجلا من ثناء حماة المستقبل عليها

ابتسم عصام ثم نظر إليها وقال

- ما حدث غريبا في حد ذاته وفي توقيته أيضا، أمامي حلم أريد تحقيقه و أنا على وشك أن يكتمل بالفعل

قال كمال وقد لاحظ الكآبة في كلام عصام

- إذا أراد الله أن يجمعك بحلمك، سيجمعك به ولو كان بينك وبينه عرض السماوات والأرض.

وأضافت والدته

- صدقت يا بني

انتهوا إلى طرقات الباب ليخبرهم الحارس أن زيارتهم قد انتهى موعدها وعليهم المغادرة. انصرفوا وظل عصام وحيدا بجسده أما روحه فظلت متعلقة بمن رحلوا منذ قليل.

★★★

٣٥
حتى وإن بدت لك الأقدار مؤطة ثق أن في ثناياها رحمة من ربك

مر أسبوعا على هذه الواقعة، وعصام يقيم في غرفة داخل المديرية كإجراء استثنائي، كانت غرفته كغرفة فندقية ينقصها النوافذ المفتوحة وقد وفر له خالد كل شيء تقريبا حتى أقلامه وأوراقه، كان عصام يقضي وقته بين قراءة القرآن والصلاة وتدوين بعض أفكاره وكذلك في قراءة بعض الكتب التي أحضرتها له ياسمين بناء على طلبه وكانت الزيارات لا تنقطع يوميا بتوصية من خالد ووكيل النيابة حتى كان محمود يمازحه أن خالد يهتم به أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر.

وفجأة وجد عصام خالد يحضر إليه مبتسما ويعتذر له عن هذه المدة التي قضاها منفردا واصطحبه خارج المديرية، أراد عصام أن يفهم ولكن خالد قال له:

- لا تتعجل سأوضح لك كل شيء بالمنزل، فالجميع ينتظرنا؟

ظل عصام مصابا بالدهشة والحيرة وخالد يأبى أن يوضح له الأمر إلا في المنزل، وفي المنزل اجتمعوا جميعا بناء على ترتيب من خالد، جلسوا جميعا يتهامسون، وكان الجميع يتهامس، مشيرة ومحمود وكمال والأستاذ رفعت بالإضافة إلى دينا وياسمين ووالدة عصام وخالته. حضر خالد ومعه عصام وبين فرحة غامرة ودهشة مفرطة وأسئلة تنتظر إجابة اتجه الجميع إلى عصام بالتهنئة بينما اتجه هو إلى والدته وارتمى في أحضانها، ثم عانق ياسمين وخالته وعانقت عيناه عيني دينا قبل أن يتجه إليها ليحتضنها بمشاعره. اتجه

خالد إلى منتصف الصالة ورفع صوته بدعوة الجميع إلى الانتباه.
جلس خالد على كرسي الصالون ويقابله الحشد على الأرائك المقابلة ثم قال:
أرجو أن تنتبهوا لي جميعا فيما سأقص عليكم، بدأت الحكاية من صفقة أجهزة كمبيوتر باعتها مشيرة بالخطأ لرجل أعمال يجهز شركته.

***

فلاش باك
صالة استقبال كبيرة بها مكتب استقبال في بداية الصالة من ناحية الدخول، السكرتيرة منهمكة في كتابة شيء على جهازكمبيوتر.
يخرج أحد الأشخاص وهو شاب عشريني الهيئة، من غرفة داخلية و اتجه نحو السكرتيرة ثم سألها
- غادة، أين أستاذ شوقي؟
ذهب للسيارة لإحضار بعض الأوراق، (نظرت ناحية الباب وقالت) ها هو
يدخل رجل أربعيني الهيئة يميزه غزو الشعر الأبيض لمعظم رأسه ويتجه نحوهما ثم يوجه كلامه إلى الشاب
- خيرا يا مراد؟
- وجدت شيئا غريبا في أجهزة الكمبيوترو أفضل أن تراه بنفسك
- شيء غريب! ؟
اتجه شوقي إلى داخل الغرفة مسرعا وتبعه مراد
تمتمت السكرتيرة ماذا وجد؟ ثعبان مثلا! ! هل أذهب لأرى؟ لا، لا علاقة لي بالأمر
دخل شوقي إلى الغرفة فوجد أحد الأجهزة مفتوح والقرص الصلب الهارد ديسك مفتوح أيضا
- ما هذا يا مراد

- بينما أجرب الأجهزة، وجدتها لا تعمل، ظننت أن هناك مشكلة فحاولت فتح أحد الأجهزة للاطمئنان على مكوناتها فرأيت قرص صغير يسقط من الهارد ديسك، لاحظت أن الهارد ديسك غير محكم الإغلاق فقمت بفتحه أيضا فوجدته مبطن من الداخل بهذه المادة وبداخلها هذه الحبوب

- حسنا، افتح باقي الأجهزة للتأكد

***

خالد يتحدث مرة أخرى اليهم

وجد العميل أن الأجهزة كلها تحتوي على أقراص صغيرة بداخلها فاتصل بأحد أصدقائه في الشرطة وعلى الفورذهب بعض أفراد الشرطة إلى الشركة ومعهم مختصين من المعمل الجنائي، تم فحص المادة واكتشفنا الكارثة. الأقراص بها مادة تحفز إفراز أربعة هرمونات مسئولة عن تحديد مستوى سعادة الإنسان، وهم الاندورفين والدوبامين والسيروتينين والاوكسيتوسين وبالطبع الإفراط في إفرازها يؤدي لتدمير الخلايا العصبية ومن الممكن أن يؤدي للشلل أو ربما للموت وربما لها أعراض أخرى لا نعرفها حتى الآن. وضعنا خطة محكمة وطلبنا من صاحب الشركة والمهندس عدم إذاعة الخبر وطلبنا من صاحب الشركة أن يقوم بإعادة الأجهزة مرة أخرى إلى الشركة التي اشترى منها الأجهزة وكانت شركة شركة العامري للكمبيوتر

صاح محمود

- شركة الحاج إبراهيم الذي قُتل

- نعم هو، كان إبراهيم العامري غير موجود في الشركة بسبب سفره وقت إتمام الصفقة وكانت مشيرة تظن أنها عملت إنجازا ولما عاد إلى الشركة بعد يومين وعلم بالأمر هاج وماج ولم يوبخ مشيرة بل وبخ الجميع عدا هي مما لفت نظرنا حيث كانت المقابلة مسجلة صوتا وصورة لأننا تعمدنا أن يُرجع

العميل الأجهزة في نفس توقيت عودة إبراهيم ووضعنا أجهزة للمر اقبة داخل الشركة، وبالطبع كنا قد أجرينا تحرياتنا وعلمنا موعد عودته. رحب إبراهيم بإعادة الأجهزة وإعادة النقود إلى العميل الذي رفض أخذ أجهزة أخرى وقام بدوره الذي رسمناه له ولم يشك إبراهيم أن أمره قد اكتشف. لكن يبدو أن جابر كان قد شك في الموضوع وبالطبع ذهب لمقر العميل وتحرى عن الموضوع بطريقته وعلم أن الشرطة قد حضرت إلى الشركة وخرجوا بالأجهزة وهذه غلطة كبيرة ارتكبناها ولكن وقع المحظور ولا جدوى من البكاء على اللبن المسكوب. قررنا مهاجمة الشركة وإلقاء القبض على إبراهيم بعد أن علمنا أن جابر كشف الخطة الأولى ولكنه سبقنا بخطوة وقتل إبراهيم

قال عصام:

- هذا يعني أن جابر قتل إبراهيم لهذا السبب وليس بسبب الهوس الشبقي

رد خالد مبتسما:

- بالضبط، من تحرياتنا علمنا أن العمارة الخلفية هي ملك إبراهيم أيضا وتركها هكذا لتكون طريق سري لدخول وخروج العمال ليلا لإخراج الحبوب من الأجهزة وتعبئتها وتغليفها، وكانت أيضا الطريقة التي دخل بها جابر إلى العمارة ووصل إلى شقة إبراهيم وقتله وخرج من نفس المكان وبنفس الطريقة من السطح إلى العمارة الخلفية إلى الشارع. حينما تلقيت خبر قتل إبراهيم أسرعت إلى العمارة الخلفية فوجدت جابر ملقى على الأرض ويبدو أن حالة الصرع التي كان مصاب بها قد داهمته أثناء الهروب بعد قتل إبراهيم. أخذت اللاب توب وأعطيته حقنة مخدر احتفظ بها دوما في السيارة لمثل هذه الظروف حتى لا يستيقظ لحين حضور المختصين، وبالفعل حضروا ونسخوا البيانات من اللاب توب والهاتف المحمول، ثم تركته وعدت إلى مكتبي وتركت مر اقبة عليه لتتبعه.

قال محمود وهو يبتسم بسخرية:

- وبالطبع في هذا التوقيت كنت أنا في شقة إبراهيم لمعاينة الجثة وكتابة التقرير، لماذا لم تبلغني سيادتك بهذه التفاصيل؟

- ستعرف من التفاصيل القادمة،

قاطعه عصام:

- لماذا إذا تم اصطناع موضوع الهوس الشبقي ومرض الجاني وما أهمية الكلمة التي كتبها الجاني بدم القتيل؟

- بالفعل جابر مصاب بأمراض نفسية كثيرة ومعقدة وكان مصابا بهذا الهوس وأكثر واستغلته العصابة لتحقيق أهداف كثيرة مستغلة هذا الشخص المريض. وما اكتشفناه أنه كان يعالج بمستشفى للأمراض النفسية يمتلكها الدكتور أحمد مصطفى مصيلحي

قال محمود متعجبا

- والد الرائد طارق؟

بالضبط، ولهذا السبب قمت بزيارته لأخذ رأيه في موضوع الأمراض النفسية وعلاقتها بارتكاب الجرائم وبالفعل استفدت كثيرا؟

ظهرت الحيرة على وجه محمود وقال:

- هل قمت بزيارته لأنه والد طارق أم لان جابر كان عنده بالمستشفى أم لسؤاله عن الأمراض النفسية

- لا، ليس لأي سبب من هذه الأسماء و إنما لسبب آخر

***

فلاش باك

خالد جالسا أما الدكتور أحمد في مكتبه بعد تناولوا الغداء، ارتفع رنين هاتف الطبيب فأخذه بعيدا ليتحدث فيه، نظر خالد بحرص في أرجاء المكان

باحثا عن أي كاميرات مر اقبة، بالفعل وجد إحدى هذه الكاميرات مخبأة بين الكتب الكثيرة المتراصة في مكتبة ضخمة وفخمة تضم مراجع طبية كثيرة. كان هناك خادم يحمل فنجان قهوة للطبيب وشاي لخالد وعصير لطارق. تظاهر خالد بالعطس أثناء اقتراب الخادم فاصطدم به فسقطت القهوة و أثناء ذلك تظاهر خالد بمساعدة الخادم ووضع مسجل صوت صغير جدا (ميكروفون) أسفل المنضدة الصغيرة الموضوعة أمام المكتب ثم اخرج منديلا يريد أن ينظف مكان القهوة و اقترب من أسفل المكتب ووضع ميكروفون آخر. تأسف الخادم وذهب لإحضار قهوة أخرى. حضر طارق مسرعا

- عذرا يا طارق أنني تسببت في هذا اللغط

- لا عليك

ابتسم خالد والتقط الشاي وقال:

- لقد سقطت القهوة الخاصة بالدكتور أما الشاي والعصير فلم يتأثرا، أظن أن الدكتور سيتهمني أنني قصدت سكب قهوته هو فقط

ضحك طارق ودعاه للجلوس على أريكة جانبية أكثر راحة لحين انتهاء الدكتور من مكالمته الدولية و أثناء ذلك اقترب خالد من الأريكة وجلس طارق بجواره. التقط خالد جهاز الميكروفون من جيب سترته ووضعه في يده ثم وضعه بطريقة سريعة بين ثنايا الأريكة عند التقاء حو افها.

ظلا هكذا يتحدثان فترة ثم استأذن لينصرف ولكن الدكتور أنهى المكالمة وعاد إليهم وتحدثوا قليلا ثم قام خالد وصافحه و انصرف ومعه طارق يصحبه حتى باب الفيلا، قال خالد:

- لقد نسيت المفاتيح، مفاتيح السيارة

وكان قد تجاوز الحديقة فقال لطارق

- يبدوا أنني نسيتها إما في المكتب أو على المنضدة في الحديقة، عذرا أرسل

الخادم ليبحث عنها بالداخل وسأبحث عنها في الحديقة مكان جلوسنا في بداية الزيارة.

- حسنا، سأذهب لأبحث عنها بالداخل و ابحث عنها أنت في الحديقة

اتجه خالد مباشرة إلى الحديقة وتفحص حوله من جميع الاتجاهات ثم وضع ميكروفونا أسفل المائدة وكذلك أسفل كرسي مميز يبدوا أنه كرسي الدكتور.

انتهى خالد من مهمته ثم انصرف وهو يودعهم بابتسامة.

***

صاح محمود

- عجبا، هل كنت تشك في الدكتور أحمد، هل تشك أن له يد في الموضوع وذهبت لفيلته لزرع ميكروفونات في مكتبه؟

- ليس شكا بل كان يقينا بعد الاطلاع على البيانات التي كانت في اللاب توب والهاتف المحمول التي حصلت عليهما عندما كان جابر مخدرا في العمارة الخلفية، كذلك كان الدكتور أحمد على علم بحب جابر لمشيرة، فاقنع جابر أن إبراهيم سيتزوج مشيرة ويحرمه منها و أنه يجب أن يتخلص منه.

***

فلاش باك

نزل خالد من سياراته مسرعا أمام العمارة الخلفية، أخرج مسدسه من سترته ثم صعد إلى العمارة بحذر حتى صعد إلى الدور الثالث فسمع أنينا، ظل يتقدم بحذر حتى اختفى الصوت ووجد جابر ملقى على الأرض في إحدى الغرف الخالية وبجواره اللاب توب والتليفون المحمول، فاقترب بحذر واخرج حقنة مخدرة يحتفظ بها ودفعها في كتفه. اخرج خالد هاتفه ثم أجرى اتصالا و انتظر صوت الطرف الآخر وقال:

- سعيد، أريدك على وجه السرعة في العنوان الذي سأرسل لك تفاصيله من

خلال الهاتف، هنا جهاز لاب توب وهاتف محمول عليهما معلومات شديدة الأهمية لقضية كبرى وأريد أن انسخها، توقع أن تجد عليها كلمات سر

انتظر صوت الطرف الآخر ثم أضاف

- حسنا، أريدك هنا بعد أقل من ساعة

اغلق الهاتف و انتظر بجوار جابر بعد الدقائق حتى وصل المتخصص. صافح الرجل خالد بحرارة ثم نظر إلى جابر النائم بلا حراك ولم يُبدى ردة فعل من جراء تعوده على هذا المشهد ثم افترش الأرض وبدأ يقوم بعمله في نسخ معلومات الأجهزة، ظل خالد ينظر في ساعته ثم ينظر إلى المتخصص وهو يعمل ثم قال

- أسرع يا سعيد، اقترب مفعول المخدر أن ينتهي، إذا عاد إلى وعيه سنصبح في ورطة.

قال الرجل ولم يرفع عينيه عن عمله

- لا تقلق يا أفندم، دقائق وينتهي الأمر.

بالفعل ما هي إلا دقائق و ابتسم الرجل وقد استطاع فك شفرة اللاب توب والهاتف المحمول. ابتسم خالد على إثره ثم نظر في ساعته. انتهى الرجل من عمله ثم أعطى خالد فلاشة وقال

- هذه فلاشة عليها جميع المعلومات الموجودة باللاب توب والهاتف المحمول

- عظيم، أشكرك على مجهودك

أخذ خالد الفلاشة واحتفظ بها في جيب سترته ثم وضع اللاب توب والهاتف في نفس المكان الذي وجدهما فيه ثم اصطحب الرجل وغادر المكان

***

عدنا إلى خالد وكان يستكمل حديثه:

عرفنا معلومات مهمة للغاية ومنها أن الدكتور متورط، بل هو أهم فرد في

العملية لأنه هو مكتشف المادة التي صنعت منها هذه الحبوب. بعد الحصول على اللاب توب والموبايل ونسخ بياناته وفحصها وجدنا رقم الدكتور أحمد. كانت صدمة لنا في البداية ولكن بعد إجراء تحريات دقيقة والاستماع إلى الميكروفونات التي تم زرعها في فيلا الدكتور اكتشفنا الحقيقة واستصدار إذن النيابة وعلمنا بالتفاصيل التالية من تفريغ كاميرات المر اقبة في الفيلا ومشاهدة مقاطع فيديو المسجلة بواسطة تلك الكاميرات وكان الدكتور محتفظا بها على جهاز كمبيوتر داخلي.

***

فلاش باك

الدكتور أحمد يجري اختبارات في معمله بالفيلا ويصل إلى تكوين سائل كيميائي، كان جابر فاقد الوعي فوق سرير، قام الدكتور بإعطاء حقنة من هذا السائل ثم انتظر ثو اني وأعطاه حقنة إفاقة وكان يتواجد أحد الأطباء ويبدو عليه أنه أجنبي وجرت بينهما محادثة باللغة العربية

- هذا الشخص هنا لتجربة ابتكاري عليه وهو لا يعلم أنها تجربة، لقد أخبرته أن هذا دواء من أمريكا وأعطيته حقنة المخدر على أنه الدواء. الان أعطيته حقنة من السائل ثم حقنة آفاقه وسوف يخبرنا ما يشعر به لمعرفة المزيد

- عظيم يا دكتور، سوف نحاول الوصول إلى اسم للابتكار الجديد، سيصبح ثورة كبيرة جدا في عالم الطب أن صدق ما كتبته في تقاريرك عن أعراضه.

- سوف نرى

بدأ جابر يعود إلى وعيه تدريجيا، بدأ يأخذ نفسا عميقا من فمه ثم ابتسم، بدأ الدكتور أحمد يسأله

- ماذا تشعر الآن يا جابر ولماذا تأخذ نفسا عميقا من فمك

بدء الطبيب الأجنبي يدون ملاحظاته في مفكرة صغيرة في يده، قال جابر

- أشعر أنني أرى دنيا غريبة، لا أشعر إلا بهواء بارد يتخلل جسمي كله، شعور لذيذ جدا، تغمرني السعادة ولا أعرف سببها، لا أريد أن ينتهي هذا الشعور، الدنيا بلون الورود وطعم جديد ينساب إلى داخلي، هل في هذا الدواء مادة النعناع

ضحك الدكتور أحمد ثم قال

- بالفعل يا جابر، هذا الدواء به مادة المنتول التي تجدها في أوراق النعناع، لكن كيف تشعر بهواء بارد والغرفة مغلقة

- لا أعرف

- هل هذا الإحساس نتيجة تأثير المنتول الذي في فمك

لا، أنا أعرف ما تعنيه، المنتول يعطيني إحساس لحظي ببرودة الهواء، أما ما أشعر به فهو برودة مستمرة، تيار بارد يتخللني ويخترق ملابسي ومسام جلدي إلى كل نقطة في جسدي أنه شعور جميل.

قال الطبيب الأجنبي

- هل تعني أنك تتنفس هواء بارد ينساب إلى عقلك فيشعرك بلذة ويسيطر عليك شعور جديد

- نعم، كيف عرفت ما أشعر به، أنه وصف دقيق

اتجه الطبيب الأجنبي إلى الدكتور أحمد بالحديث

- اقترح أن نطلق عليه اسم **cool breaths**

- رائع يا دكتور وبالعربية تعني أنفاس باردة

- وستقوم منظمتنا بإنتاج هذا السائل السحري ولكن عليك الحضور إلى أمريكا لمقابلة مستر جون ومناقشة التفاصيل معه

- حسنا سأفعل بالتأكيد

انتهى حديثهم ثم نظروا إلى جابر الذي بدا باسما وقد ترك السرير وأخذ يجوب

الغرفة في سعادة وهو يضحك. قال له الدكتور أحمد

- بماذا تشعر أيضا يا جابر

- أشعر كأنني أريد أن أرقص، أن أحضن كل من يقابلني، أريد أن اِقْبَلْ الحياة، أن أمشي و أنطلق. تغمرني سعادة لا توصف، أريد أن أضحك، لا أذكر أنني حزنت في حياتي من قبل.

- إذن سنقوم بعمل بعض التحاليل و أتركك لتنطلق

***

عدنا إلى خالد وكان يستطرد

- بعد أن تأكدوا من أعراضه، سافر الطبيب الأجنبي إلى الخارج ومعه السائل السحري هذا وتبعه الدكتور أحمد. تم إنتاج أقراص صغيرة منه وهنا توقفوا للبحث عن وسيلة لدخول هذا المخدر إلى مصر وتدمير أطفالنا وشبابنا. كانت للدكتور أحمد علاقة قوية بالهمشري وكان يجابر من حزب واحد وبينهم مشروعات مشتركة. قام الهمشري بتقديم عدد من أصحاب شركات استيراد الكمبيوتر إلى الدكتور كوسيلة جديدة لدخول الأقراص إلى البلد دون أن يشك أحدا في ذلك. سافر الدكتور إلى الولايات المتحدة لمناقشة التفاصيل مع مستر جون وهو مسئول المنظمة التي يتبعها الطبيب الأجنبي ويتعامل معها الدكتور أحمد ليخبرهم بما توصلوا إليه، ولاقى هذا ترحيبا كبيرا منهم. أنشأت المنظمة شركة كمبيوتر كبيرة حقيقة، ليبدوا الأمر طبيعيا دون إثارة أي شك حول نشاطها. وصل عدد الشركات التي تتعامل مع المنظمة بنفس طريقة شركة العامري إلى خمسة عشر شركة وكانوا في طريقهم للزيادة.

قال عصام مقاطعا خالد

- هل كانت شركات الكمبيوتر متمركزة في المناطق الشعبية؟

- بالطبع لأنها أكثر كثافة و أقل وعيا، ولكن كان لهم هدف يسعون إليه وهو

تقديم هذه المادة بشكل جديد غير الأقراص ونشرها في المناطق الر اقية. كانوا يخططون إلى إضافتها إلى الشيكولاتة والعصائر مما يزيد من انتشارها وصعوبة محاصرتها ولكن الحمد الله تم اكتشاف الكارثة قبل أن تحدث.

خرج الأستاذ رفعت عن صمته وقال

- اذن كانت الأقراص تُعبأ في الأقراص الصلبة (الهارد ديسك) لأجهزة الكمبيوتر في الخارج وتدخل إلى البلد وتستلمها الشركات وتقوم بإخراج الأقراص وتعبئتها في شر ائط الدواء

- تماما، هذا هو السيناريو الذي كان يتم بالضبط

-بعد أن علم جابر أن إبراهيم قد كُشف أمره، أبلغ الدكتور أحمد الذي أعطاه الأمر بقتله ولكن هذا أثار غضب الهمشري لأن ذلك حدث دون مشورته ولكن الدكتور احتوى الهمشري.

قال محمود فجأة

- هل كان الر ائد طارق علي علم بكل هذا؟

- نعم، وللأسف كان يسهل لهم إجراءات الجمارك وكان ينقل لوالده الدكتور أحمد كافة التفاصيل الخاصة بالتحريات حول القضية. لذلك أردنا تحريك الموضوع وإرباك العصابة فمررنا معلومات إلى طارق أن الهمشري قد فُضح أمره وسيتم القبض عليه، أكل طارق اَلطُّعْم و أبلغ الدكتور الذي أعطى أوامره بالتخلص من الهمشري. اتفق طارق مع أحد المنافسين في الانتخابات بتمويل صفقات الكمبيوتر بدل الهمشري، بالطبع لم يفصح له عن التفاصيل الحقيقية، على أن يخلصه من الهمشري، و افق المنافس واستعدوا لعمل خطة لقتله. كان حمو اكشن أحد منافذ توزيع الأقراص وأداة للقتل في نفس الوقت، وعندما لجئوا إليه لتنفيذ الخطة اقترح عليهم إلصاق الجريمة بعصام للتخلص منه لأنه يحُس الناس على العناية بأولادهم ورعايتهم وهذا

يقلل من فرصة انتشار أقراص السعادة أو أنفاس باردة كما أطلقوا عليها. و افقوا على الخطة خاصة أنها تبعد الشبهة عن منافس الانتخابات. ظهر الجار المزيف وعامل البوفيه وعند التنفيذ تم الآتي

***

فلاش باك

أحد الأشخاص يقترب من الهمشري وهو جالس خلف مكتبه، وكان منهمك في بعض الأوراق، رفع رأسه ليري حمو اكشن

- حمو، ماذا أتى بك؟ ألا تعلم أن علاقتنا لابد أن تظل سرا؟

- بالفعل ستظل للأبد سرا

صاح الهمشري عندما لاحظ أنه يرتدي قفازوبيده سكين، وقف ثم تحرك ناحية اليسار ثم تعثر والتصق بالحائط، بينما تقدم حمو منه من ناحية اليمين و انقض عليه حين تعثر ورفع السكين لأعلى

- ماذا ستفعل، هل قرروا التخلص مني؟

-بالتأكيد طالما انكشف أمرك، سامحني يا.....

وهنا ظهرت الشرطة وكان خالد معهم وألقت القبض علي حمو والهمشري. صاح أحدهم إلى خالد

- عصام قادم يا أفندم

أخرج خالد حقنة مخدرة ودفعها من الخلف في كتف الهمشري الذي سقط أرضا، أحضر أحد الضباط كيس مملوء بالدم وسكبه فوق الهمشري الملقى على الأرض، اختفى رجال الشرطة في غرفة جانبية، وصل عصام إلى المركز الاجتماعي ثم دخل غرفة مكتب الهمشري فوجده ملقى على الأرض وقبل أن يتحرك من مكانه كانت الشرطة تلتف حوله وتقيد حركته.

***

عُدنا إلى خالد:

وتعلمون باقي التفاصيل التي مر بها عصام، اما عن العصابة فقد اعترف الهمشري بكافة التفاصيل وكذلك اعترف حمو أكشن الذي أرشد عن الجار المزيف واعترف أنه من وضع الخطة لإلصاق الجريمة بعصام وقد أخذها من أحد الأفلام الأجنبية التي كان يشاهدها. اعترف الهمشري بأسماء شركات الكمبيوتر الأخرى التي تشترك معهم في الجريمة ولكن الكل اجمع أن الطرف الوحيد الذي يعرف المنظمة بالخارج ويتعامل معها مباشرة هو الدكتور أحمد. قامت الشرطة بمداهمة فيلا الدكتور أحمد ومصادرة جهاز اللاب توب الخاص به ووجدنا كافة البيانات التي نحتاجها.

نظر خالد إلى محمود ثم توجه إليه بالحديث مبتسما:

- بالطبع يا محمود لم أخبرك بهذه التفاصيل لان طارق كان يتقرب منك لمعرفة الأخبار ولو كنت تعلم هذه التفاصيل لظهر ذلك عليك، و أتوقع أنك تتذكر الآن أنه سألك كثيرا عن تفاصيل القضية ولم تشك في الأمر لأنه زميل ولم يتوقع أحد أنه يستغل وظيفته لمثل هذه الأعمال المشينة.

رد محمود وقد ظهر عليه التأثر:

- بالفعل كان يُلح علي في السؤال لمعرفة بعض التفاصيل ولم يخطر ببالي هذا الأمر

أضاف خالد وهو يبتسم وقد توجه بالحديث إلى عصام

- ولم تكن والدتك لتطمئن وتراها هادئة لولا أنني أخبرتها بان اختلاق جريمة القتل جزء من خطة كبرى و أنك بريء من قتل الهمشري، ولم تهدأ حتى أقسمت لها أن الهمشري لم يمت.

نظر عصام إلى والدته مبتسما ولكن ياسمين صاحت لتعاتبها

- حقا يا أمي كنتِ تعلمين كل هذا ولم تخبريني، ولكن متى حدث ذلك؟

- أتذكرين يوم تلقي خبر احتجاز عصام في قسم الشرطة، يومها قمت بالاتصال بوالدتك وطمأنتها وطلبت منها أن تتظاهر كان الأمر حقيقي ألا يبدوا عليها إلا أن ابنها في خطر وحذرتها أن عكس ذلك ربما يضر به

ظلت ياسمين شاردة لبعض الوقت وتذكرت ذلك اليوم الذي تعجبت فيه من هدوء والدتها. نظر خالد إلى محمود مرة أخرى وقال

- كان طارق قد وضع مسجل صوت دقيق جدا (ميكروفون) وحديث في مكتبي ليتابع تفاصيل القضية ويكون على علم بكل جديد

***

فلاش باك

كان خالد يجلس في سيارته ويمسك بهاتفه المحمول وينظر فيه ويبتسم بينما تظهر صورة طارق وهو يدخل مكتب خالد ويضع ميكروفون أسفل الأباجورة أعلى مكتب خالد ثم يتجه إلى أريكة في أحد أركان حجرة المكتب ويضع ميكروفون آخر أسفلها ويبتسم ثم يغادر المكتب.

***

عدنا إلى خالد وهو يتحدث أمام الجميع وهو يصغون إليه

اتجه خالد بالحديث إلى محمود

- ولذلك طلبت منك ذات مرة أن تكمل حديثك مع أحد الضيوف في مكتبك

نظر محمود إليه وهو يبتسم ثم تمتم

- فهمت

تذكر محمود عندما جاءت مشيرة إليه في المديرية وحينما استأذن خالد ليخرج ويتركهما وقبل أن يفعل اقترب من محمود وطلب منه أن يكمل حديثة مع مشيرة في مكتبه وفسر له الأمر فيما بعد بأنه كان يريد أن يطلع على بعض أوراقه في مكتبه.

انتبه محمود من شروده على صوت خالد وهو يقول
- والآن وأمامكم اعتذر لعصام عن كل ما أصابه في هذه القضية ولولا عناية الله لما وُفقنا إلى كشف الجريمة في مهدها قبل أن يُقتل الهمشري ويُتهم فيها عصام وكذلك قبل أن تنجح العصابة في نشر المخدر في الأسواق.
شكر عصام خالد على مجهوده الكبير في القضية وما تحمله من عناء لكشف العصابة ومعه شخصيا لإنقاذه من ذلك الفخ الذي كان مُعد له.
تجاذب الحاضرون أطراف الحديث ثم استأذن خالد للانصراف وتوجه عصام ومحمود للأستاذ رفعت لطلب يد مشيرة لمحمود و أبدى الأستاذ رفعت مو افقته على أن يحضر محمود مع أهله لإتمام الخطبة رسميا بينما لاحظ عصام أن والدته تتحدث مع دينا وهي تبتسم. همس كمال إلى عصام في إذنية وبعدها توجه عصام إلى والدته يخبرها بنية كمال خطبة ياسمين وقرروا أن تتم خطبة الجميع في يوم واحد.

★★★

تم
بحمد الله

فهرس

١ ..... ٥
٢ ..... ١٠
٣ ..... ١٦
٤ ..... ٢٠
٥ ..... ٢٤
٦ ..... ٢٨
٧ ..... ٣١
٨ ..... ٣٦
٩ ..... ٤١
١٠ ..... ٤٧
١١ ..... ٥٤
١٢ ..... ٥٩
١٣ ..... ٦٤
١٤ ..... ٦٨
١٥ ..... ٧٤
١٦ ..... ٨١
١٧ ..... ٨٧
١٨ ..... ٩٢
١٩ ..... ٩٤
٢٠ ..... ١٠٢
٢١ ..... ١٠٧
٢٢ ..... ١١٥
٢٣ ..... ١١٨
٢٤ ..... ١٢٢
٢٥ ..... ١٢٥
٢٦ ..... ١٢٨
٢٧ ..... ١٣٦
٢٨ ..... ١٤٠
٢٩ ..... ١٤٩
٣٠ ..... ١٥٤
٣١ ..... ١٥٧
٣٢ ..... ١٦١
٣٣ ..... ١٦٦
٣٤ ..... ١٧٢
٣٥ ..... ١٧٧

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو 2017

للتواصل مع الدار والمشروع

هاتف / واتسآب

+2 01091985809 +2 02// 37390893

الموقع الإلكتروني

www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني

Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك

FB/lotusfreepub

إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
أحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً
حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض

نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين
نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري
الشقاء
كتبتُ أحبك
فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا
مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سنمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار

وأد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب
كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس
عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك
أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا

خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز - ج١
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات
الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا
رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب

الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجومانجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة
كالبحر يتنفس موجا
بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو
طرقتُ باب هواكِ
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
خربشات كاتب مجنون

اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة
مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كرتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر
احترف فن كتابة الرواية
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية
قصائد على خد الورد
عازف على ضفاف الشوق
وإني أشتهي وصلا
وانفرطت حبات السحر
هذا ما حدث بالفعل
انتبه إلى يمينك لعله يسار
ماذا علمتني الأيام
قهوة سادة
ثم أشرقت الشمس
دين السياسة
عيونك دربي
في جحر الأرانب
النارية
في الحافلة
نساء على ضفاف الحلم
تغريدة الروح والدم
ديوان الحب والحكمة

خفقات قلب
زهرة الصحراء
في ظل الحبر ٢
على ضفاف الذاكرة
محسن المصدوق
إسراء - أصفار العهد القديم
وعلينا السلام
انتقام الشر
الأحلام الوردية
أنت الحياة ودونك الموت
رسايل بحيص
ميراث الماضي
بداية حياة
سلة التفاح
فضة
قانون الحب
على الهامش
بين الجدران
سرطانية
العملاء
حنايا الروح
غربة حرف
غدا يوم جديد
أروقة الحنين
إحساس محمود
أنين سديم
الأتينيو
طلسم عشق
على شرف المحبرة
رباعيات
معزوفة حرف
في ظل الحبر ٣
أقول الأوهام
حديث الروح والقلب
أرض الأحلام
غابة التعاويز السبعة - ملوك وتيجان
داون ٢١
فين عصايتك
من برلين إلى مارلين
حبيبتي أميرة البحار
رسائل أحرقتها العواصف
أفكار للتأمل
الجني العجوز

أحببت قمرا
غابة التعاويز السبعة - أرض الأجداد
قلوب من الجنوب
بداخلي غصن زيتون
كلام ابن عم حديت
عذراً أيتها الخنساء
فليبق الأمل
لا سكاكين وجع في هذه المدينة
سر الملكوت
قرة عيني
عيناكِ
ياء .. سين
بداية جديدة لكل أم
وقتي من ذهب
القائد الصغير
سمير وهدفه النبيل
لأنكِ مني
قابلتك في المترو
قبة الحياة
ماريوه
لقاء غريب
وحينما افترقنا
دوائر
آخر قطرات الحنين
اليوم الأجمل لم يأت بعد
عندما ينطق الحرف
الغروب الأخير
رانت الأيام
أبعد من الكلمات
اتجاه إجباري
قصة عشق - ج١
سجود المشاعر
رسائل لم تصل
بين أجنحة الكارديتال
أسيرة روح
صغيرتي
حكايات رحال
جوري
غربة روح
توءم الشعلة
عادي في بيتها
رسائل منسية
خلف القلوب الصامتة

وقابلتُ شيطانا
تزوجيني أولا
لم أكن أتوهم
ملاك أنت أم بشر؟
العملية كوبرا
ذلك الغريب
عاشقة على سفح القمر
احترس هناك بشر
قسمة ونصيب
مع العصفور
برادلي ولغز أهل النجوم
أزرق داكن
عنوان غموض
مخطوطة إبليس
حبر الألم
متاهات الحجرة المغلقة
طريقي بقربك
موعدنا ذات صباح
بلدة على أطراف العالم
بين طيات الهوى
أسرار الالتفات في سورة النحل
سكين ودماء
رجة عقل
تاج
كأولين
صديقي عرّوب
حكايات شارع العمدة
محاولات في القافية
دور المجمع العلمي العراقي
عاليا يا عرب
حروف مبعثرة
القرآن خارج الصندوق
نعم أحبه.. ولكن
فرس على جبل
لامار
عندما يُعشق الزيتون
آخر الحلم
حواء تحت الهامش
سيكولوجية النهاية
عنكبوت اللهفة
حديث لا يقبل الرحيل
ذات الرداء السماوي
العنقاء

ضمير الشيطان
الحياة في ريفانا
امتنان
سقوط بطئ
السر الآسن
شيفرة القدر
لسان التمساح
ليليان
بطل بلا عنوان
مشكاتي تنزف عشقا
نحو مقاربة جديدة لإعادة التربية
ظلال على جدار الروح
إعدام القيود
أنتِ قدري
هذه هي أنا
التدفق في عروق الذاكرة
من بين عيونك باتولد
صدفة
خواطر قلبية
مبرر نهائي
موسم الأحلام
حقيقة وما بعدها
صوت وصمت
خواطر الثامنة مساء
أحلام مبتورة
دموع الشتاء
حينما فاض قلبي
حكواتي هذا الزمان
مميز بالأسود
صحفية على هامش الحب
قطوف أندلسية
دراويش وكرامات
قبل النهاية
دينامية المشروع الشخصي
كبير العيلة ٢
كما سقطت الفراشة
كانت لنا أيام
مكالمة خاطئة
أغنيات الرحيل
حكايات الشهيد
وجع الذاكرة
الحلبية
كبير العيلة ٣
وتناثرت الأجزاء

العالم متر في متر
على جناح الحلم
شهقة نبض
اعتذار غير مُجدي
ظلال المرئي
طفولة بلا زوابع
أسطورة قلبي
دلني على السوق
كلمة أم حكاية
بقايا ذاكرة
تدريس اللغة العربية
رحلتي إلى السودان
أطلال أحلام
لم يعد قلبي لغيرك
في ظل الحبر (ج٤)
جريمة أبريل
الجذور
عالم الشياطين
آمال
رسائلي إليك
ليلى والمجنون
جدار الذكرة
غيابة الجُب
سيد الشر
حنين إلى الدهشة الأولى
لظى الثلج
بدون مقابل
رسائل اشتياق
المقدس سره
مملكة في رحم امرأة
الكونتيسة
مصريخ
مالاهاياتي
بطعم الحب
طرقات مختلفة
سامح على اسم خاله
ضواحي المدينة
خريف ٢٠٩٤
أشواق مبعثرة
التربية على قيم حقوق الإنسان
جنينة العكارشة
سرابيل الخوف
الحب كما يجب أن يكون
حلمي حلمك

رحلة طبيب إلى الحج
للحب كلمة أخيرة
طيور في سماء الإحساس
كوفيد التاسع عشر
سبريتوس جيمناي - سحر أورتم
القصة القرآنية ومدارج التأويل
وريث فنريسولفر
أمل بعد حب وخيانة
لنا عودة
هي والقدر
بروليتاريا
نقطة
وادي الرماد
لأجل هذا خلق الحزن
مدرسة العظماء
على حافة اندلاع الاعتقاد
كل الطرق تؤدي إلى السادسة صباحاً
على حافة الرصيف
سبل الإيمان
وحدك
صرير الالتفات
خلوة
أنا المؤرخ
من قلبي سلامٌ
لحظة قدر
سفينة النجاة
موقعة شارع العمدة
الطفل المميت
القابعون تحت القيود
لغة الجسد في القرآن الكريم
هديتي لأحبتي
حفيدة هنريتا
لم تكن صدفة بل كانت قدراً
كلمات
شيرخان
في براح الأمنيات
فلنبدأ القتل
وأخاف أن..
قطوف مغربية
الاغتراب الصوفي الأندلسي
مضمار العشق وعنواني
على جبين القمر
آر إتش(RH)
أسرار لغة الجسد

مداعبات فكرية
مرسومة يا عيون الصبية
جريمة في المالديف
صائد الصفقات وصغيرته
خريف الأندلس
مجرد حضور
نزاعات المشاعر
مجموعة إنسان
بعد الفراق
في ظروف غامضة
كلنا ندفع الثمن
شاي بالحب
أوراق البيلسان
صراع في أرض الفيروز
الشتاء الأخير - ج١
البحث عن الحقيقة
عم صابر
خوف وقصص أخرى
تحرير الصراع الداخلي
هنا دار الضيافة
هواجس
لارسا
أوراق من أشجار الدنيا
منطق الطير
سونيا وأسامة
الليالي السوداء
أسرار يونس
جريمة في الحي الصامت
لي في المأوى أورفيوسي
كولة أبو ليلة
مغرب ما بعد الربيع العربي
شحات العسل
قمر إسرائيل
كوزيلي
قناعة الكلام
انهض واصنع ذاتك
محمد نبي الرحمة
طريق السعادة
كان شيئاً كان ثم انقضى
آليات التقدم العلمي
صناعة الإرث
تناقضات تتآخى
قراءة في سطوح بيتنا القديم
على حافة الشوق أنتظر
حبر
القلب وأحواله في ضوء القرآن الكريم
قيامة العملاق النائم
طوق الياسمين
الصلوات النهائية على خير البرية
التاج المذبح والسعاة
ليلاكس
رواسب
تناديني سيدي
المسيحية اليهودية
النرجسي والقبيح والفاتنة
يوم كتابة قدري
ثالوث الداغر
عين الرضا
الشيخ بهلول
ملل الكتمان
الطفيلي
النقد الذاتي في الشعر المعاصر
روح الأنثى
حنين إلى العافية
الحياة الثانية
إيفان
حلم أجارثا
آخر كتب البشرية
الاعتقاد في الأفكار المجردة
زفرة في غياهب العدم
فن الإدارة
خريف يتهادى
أدب الناشئة في كتب الرحلات والنوادر
أحببت رجلاً من داعش

www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع

2021/14716

الترقيم الدولي ISBN

978-977-6883-32-1

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف